مجالس حديثية

من وحي السنة المطهرة

أحاديث نبوية منتقاه
مع فوائد مستنبطة

د.صالح علي ناصر الخدري
أستاذ مشارك بجامعة أديامان - تركيا

مَجَالِس حَدِيْثِيَّة من وحي السُّنة المُطَهَّرَة

أحَادِيْث نبَويَّة مُنْتَقَاة

مع فَوائد مُسْتَنْبَطَة

***

د. صالح علي ناصر الخدري

جامعة أديامان – تركيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُقَدِّمَة

لحديث النبي صلى الله عليه وسلم أهمية كبيرة في حياة المسلم، والعمل به سبب لصلاح أمره الدنيوي والأخروي، فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو القدوة والأسوة، كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾[1]، والمسلم مأمور باتباع أمره، واجتناب نهيه، كما قال الله عز وجل: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[2]، فطاعته طاعة لله تعالى؛ ومعصيته معصية له سبحانه، وهو رسوله المبلغ عنه؛ قال الله سبحانه: ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾[3]، وقال عليه الصلاة والسلام: " **مَن أطَاعَنِي فقَدْ أطَاعَ اللَّهَ، ومَن عَصَانِي فقَدْ عَصَى اللَّهَ**[4]".

وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو وحي من الله إليه، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾[5]، وقد تضمن هذا الخير الدلالة على كل نافع والأمر باجتناب كل ضار، وذلك هدي الأنبياء من قبله؛ المتمثَّل في حرص كل واحد منهم على أمته، كما قال عليه الصلاة السلام: " **إنَّه لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إلَّا كانَ حَقًّا عليه أنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ علَى خَيْرِ ما يَعْلَمُهُ لهمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ ما يَعْلَمُهُ**"[6]، ولقد كان لنبينا محمد

---

[1]) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

[2]) سورة الحشر، الآية: ٧.

[3]) سورة النساء، الآية: ٨٠.

[4]) صحيح البخاري ٢٩٥٧، صحيح المسلم ١٨٣٥.

[5]) سورة النجم، الآية: ٣-٤.

[6]) صحيح مسلم ١٨٤٤.

عليه الصلاة والسلام النصيب الأكبر في نصح أمته والحرص عليها والرحمة بها والشفقة عليها، وقد شهد الله تعالى له حرصه على المؤمنين فقال تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رءوُفٌ رَحِيمٌ**﴾[٧]، وتوجيهاته كلها عليه الصلاة والسلام شاملة لكل خير في الدنيا والآخرة، وعمَّ نفعها سائر الأمور؛ كبيرها وصغيرها.

قال ابن عساكر رحمه الله: " **أبركُ العلوم وأفضلُها وأكثرها نفعاً في الدنيا والدين بعد كتاب الله عزَّ وجلَّ، أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما فيها من كثرة الصَّلوات عليه وأنَّها كالرِّياض، تجد فيها كل خير وبرٍ، وفضلٍ وذكرٍ**"[٨].

لأجل هذا الأمر وغيره من المقاصد الحسنة المترتبة على تعلم الأحاديث النبوية؛ والاستفادة منها في أمر الدنيا والدين؛ قمت مستعينا بالله بانتقاء عدد من الأحاديث النبوية الشريفة التي غلب على ظني مناسبتها وسهولة فهمها واستيعابها لكل من يطّلع على هذا الكتاب من طلاب العلم وعموم المسلمين؛ صغيرهم وكبيرهم، وقد أرفقت كل حديث بما تيسر من الفوائد المستنبطة، المبسَّطة في أسلوبها، والمستفادة من المفهوم العام له، مع ذكر ما ناسب من أقوال أهل العلم، لتكون عونا لقارئ الحديث الشريف على فهم لفظه، واستيعاب مدلوله، والاستعانة بكل ما سبق – بعد عون الله تعالى– على العمل بالحديث المذكور وغيره مما يتصل بها معنى أو حكما.

وإن هذه المجالس بما أعدَّت له مُنَاسِبة لأن تكون دروسا يومية مسجديَّة أو منزليَّة أو صَفِّيَّة، تتناسب مع الذكور والإناث والكبار والصغار.

على أمل أن تتبعها خلال الفترة القادمة بإذن الله مجموعة من المجالس، بذات المنهجية، مع زيادة قسم تطبيقي عملي منهجي، يتناسب مع عناوين المجموعة إن شاء الله.

وختاما:

---

[٧]) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

[٨]) تاريخ دمشق لابن عساكر، ١٧٢/٢٧.

أقول ما قاله الشيخ محمود محمد شاكر رحمه الله في تقديمه لتفسير الطبري مع تعديل يسير منِّي: [وبعد، فقد بذلتُ شيئا من جهدي، وتحرَّيتُ الصوابَ ما استطعتُ، وأردتُ أن أجعَلَ نشرَ هذا الكتابِ زُلْفَى إلى اللهِ خالصةً؛ ولكن كيف يخلُص في زماننا عملٌ من شائبة تشوبهُ! فأسألُ الله أن يتقبَّل مني ما أخلصتُ فيه، وأن يغفر لي ما خالطه مِنْ أمرِ هذه الدنيا، وأن يتغمّدني برحمته يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ، إلا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، وأضرع إليه أن يغفر لَنَا ولإخوانِنا الَّذِينَ سَبَقُونَا بالإيمان، وأن ينفع الكاتبَ والقارئَ بما يسَّره في هذا الكتاب، وأن يجعَل الجميْع من الذِين يسْتَمِعُون القَول فيتَّبِعُون أحْسَنَه، وأن يغْفِر لنَا تقصِيْرنا وخَطَأنا، إنَّه برٌّ رؤوفٌ كريمٌ، وآخرُ دَعْوَانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين][9].

وبالله التوفيق، وهو من وراء القصد.

تم الانتهاء من إعداد هذا الكتاب بتأريخ: ١٩ من شهر شعبان ١٤٤٤هـ، الموافق/ ٨ مارس ٢٠٢٣م، تركيا.

د. صالح علي ناصر الخدري

هاتف. ٠٠٩٠٥٣٩٨١٢٢٨٢٠

alkhadare.123@gmail.com

***

[9]) تفسير الطبري ١/ ٢٠.

المجلس (الأوَّل):

أهمِّيَّة صلاح النِّيَّة

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " **إنما الأعمال بالنيَّات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدُنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**" [١٠].

الفوائد:

١/ كل عمل مقرون بنيَّة، ويَرتفع شأنه أو يُحَطُّ من قَدْرِه بسببها، والمسلم بحاجة إلى مجاهدة نفسه على الدوام؛ وهي مهمة جليلة لأجل غاية أجل وأعظم؛ تعتبر ثمرة تلك المجاهدة، ألا وهي إصلاح نيَّته، فهو محتاج إلى استصحاب ذلك الحال عند كل عمل، فبالنيَّة الصالحة تصلح الأعمال، ويَسبق المرء في السير إلى الله تعالى، وتُرفع درجاته عنده.

وقد جاء في الحديث السابق عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: " **وإنما لكل امرئ ما نوى**"، فقال: " ما نوى" ولم يقل: ما عمل، وفي ذلك تأكيد على أن النية بها وعليها مدار الأمر، وبها وعليها صلاح أو فساد أي عمل، ولا نجاح ولا فلاح إلا باستحضار ذلك؛ ومجاهدة النفس لإصلاح النية بسائر ما يباشره المرء من الأعمال، قال ابن رجب الحنبلي: [**والتوفيق في صلاح النية والقصد فيما أردت**][١١]، وقد جاء أمر الله بتجريد نية العمل من كل شائبة؛ وأن تكون له سبحانه دون سواه، فقال الله عز وجل: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾[١٢]، قال الطبري في تفسير الآية: [**مفردين له الطاعة، لا يخلطون طاعتهم ربهم**

---

[١٠]) صحيح البخاري ٥٤، صحيح مسلم ١٩٠٧.

[١١]) جامع العلوم والحكم، ٥١/١.

[١٢]) سورة البينة، الآية:٥.

بشرك][13]، وقال القشيري: [**الإخلاص تفريغ القلب عن الكلّ، والثقة بأن الإخلاص ليس إلا به سبحانه**][14]، وقال: [**قوله تعالى: ﴿ مخلصين﴾: أي موحّدين لا يشركون بالله شيئا، فالإخلاص ألّا يكون شيء من حركاتك وسكناتك إلّا لله، ويقال: الإخلاص تصفية العمل من الخلل**][15].

٢/ القلب محل النية، وصلاحها بصلاحه، لأن استقامة كل الأمر باستقامة أصله وما يحتويه، وقوة البناء بمتانة أساسه، قال الله عز وجل: ﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[16]، قال ابن قتيبة: [**كأَنَّهُ قالَ: من اتَّقَى اللهَ وُقِيَ المهالِكَ التي تُشْبِهُ تَهَوُّرَ البناءِ على الرجلِ من فَوْقِه، أو تَهَوُّرَ الآبارِ من تحتِهِ**][17]، وقال الزجاج: [**المعنى أن من أسس بنيانه على التقوى خير ممن أَسَّسَ بُنْيَانَهُ على الكفر**][18]، كما إن الموطن الطيب يخرج منه الشيء الطيب النافع والدائم، والعكس بالعكس، قال الله تعالى: ﴿ **وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ، وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا، كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ**﴾[19]، قال الطبري عند ذكر هذه الآية: [**فهذا مثل ضربه الله للمؤمن يقول: هو طيب وعمله طيب، كما البلد الطيب ثمره طيب، ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التي لا تخرج منها البركة، فالكافر هو الخبيث وعمله خبيث**][20]، وقال السمرقندي: [﴿ **وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ**﴾[21]، **يعني: المكان العذب الزّكي اللين من الأرض اللينة يخرج نباته إذا أمطرت فينتفع به، كذلك المؤمن يسمع الموعظة فتدخل في قلبه فينتفع بها وينفعه القرآن كما ينفع المطر الأرض الطيبة، وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً يعني: الأرض السبخة لا يخرج نباتها إلا من كد وعناء، فكذلك الكافر لا يسمع الموعظة ولا ينتفع بها، ولا يتكلم بالإيمان، ولا يعمل**

---

[13]) تفسير الطبري ٢٤/٥٥٣.
[14]) لطائف الإشارات ٣/ ١٠٥.
[15]) لطائف الإشارات ٣/ ٧٥٣.
[16]) سورة التوبة، الآية: ٩.
[17]) المسائل والأجوبة لابن قتيبة ١٧٤.
[18]) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٤٦٩.
[19]) سورة الأعراف الآية: ٥٨.
[20]) تفسير الطبري ١٠/ ١٥٨.
[21]) سورة الأعراف الآية: ٥٨.

بالطاعة إلا كرهاً لغير وجه الله][22]، وكما قيل في المشهور على الألسنة: [**كل إناء بما فيه ينضح**][23]، ومن أعظم الأسباب لصلاح القلوب والنيات: الدعاء وتدبُّر القرآن وكثرة الذِّكر والاستغفار، وتذكر يوم لقاء الله تعالى، حين يبعث الخلق ويجمعهم بين يديه لأجل الحساب والجزاء، فإن هذا الأمر يدفع المرء إلى كل خير ويصرفه عن كل شر، قال السعدي: [**فإن الإيمان بالبعث والجزاء، أصل صلاح القلوب وأصل الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، اللذين هما أساس الخيرات**][24]، والنصوص الدالة على ذلك كثيرة، و قد جاء بكل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وأرشد الأمة إليه، لغاية صلاح أمرها الدنيوي والأخروي، وذلك نهج الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، **قال القاسمي**: [**فأما طب القلوب، فمسلّم إلى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولا سبيل إلى حصوله إلا من جهتهم، وعلى أيديهم، فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وفاطرها، وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ولمحابّه، متجنبة لمناهيه ومساخطه، ولا صحة لها ولا حياة لها البتة إلا بذلك، ولا سبيل إلى تلقيه إلا من جهة الرسل، وما يظن من حصول صحة القلب بدون اتباعهم، فغلط ممن يظن ذلك**][25]،

٣/ يستفاد من قول النبي صلى الله عليه وسلم: " **وإنما لكل امرئ ما نوى**" أنه يُكتب للمرء ما نوى من الخير؛ ولو منعه مانع من الوصول إليه ومباشرته، فعلى هذا هو بحاجة إلى الإكثار من نيَّات الخير، والمبالغة في إرادة فعل أنواع كثيرة من الأعمال الصالحة، فإن من الغبن وحرمان النفس أن يحرم الإنسان ذاته من نية صالحة لفعل أنواع من خير لا حدَّ ولا حصر له، قال ابن عبد البر: [**أنَّ المرءَ يُجازَى على ما نَوَى من الخيرِ، وإن لم يَعْملْهُ، كما لو أنَّهُ عَمِلهُ، وأنَّ النِّيَّةَ يُعطَى عليها، كالذي يُعطَى على العَملِ، إذا حِيلَ بينهُ وبينَ ذلك العملِ وكانت نيَّتُهُ أن يَعْملَهُ ولم تَنْصرِف نيَّتُهُ عنه حتَّى غُلِبَ عليه بنَوم أو نِسيانٍ أو غيرِ ذلك من وُجُوهِ الموانِعِ، فإذا كان ذلك، كُتِبَ لهُ أجرُ ذلك العملِ وإن لم يَعْملهُ، فَضْلًا من الله**

[22]) تفسير السمرقندي ١/ ٥٢٤.
[23]) معجم اللغة العربية المعاصرة١/ ١٣٤.
[24]) تفسير السعدي ٩٦٣.
[25]) تفسير القاسمي ٥/ ٤٤.

ورحمةً، جازَى على العَملِ، ثُمَّ على النِّيَّةِ إن حالَ دُون العَملِ حائلٌ][٢٦]، وإن من النية الصالحة أن يعمل المرء عمل الدنيا بنية صالحة فيثاب على نيته، قال الإمام الشوكاني عمن هو مشغول بعمل الدنيا: [**يثاب مع صلاح النية كمن يعمل بالأجرة التي يستغني بها عن الناس، أو يعول بها قرابته، ولهذا ثبت في الحديث: " إن الرجل يؤجر حتى على اللقمة يضعها في فم امرأته"**][٢٧]، وقال ابن هبيرة: [**حتى إن المسلم يضاعف له الثواب على أكله وشربه وقيامه وقعوده ونومه ويقظته على حسب نيته في ذلك، وربما يجمع الشيء الواحد عدة وجوه من العبادات بالنية؛ كما قال موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾[٢٨]، وعلى هذا تبتنى أبواب العبادات والمباحات، وتعلم العلم وتعليمه، ومصاحبة الخلق وهجرانهم، وغير ذلك؛ إلا أن المسلم ينبغي أن يصفي موارد نيته؛ بأن يبني أمره على أسس محرزة ناظرًا إلى قلبه بعينه؛ فإنه سريع التقلب، وإنه غير مستغن عن تكرير الحق عليه، وتأنيه به، واعتبار إيمانه، وأن ينوي في كل حركة وسكون إرادة وجه الله عز وجل، وأن ينوي حياته لله ومماته لله، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢٩] فالأمر ظاهر**][٣٠].

٤/ ليس كل من باشر عملاً ظاهره الصَّلاح قد عمل صالحا وأحسن العمل، فقد يعمل المرء العمل بجوارحه ويُحرم ثمرة ذلك بسوء نيَّته، والمؤمن العاقل حريص على استحضار صلاح نيته قبل فعله، مخلصا بعمله وجه الله تعالى، موافقا لذلك هدي النبي صلى الله عليه وسلم، قال سبحانه: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[٣١]، وقال عز وجل: ﴿ **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾[٣٢]، وقد قيل للفُضيل بن عياض

---

[٢٦]) التمهيد ٨/ ١٠١.

[٢٧]) نيل الأوطار، ٩٧/٨، ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في فم امرأتك" رواه البخاري في صحيحه ٥٦.

[٢٨]) سورة طه، الآية: ١٨.

[٢٩]) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

[٣٠]) الإفصاح عن معاني الصحاح ١/ ١٣٦.

[٣١]) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

[٣٢]) سورة الملك، الآية: ٢.

رحمه الله: يا أبا علي، ما معنى أحسن العمل؟ قال: [**أخلصه وأصوبه**]، قيل: ما أخلصه؟ وما أصوبه؟ قال: [**إنَّ العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإن كان صوابًا ولم يكن خالصًا فلم يُقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا**]، **قيل: يا أبا علي، ما هو الخالص الصواب؟ قال: [الخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة**][٣٣].

اللهم أصلح ظواهرنا وبواطننا وارزقنا الإخلاص في القول والعمل.

***

[٣٣]) حلية الأولياء ٨/٩٥.

المجلس (الثّاني)

الدعوة إلى الاستغفار والتوبة

عن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **يا أيها النَّاس توبوا إلى الله واستغفروه، فإنِّي أتوب في اليوم مئة مرة**"[٣٤].

الفوائد:

١/ التوبة والإنابة والاستغفار والعودة إلى الله على الدَّوام لازم من لوازم عبادة المرء لربِّه، مهما بلغ قدره وعلمه وصلاحه وتقواه، والحديث السابق يبين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مكثرا من التوبة إلى الله تعالى وهو المعصوم عليه الصلاة والسلام، وكان قدوة لأتباعه في هذا العمل وغيره، فحقّ على كل مسلم المسارعة إلى التوبة على الدوام، استجابة لنداء الله تعالى القائل: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[٣٥]، ثم لنداء الرسول صلى الله عليه وسلم الوارد في الحديث السابق: " **يا أيها النَّاس توبوا إلى الله واستغفروه، فإنِّي أتوب في اليوم مئة مرة**"، وغيره من الأحاديث، قال أبو العباس القرطبي: [**وإنما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يكرر التوبة كل يوم مع كونه مغفورا له ليُلحق به غيرُه نفسَه بطريق الأولى**][٣٦].

٢/ لا حَجْر للتَّوبة لأحد دون أحد، فالله تواب كريم جعل التوبة باباً مفتوحاً يَلِجُ مِنْه كلُّ من أتاه، في أي وقت، وقد دعا كل عباده إلى ذلك، كما قال سبحانه في الآية السابقة: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[٣٧]، قال القرطبي في بيان هذه الآية:

---

[٣٤]) صحيح مسلم، ٢٧٠٢.

[٣٥]) سورة النور، الآية: ٣١.

[٣٦]) المفهم ٧/ ٢٧.

[٣٧]) سورة النور، الآية: ٣١.

[**واتفقت الأمة على أن التوبة فرض على المؤمنين**][38]، فالخطأ وارد من كل أحد، والواجب التوبة من كل ذنب، قال نبينا عليه الصلاة والسلام: "**كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَّابونَ**"[39]، وهو عليه الصلاة والسلام أول السَّابقين إليه كما سبق الإشارة إلى ذلك، ومن فضل الله تعالى وكرمه أنه سبحانه يحب المقبلين عليه، والتائبين إليه، كما قال عز وجل: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾[40]، وقال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: " **اللَّهُ أفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِن أحَدِكُمْ، سَقَطَ علَى بَعِيرِهِ، وقدْ أضَلَّهُ في أرْضِ فَلاةٍ**"[41]، وذلك بيان لشدة حب الله تعالى لتوبة عبده، والمسارعة فيها، في أي وقت.

٣/ توبة العبد المتكرِّرة والمستمرَّة والدَّائمة في ليل أو نهار دليلُ توفيق الله تعالى له، وعلامة حُسن اقتداءه بالنَّبي صلى الله عليه وسلم بفعله ذلك، فلن يخيب بعد ما فعل بإذن الله، فما وفَّقه الله إلا وهو يريد الخير له، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا**"[42]، قال القرطبي عند ذكر هذا الحديث: [**وهذا الحديث أجري مجرى المثل الذي يفهم منه دوام قبول التوبة، واستدامة اللطف والرحمة**][43].

٤/ لا ينبغي التهاون في فعل ارتكاب الأخطاء؛ والتسويف في التوبة من كل ذنب؛ مهما صغر ودقّ في عين صاحبه، فإن الجبال من الحصى، وإن أول الغيث قطرة، والتسويف من وساوس الشيطان، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله تعالى حكاية عن الشيطان (وَلَأُمَنِّيَنَّهُم[44]): [**يريد تسويف التوبة وتأخيرها**][45]، وكما أنه لا ينبغي التسويف

---

[38]) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٩٠.
[39]) سنن الترمذي ٢٤٩٩.
[40]) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
[41]) صحيح البخاري ٦٣٠٩، صحيح مسلم ٢٧٤٧.
[42]) صحيح مسلم ٢٧٥٩.
[43]) المفهم ٧/ ١٠٦.
[44]) سورة النساء، الآية: ١٩.
[45]) تفسير الخازن ١/ ٤٢٨.

كذلك لا ينبغي احتقار الذنب مهما دق وصغر، فقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام منبِّها ومحذِّرا: " **إيَّاكُم ومحقَّراتِ الذُّنوبِ فإنَّهنَّ يجتمِعنَ على الرَّجلِ حتَّى يُهلِكنَهُ؛ كرجلٍ كانَ بأرضِ فلاةٍ فحضرَ صنيعُ القومِ فجعلَ الرَّجلُ يجيءُ بالعودِ والرَّجلُ يجيءُ بالعودِ؛ حتَّى جمعوا من ذلِكَ سوادًا وأجَّجوا نارًا فأنضجوا ما فيها**"[٤٦]، قال المناوي: [**والقصد به الحث على عدم التَّهاون بالصَّغائر ومحاسبة النفس عليها، فإنَّ في إهمالها الهلاك، ولذا قيل أعظم الذُّنوب ما صَغُر عند صاحبها**][٤٧].

٥/ من تاب إلى الله بصدق وبشروط التوبة التي فهمها أهل العلم من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، تاب الله عليه؛ ومُحِيَت ذنوبُه بفضله سبحانه، قال عز وجل: (**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**)[٤٨]، وقال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: " **التائبُ من الذنبِ كمن لا ذنبَ لهُ**"[٤٩]، قال ابن رجب بعد ذكر آيات في الحث على التوبة: [**وَظَاهِرُ هَذِهِ النُّصُوصِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ تَابَ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا، وَاجْتَمَعَتْ شُرُوطُ التَّوْبَةِ فِي حَقِّهِ، فَإِنَّهُ يُقْطَعُ بِقَبُولِ اللَّهِ تَوْبَتَهُ، كَمَا يُقْطَعُ بِقَبُولِ إِسْلَامِ الْكَافِرِ إِذَا أَسْلَمَ إِسْلَامًا صَحِيحًا، وَهَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ**][٥٠]، وشروط توبة العبد ثلاثة كما ذكر ذلك العلماء، وهي: [**الأول: أن يقلع عن الذنب، بأن يتركه نهائياً، الثاني: أن يندم على ما قد مضى، الثالث: أن يعزم في المستقبل على ألا يعود إليه، والرابع: إذا كان الأمر يتعلق بحقوق الآدميين، سواء بأموالهم أو أعراضهم أو أبدانهم فعليه أن يطلب المسامحة ممن له عليه حق، أو يؤدي الحقوق إلى أهلها**][٥١]، وقد زاد ابن المبارك في بيان حقيقة التوبة فقال: [**حقيقة التوبة لها ست علامات: أولها: الندم على ما مضى، والثانية: العزم على أن لا تعود، والثالثة: أن تعمد إلى كل**

---

[٤٦]) صحيح الجامع ٢٦٨٧.

[٤٧]) التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٤٠٥.

[٤٨]) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

[٤٩]) صحيح ابن ماجة ٣٤٤٦.

[٥٠]) جامع العلوم والحكم ١/ ٤١٨.

[٥١]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٢٤١/٨، شرح سنن ابن ماجة للعباد ١١٨/ ٢١.

فرض ضيعته فتؤديه، والرابعة: أن تعمد إلى مظالم العباد، فتؤدّى إلى كل ذي حق حقه، والخامسة: أن تعمد إلى البدن الذى ربيتهُ بالسحت والحرام فتذيبه بالهموم والأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم، ثم تنشئ بينهما لحمًا طيبًا إن هو نشأ، والسادسة: أن تذيق البدن ألم الطاعة كما أذقته لذة المعصية][٥٢].

اللهم وفِّقنا جميعا لما يرضيك، وارزقنا توبة نصوحا يا رب العالمين.

***

[٥٢]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/ ٨٠.

المجلس (الثَّالث):

عدد من مكفرات الخطايا

عن أبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **ما يُصيب المسلم من نَصب ولا وَصَب، ولا همٍّ ولا حَزَن، ولا أذى ولا غَمّ، حتى الشَّوكة يُشاكها، إلا كَفَّر الله بها من خطاياه**"[٥٣].

الفوائد:

١/ من لوازم حياة المسلم التي يجب إدراكها البلاء والتمحيص، يتبين به المحسن من المسيء، قال الله سبحانه وتعالى عن نفسه: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾[٥٤]، قال الطبري: [**ليختبركم فينظر أيّكم له أيها الناس أطوع، وإلى طلب رضاه أسرع**][٥٥].

٢/ من عظيم فضل الله على عبده مَحْو ما اقترف من الذنوب بأنواع من المكفِّرات، منها ما يكون على سبيل الابتلاء، حِيْنَ يُحْسِنُ العبدُ التعامل مع ذلك، فيصبر في الضَّراء، ويشكر في السَّراء، ويأخذ بأسباب جلب النَّفع، وأسباب دفع الضُّر، ويُسَلِّمُ لله في كل أمره، قال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: " **عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له**"[٥٦]، قال القرطبي: [**المؤمن هنا هو العالم بالله، الراضي بأحكامه، العامل على تصديق موعوده، وذلك أن المؤمن المذكور إما أن يُبتلى بما يضرُّه أو بما يسرُّه، فإن كان الأول صبر واحتسب ورضي، فحصل على خير الدنيا والآخرة وراحتهما، وإن كان الثاني**

[٥٣]) صحيح البخاري ٥٦٤١، صحيح مسلم ٢٥٧٣.

[٥٤]) سورة تبارك، الآية:٢.

[٥٥]) تفسير الطبري ٢٣/ ٥٠٥.

[٥٦]) صحيح مسلم ٢٩٩٩.

عـرف نعمـة الله عليـه ومِنَّتـه فيهـا، فشَـكَرها وعمِـل بهـا، فحصـل علـى نعـيم الـدنيا ونعـيم الآخرة][٥٧].

٣/ خـصَّ الله المسـلم بخصـائص ليسـت لغـيره، وهـذا دليـل حـب الله لـه، وعِظَـم مكانتـه عنـده، فحـين استسـلم لأمـر الله، يسَّـر الله لـه مـن فَـيْضِ كَرَمِـه مـا يُقَرِّبُـهُ إليـه، وهـذا أعظـم مـا يجنيـه العبـد مـن الـبلاء، وقـد ورد في الحـديث عـن سـعد بـن أبي وقـاص رضـي الله عنـه، أنـه قيـل: " يا رسـولَ اللهِ! أيُّ النـاسِ أشـدُّ بـلاءً؟ قـال: **الأنبيـاءُ، ثم الصـالحون، ثم الأمثـلُ فالأمثـلُ، يُبتلـى الرجـلُ علـى حسـبِ دِينِـه، فـإن كـان في دِينِـه صـلابةٌ، زِيـدَ في بلائِـه، وإن كـان في دِينِـه رِقَّـةٌ، خُفِّـفَ عنـه ولا يـزالُ الـبلاءُ بالمـؤمنِ حـتى يمشـي علـى الأرضِ ولـيس عليـه خطيئـةٌ**"[٥٨]، قـال ابـن رجـب: [**وحاصـل الأمـر أنّ مَـن عامَلَـه الله في ذنوبـه بالعـدل هَلَـك، ومـن عامَلَـه بالفضـل نجـا، كمـا قـال يحـي بـن معـاذ: إذا وضـع عدلـه علـى عبـده لم يبـق لـه حسـنة، وإذا بسـط فضـله علـى عبد لم يبق له سيئة]**[٥٩].

اللهم اجعلنا حال السراء من الشاكرين، وحال الضراء من الصابرين.

***

[٥٧]) المفهم ٦/ ٦٣٠.

[٥٨]) صحيح الترغيب ٣٤٠٢.

[٥٩]) شرح حديث لبيك اللهم لبيك ١٣٧.

المجلس (الرَّابع)

فضل الصدق والصادقين وقبح الكذب والكاذبين

عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **إنَّ الصِّدقَ يَهدي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهدي إلى الجنَّةِ، وإنَّ الرَّجلَ ليصدقُ حتَّى يُكتبَ عندَ اللَّهِ صدِّيقًا، وإنَّ الكذبَ يَهدي إلى الفجورِ، وإنَّ الفجورَ يَهدي إلى النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ ليَكذِبُ حتَّى يُكتَبَ عندَ اللَّهِ كذَّابًا**"[٦٠]

الفوائد:

١/ لا يلتزم الصِّدق إلا عبدٌ أنعم الله عليه وأراد الله له الخير في الدُّنيا والآخرة، سواء كان الصِّدق في القول أو الفعل، لأنّ مِن فَضْله أن يقُوْده إلى الجنة، التي هي كرامة الله لعبده المؤمن الصَّادق مع ربِّه سبحانه ثم مع خلقه، لا لِمَن خَالَف وافتَرى على الله الكَذِب، أو عَامَل الخَلْق بالزُّور والبُهْتَان، فالصدق باب إلى كل خير، يقود صاحبه إلى خير الدنيا والآخرة، قال القاضي عياض في الحديث السابق: [**الصدق يهدي إلى البر بالعمل الصالح الخالص من الإثم، والبر اسم جامع للخير كله**][٦١].

٢/ ينال المؤمن أهليَّة دخول الجنة بعد أن يرتقي في سُلَّم العبودية، ويتنقَّل في مدارج السالكين، حتى يبلغ أقصى ما يكون وهو رضوان الله تعالى ودخول الجنة، فيبدأ نعيمه في الدنيا بصدق علاقته مع ربه سبحانه، وحسن معاملة خَلْقِه، وصَدَق الشيخ ابن تيمية رحمه الله حين قال: [**في الدُّنيا جنَّة من لم يدخلها لن يدخل جنَّة الآخرة**][٦٢].

---

[٦٠]) صحيح البخاري ٦٠٩٤، صحيح مسلم ٢٦٠٧.

[٦١]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/ ٨٢.

[٦٢]) لمحات من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٢/١.

٣/ لكلِّ خيرٍ وشرٍ دليلٌ يدلُّ عليه، وهادٍ يُرشِد إليه، وعلى العاقل أن يتبيَّن أمْرَه، فيَسْلك سبيل الحقّ والهداية، ويتجنَّب ويحذر سُبُلَ الضَّلال والغواية، والله عزَّ وجلَّ قد خيَّر الإنسان بين سلوك طريق الخير أو الشَّر فقال سبحانه: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾[٦٣]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾[٦٤]، وهو من كمال عدل الله سبحانه، فله الحمد أولاً وآخراً، قال ابْنُ عَبَّاسٍ عند قوله تعالى: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾: [**هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَيْنِ: سَبِيلَ الْخَيْرِ، وَسَبِيلَ الشَّرِّ، يَقُولُ: عَرَّفْنَاهُ سَبِيلَ الْخَيْرِ، وَسَبِيلَ الشَّرِّ**][٦٥]، وقال التستري: [**بيَّنَّا له طريق الخير ليتَّبعه، وطريق الشَّر ليجتنبه، كما قال: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾[٦٦]][٦٧].

اللهم اهْدنا وسدِّدْنا يا كريم، واجعلنا من أهل الصِّدق ومع الصَّادقين في الدنيا والآخرة

***

[٦٣]) سورة البلد، الآية:١٠.

[٦٤]) سورة الإنسان، الآية:٣.

[٦٥]) تفسير مجاهد ٧٣٠.

[٦٦]) سورة الإنسان، الآية:٣.

[٦٧]) تفسير التستري ١٩٤

المجلس (الخامس)

وصايا نبوية ثمينة

عن أبي ذر جُندب بن جنادة، وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**اتَّقِ اللهَ حيثما كنت، وأتْبِع السَّيئة الحسنةَ تَمْحُها ، وخَالِق الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ**)[٦٨].

الفوائد:

١/ تقوى الله وخشيته والخوف من عذابه دافع إلى تَجَنُّب ما نهى الله عنه، وهذا حال المؤمن في كلِّ ظرفٍ وحالٍ يَمُر به، في ليله ونهاره، في سِرِّه وعلانيته، وتظهر حقيقة تقواه حال خلوته بالخالق وبُعْده عن الخَلْق، وقد نبَّه الله على أهمية ذلك بقوله عز وجل: ﴿ **لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ**﴾[٦٩] ، قال الطبري: [**ليعلم أولياء الله من يخاف الله فيتقي محارمه التي حرمها عليه من الصيد وغيره، بحيث لا يراه ولا يعاينه**][٧٠]، وقوله سبحانه: ﴿ **وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ، هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ، مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ**﴾[٧١]، قال الواحدي: [**خافه، وأطاعه، ولم يره**، ﴿ **وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ**﴾ **مخلص، راجع عن معاصي الله إلى طاعة الله**][٧٢]، وقال عند قوله عز وجل: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾[٧٣]، [**يخافون عذاب ربهم، ولم يروه، فيؤمنون به خوفًا من عذابه**][٧٤].

---

[٦٨]) صحيح الترغيب ٢٦٥٥.

[٦٩]) سورة المائدة، الآية: ٩٤.

[٧٠]) تفسير الطبري ٨/ ٦٧٢.

[٧١]) سورة ق، الآية: ٣٣،٣٢،٣١.

[٧٢]) التفسير الوسيط للواحدي ٤/ ١٦٩.

[٧٣]) سورة الملك، الآية: ١٢.

[٧٤]) التفسير الوسيط للواحدي ٤/ ٣٢٨.

٢/ مـن صـفات العبـد المـؤمن المسـارعة في فعـل كـلِّ طاعـة وقُرْبَـة، والتـزوُّد مـن الأفعـال الحَسَنة، والإكثار من الأعمال الصَّالحة، قال الله تعالى: ﴿ **فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ**﴾[٧٥]، قال البغوي عند تفسير هذه الآية: [**فبادروا إلى الأعمال الصالحة**][٧٦]، ومن كَرَم الله عليه أن أداء العمل الصالح يطهره من ذنوبه، ويمحو خطيئته، كما في قول الله عز وجل: ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾[٧٧]، قال الطبري عند ذكر هذه الآية: [**إنّ الإنابة إلى طاعة الله والعمل بما يرضيه، يذهب آثام معصية الله، ويكفّر الذنوب**][٧٨]، وقال القشيري: [**الحسنات ما يجود بها الحق، والسيئات ما يذنبها العبد، فإذا دخلت حسناته على قبائح العبد محتها وأبطلتها**][٧٩]، وقد ورد في السنة أنَّ رَجُلًا أصابَ مِنَ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فأتَى النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأخْبَرَهُ فأنْزَلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ **أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ**﴾، فقالَ الرَّجُلُ: يا رَسولَ اللَّهِ أِلي هذا؟ قالَ: " **لجَمِيعِ أُمَّتي كُلِّهِمْ**"[٨٠].

٣/ لا يوافق هدي الله القويم والفطرة السَّمحة السَّويَّة من الأخلاق إلا الحسن منها، فهي التي تَمِيْل إليها النفوس، وتَحِنُّ إلى مَن اتَّصف وتحلّى بها، ولبيان أهمية ذلك أجاب النبي صلى الله عليه وسلم حين سُئِل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: (**تقوى الله، وحسن الخلق**)[٨١] **قال الطيبي: [تقوى الله مع الخالق، بأن يأتي جميع ما أمر به وينتهي عما نهى عنه، وحسن الخلق إشارة إلى حسن المعاملة مع الخلق، وهاتان الخصلتان موجبتان لدخول الجنة**][٨٢].

اللهمَّ ارزقْنا التَّقوى، ووفِّقنا للمسَارعة في الخيْرات، وزيِّنا بمكَارم الأخلاق.

---

[٧٥]) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.
[٧٦]) تفسير البغوي ٣/ ٦٦.
[٧٧]) سورة هود، الآية ١٤.
[٧٨]) تفسير الطبري ١٥/ ٥٠٩.
[٧٩]) لطائف الإشارات ٢/ ١٦١.
[٨٠]) صحيح البخاري ٥٢٦، صحيح مسلم ٤٦٨٧.
[٨١]) صحيح الترغيب ٢٦٤٢.
[٨٢]) شرح المشكاة للطيبي ١٠/ ٣١٢١.

المجلس (السَّادس)

مخالفة هوى النفس المذموم

عَنْ أبي يَعْلَى شَدَّادِ بْن أَوْسٍ رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: " **الكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِما بَعْدَ الْموْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هَواهَا، وتمَنَّى عَلَى اللَّهِ**"[٨٣].

الفوائد:

١/ العاقل هو الذي عَلِم حقيقةَ أَمْره، وأنه في الدُّنيا عَابرٌ، ويوماً ما سُيغَادرُها، فيجتهد بِفِعْل الصَّالحات وكلّ ما ينْفَعُه بَعْد مَوْته، قال ابن عثيمين: [**الذي ينبغي للإنسان العاقل أنه كلما رأى من نفسه طموحا إلى الدنيا وانشغالا بها واغترارا بها أن يتذكر الموت، ويتذكر حال الآخرة، لأن ذلك هو المآل المتيقَّن، وما يؤمله الإنسان في الدنيا فقد يحصل وقد لا يحصل**][٨٤].

٢/ غفلة الإنسان عن حقيقةِ نفسِهِ وشدَّةِ حاجَتِها إلى أنواع الخير المزَكِّية لها تجعلُهُ عبداً مُنْقَاداً لها، لا يُمَيِّز بين ما يضُرُها مما ينفَعُهَا، فيُفْسِدُها بفِعْلِه ذلك ويُوْرِدُها المهالك، وهذا غاية الضَّياع، بخلاف من عَرَفَ قَدْرَهَا وسَاقَهَا حيْث ينْبَغي أن تَكُون عليه، وصدق الله تعالى القائل: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[٨٥]، قال ابن رجب: [**وَالْمَعْنَى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَخَابَ مَنْ دَسَّاهَا بِالْمَعَاصِي، فَالطَّاعَةُ تُزَكِّي النَّفْسَ وَتُطَهِّرُهَا فَتَرْتَفِعُ، وَالْمَعَاصِي تَدُسِّي النَّفْسَ وَتَقْمَعُهَا فَتَنْخَفِضُ، وَتَصِيرُ كَالَّذِي يُدَسُّ فِي التُّرَابِ**][٨٦].

---

[٨٣]) سنن الترمذي وقال: حديث حسن ٢٣٢٩.

[٨٤]) شرح رياض الصالحين ٣/ ٤٣٧.

[٨٥]) سورة الشمس، الآية: ٩،١٠.

[٨٦]) جامع العلوم والحكم ٢/ ٢٨.

٣/ لا يُغْنِي عن النَّفس أمَانيّ صَاحِبها، فاللهُ قَرَن الإيمانَ بالعَمَل في مَوَاطِن كثيرة مِن كتابِهِ الكَريم، وفي ذلك تأكيد على أهمية العمل، وأنه لازم للإيمان، وبهما يَسْتَحِقُّ المرْءُ جَنَّةَ رَبِّهِ سُبْحَانَه، ومما ورد في هذا الأمر قول الله تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[٨٧]، قال ابن عثيمين عن حديث أبي يعلى السابق: " **الكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِما بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هَواهَا، وتمَنَّى عَلَى اللَّهِ**"[٨٨] : [**ففي هذا الحديث: الحث علي انتهاز الفرص، وعلى أن لا يضيع الإنسان من وقته فرصة إلا فيما يرضي الله عز وجل، وان يدع الكسل والتهاون والتمني، فان التمني لا يفيد شيئا، كما قال الحسن البصري رحمه الله: (ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلِّي، ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال)**[٨٩]][٩٠].

اللهم أعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

***

[٨٧]) سورة البقرة، الآية: ٨٢.

[٨٨]) سنن الترمذي وقال: حديث حسن ٢٣٢٩.

[٨٩]) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٥٦١.

[٩٠]) شرح رياض الصالحين ١/ ٥٠٩.

المجلس (السَّابع)

التوكل على الله لجلب الأرزاق

عـنْ عُمَـرَ بـن الخَطَّـابِ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ أَنَّ رَسُـوْلَ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ: " **لَـوْ أَنَّكُـمْ تَتوَكَّلُوْن عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُوا خِمَاصاً وَتَرُوْحُ بِطَاناً**"[٩١].

الفوائد:

١/ من أعظم أسباب جلب الأرزاق صدق التَّوكُّل على الله، والاعتماد عليه دون سواه، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ، إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾[٩٢]، قال التستري بعد ذكر هذه الآية: [**التقوى التبرّي من الحول والقوة، والأسباب كلها دونه بالرجوع إليه يجعل له مخرجاً مما كلفه بالمعونة والعصمة من الطواف فيها، ولا يصح التوكل إلا للمتقين، ولا تصح التقوى إلا بالتوكل، لذلك قال الله تعالى: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، يعني من يكل أموره إلى ربه فإن الله تعالى يكفيه مهم الدارين أجمع**][٩٣].

فتظهـر حقيقـة التوكـل في صـدق اعتمـاد المخلـوق علـى الخـالق سـبحانه، الـذي بيـده مقاليـد الأمـور، فهـو العـالم بحـال خلقـه ومـا يصـلحهم، قـال تعـالى: ﴿ **أَلَا يَعْلَـمُ مَـنْ خَلَـقَ وَهُـوَ اللَّطِيـفُ الْخَبِيرُ**﴾[٩٤].

٢/ لا يَعْـنِي صِـدْق التوكـل علـى الله الغفلـة عـن الأخـذ بالأسـباب، كمـا أشـار الحـديث إلى ذلـك، فـالطَّيور تـذهب أول النهـار ضـامرة البطـون مـن الجـوع، ثم تبحـث عـن حاجتهـا، فترجـع

---

[٩١]) صحيح الترمذي ٢٣٤٤.

[٩٢]) سورة الطلاق، الآية: ٢،٣.

[٩٣]) تفسير التستري ١٧٠.

[٩٤]) سورة الملك، الآية: ١٤.

آخر النهار ممتلئة البطون بما قَدَّره الله لها من الرِّزق، فالواجب بذل أسباب جَلْب الرِّزق مع الاعتقاد بأن الله بيده الرِّزق، وهو أمر دعا إليه الشرع وحثَّ عليه، وأمَّا إظهار التَّوكُّل على الله دون الأخذ بالأسباب المطلوبة فليس ذلك توكُّلا بل تواكلاً، وهو أمر ذمَّهُ الشَّرع، وقد قال أهل العلم في حقيقة التوكل أنه يتمثل في أربعة أمور: [**صدق الاعتماد على الله، والثقة به، وحسن الظن، وفعل الأسباب**][٩٥]، قال الماتريدي: [**ثم ليس في قوله: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[٩٦] ما يدل على ترك الأسباب، ولكن لما رأى الناس يفزع بعضهم إلى بعض ويستغيث بعضهم ببعض، أمرهم أن يجعلوا المقصد والمفزع إلى اللَّه تعالى، وأن يصيروا هذه الأسباب كلها محنة عليهم، لا أن يروا أرزاقهم معصومة متعلقة بها، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾[٩٧] كيف أمر بإدراك فضله من تلك التجارة؛ فثبت أن هذه المكاسب كلها أسباب للخلق، بها يتوصلون إلى فضل اللَّه تعالى، وأن المقصد والمفزع فيها إلى الله**][٩٨].

٣/ مهما أوتي العبد من علمٍ وقُوَّةٍ وقُدْرَة وخِبْرَة وحِذْق ومَهَارة فإنه بحاجة إلى الله تعالى المعطي الوهَّاب، الغني الحميد، القوي القادر على كلِّ شيء، فبالله يتَحَقَّق للمرء ما كَتَبَه لَهُ من خَيْري الدُّنيا والآخرة، وبغيره سبحانه وعونه وتوفيقة لا يُغْني عن الإنسان ما يملكه مهما حاز مِن وَصْفٍ وقَدْرٍ، قال ربنا سبحانه: ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا، ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ، وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ**﴾[٩٩]، قال الطبري في تفسير هذه الآية: [**من الدواب ما لا يستطيع أن يدخر لغد، يوفق لرزقه كل يوم حتى يموت**][١٠٠]، وقال الماوردي عند قوله تعالى ﴿ **اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ**﴾: [**أي يسوي بين الحريص المتوكل في رزقه وبين الراغب القانع وبين الجلود والعاجز حتى لا يغتر الجلْد أنه رزق بجلده؛ ولا يتصور العاجز أنه ممنوع**

[٩٥]) تفسير القرآن الكريم ١/ ٢٦٦.
[٩٦]) سورة الطلاق، الآية: ٣.
[٩٧]) سورة الجمعة، الآية: ١٠.
[٩٨]) تفسير الماتريدي ١٠/ ٥٨.
[٩٩]) سورة العنكبوت، الآية: ٦٠.
[١٠٠]) تفسير الطبري ١٨/ ٤٣٧.

بعجزه، قال ابن عباس: نزلت هذه الآية لما أُذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة وأمر المسلمين بها خافوا الضيعة والجوع فقال قوم نهاجر إلى بلد ليس فيها معاش فنزلت هذه الآية فهاجروا][101]، وقال التستري عند قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[102]: [**يعني أنتم إليه في أنفسكم، فإن الله تعالى لما خلق الخلق حكم لعباده بالفقر إليه، وهو الغني، فمن ادعى الغنى حجب عن الله عزَّ وجلَّ، ومن أظهر فقره إليه أوصل الله فقره بغناه، فينبغي للعبد أن يكون مفتقراً إليه في السر، منقطعاً عن غيره، حتى تكون عبوديته محضة، إذ العبودية المحضة هي الذل والخضوع**][103]، وقال النيسابوري عند الآية السابقة: [﴿ **أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ**﴾، **المحتاجون إلى رزقه ومغفرته،** ﴿ **وَهُوَ الغَنِيّ**﴾ **عن عبادتكم** ﴿ **الْحَمِيدُ** ﴾ **إلى خلقه**][104].

٤/ كل شيء يجري في الكون بأمر الله، لا يكون ابتداءه وانتهاءه إلا برضاه؛ وهو سبحانه يكتب لكل عبد ما يشاء من الأقدار، ومن ذلك كتابة رزقه، الذي هو أمر من أمره سبحانه، وهو داخل في مشيئته، فلا يقدر الإنسان على جلبه إلا بإذنه، قال عز وجل: ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ، إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾[105]، قال الأخفش: [**ما تشاؤون من الخير شيئاً إلاّ أَنْ يشاءَ اللهُ أَنْ تَشاؤوه**].[106]، وقال الواحدي: [**أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه، وأنهم لا يقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله وتوفيقه، وهذا إعلام بأن الإنسان لا يعمل خيرًا إلا بتوفيق الله، ولا شرًا إلا بخذلانه**][107].

اللهم اكْفِنَا بِحَلَالِك عن حَرَامِك، وأغْنِنَا بِفَضْلِك عَمَّن سُوَاك، واجْعَلْنَا من المتوكِّلين عليك حَقَّ التَّوكُّل.

---

[101]) تفسير الماوردي ٤/ ٢٩٣.
[102]) سورة فاطر، الآية: ١٥.
[103]) تفسير التستري ١٢٩.
[104]) التفسير الوسيط ١٨/ ٤١٣.
[105]) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.
[106]) معاني القرآن للأخفش ١/ ٣٣٠.
[107]) التفسير الوسيط للواحدي ٤/ ٤٣٢.

المجلس (الثَّامن)

الاستقامة ثمرة الإيمان

عَنْ أَبِي عَمْرٍو وَقِيلَ: أَبِي عَمْرَةَ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: **قُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَك؛ قَالَ: قُلْ: آمَنْت بِاَللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ**"[١٠٨].

فوائد:

١/ ينبغي للإنسان المسلم أن يكون حريصاً على ما ينفعه، وخاصَّة ما يتعلَّق بأمر دينه، فبِهِ صلاح دنياه وآخرته، وليبحث عن مواطن الخير، ويُصاحب من يُوْصِلُه إلى ذلك، ويَسْأل من يَغْلب على ظنِّه أنَّ الجواب لديه عمَّا يحتاج إلى معرفته، وليكن قصده بذلك حفظ دينه وصلاح أمره عامَّة، وليجتهد بأن يُحقِّق الأكمل ممَّا يرجو، ويبلغ أقصى غاية ما يمكن الوصول إليه، وينال معالي الأمور وخيرها وأحسنها، وليَسْتَعِنْ على نَيْل ذلك كلِّه بالله تعالى، مع بذل الأسباب الممكنة، ومن ذلك الاستعانة بعد الله بمن لديه القدرة على التعاون في الوصول إلى ما سبق ذكْره، قال عليه الصَّلاة والسَّلام:" **احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز**"[١٠٩]، قال القرطبي: [**وقوله: " احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز" أي: استعمل الحرص والاجتهاد في تحصيل ما تنتفع به في أمر دينك ودنياك التي تستعين بها على صيانة دينك، وصيانة عيالك، ومكارم أخلاقك، ولا تفرط في طلب ذلك، ولا تتعاجز عنه متكلا على القدر، فتنسب للتقصير، وتلام على التفريط شرعا وعادة، ومع**

[١٠٨]) صحيح مسلم ٣٨.
[١٠٩]) صحيح مسلم ٢٦٦٤.

إنهاء الاجتهاد نهايته، وإبلاغ الحرص غايته، فلا بد من الاستعانة بالله، والتوكل عليه، والالتجاء في كل الأمور إليه، فمن سلك هذين الطريقين حصل على خير الدارين][١١٠].

٢/ إيمان المرء بربه سبحانه والاستقامة على ذلك طريق إلى كل خير، إذْ بِهِ تَظْهر حقيقة عبودية المؤمن لربه عزَّ وجل أولاً، والتي تتمثَّل في الاعتراف بالله تعالى الخالق المستحق للعبادة، ثم طاعته وامتثال أَمْره ثانياً، وهذا الذي يجب أن يكون عليه حال كُلّ امرئ في علاقته مع ربِّه تَعَالى وتَعَاظَم، وقد أجمل النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم الجواب على السَّائل كما سبق بقوله:" **قل آمنت بالله ثمَّ استقم**" كإرشاد هامٍّ لَهُ ثمَّ لكلِّ أتباع محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم من أمَّتِه، ويوافق تلك الوصية النبويةَّ مع بيان فضل المتمثِّل لها ما قاله الله سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾[١١١]، قال القاضي عياض: [**وقوله عليه السلام للذي سأله: " قل آمنتُ بالله ثم استقم ": هذا من جوامع كلمه عليه السلام وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[١١٢]، أي: وحَّدوا الله وآمنوا به، ثم استقاموا فلم يحيدوا عن توحيدهم ولا أشركوا به غيره والتزموا طاعته إلى أن توفوا على ذلك، وعلى ما قلناه أكثر المفسرين من الصحابة فمن بعدهم وهو معنى الحديث، إن شاء الله تعالى]**[١١٣].

٣/ يحتاج المسلم في حياته إلى دليل ومُرْشد وناصح وواعظ على الدَّوام، مهما بلغ عِلْمُه وصلاحُه وتَقْواه، فغِيَاب الموعظة وانعدام النصيحة وطُول الأمَد أمور تُورِث الغَفْلَةَ، وتُكسِبُ القلبَ قَسْوةً، وتُبعد عن جادَّة الصَّواب، وقد حثَّ الله على التَّذكير وأن به انتفاع المؤمن، ومما ورد في ذلك قوله سبحانه: ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[١١٤]، قال الماتريدي عند تفسير هذه الآية: [**جائز أن يكون الأمر بالتذكير للكل، ثم أخبر أن الذكرى تنفع المؤمنين، لا الكل، وجائز: فذكر المؤمنين؛ فإن منفعة الذكرى لهم، ولمن أنصف، دون المكابرين المعاندين، والله أعلم]**[١١٥]، وقال الزمخشري: [﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ**

---

[١١٠]) المفهم ٦/ ٦٨٢.

[١١١]) سورة فصلت، الآية: ١٠.

[١١٢]) سورة فصلت، الآية: ١٠.

[١١٣]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ١/ ٢٧٥.

[١١٤]) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

[١١٥]) تفسير الماتريدي ٩/ ٣٩٤.

الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[116]، **أي تؤثر في الذين عرف الله منهم أنهم يدخلون في الإيمان، أو يزيد الداخلين فيه إيمانا]**[117]، كما بين عاقبة طول الأمد وأنَّها سبب قسوة القلوب كما في قوله عز وجلَّ: ﴿ **وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ، وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**[118]، قال النيسابوري في تفسير هذه الآية: **[والمعنى: أنه نهى المؤمنين أن يكونوا في صحبة القرآن كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر، ولهذا قال القرطبي: يجب أن يزداد المؤمن إيمانًا ويقينًا وإخلاصًا في طول صحبته الكتاب]**[119]، فنصيحة المسلم لأخيه: [**أساس الدين وعماده، وهي من أعظم مكارم الأخلاق، ومن أعظم خصال المؤمن، ومن الدلائل على صفاء القلب، ومحبة الخير للمسلمين**][120].

اللهمَّ ارزقنا الإيمان واليقين والاستقامة على ذلك، وثبِّتنا على دينك حتَّى نلقاك.

***

[116]) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

[117]) تفسير الزمخشري ٤/ ٤٠٥.

[118]) سورة الحديد، الآية ١٦.

[119]) التفسير البسيط ٢١/ ٢٩٥.

[120]) منحة العلام في شرح بلوغ المرام ١٠/ ٣٦٥.

المجلس (التَّاسع)

المبادرة بالأعمال الصالحة قبل فوات الأوان

عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صـلى الله عليـه وسـلم قَـالَ: " **بَادِرُوا بِالأَعْمَـالِ فِتَنـا كَقِطَـعِ اللَّيْـلِ الْمُظْلِـمِ. يُصْـبِحُ الرَّجُـلُ مُؤْمِنـاً وَيُمْسِـي كَـافِراً، أوَ يُمْسِـي مُؤْمِنـاً وَيُصْـبِحُ كَـافِراً، يَبِيـعُ دِينَـهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**"[١٢١].

الفوائد:

١/ المبـادرة والمسـابقة إلى فِعْـل الطَّاعـات والقـرُبَات دَعْـوة ربَانيـة ونَبَويّـة، قـال الله تعـالى: ﴿ **وَسَـارِعُوا إِلَى مَغْفِـرَةٍ مِـنْ رَبِّكُـمْ وَجَنَّـةٍ عَرْضُـهَا السَّـمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِـدَّتْ لِلْمُتَّقِـينَ**﴾[١٢٢] ، وعـن أبي هريـرة رضـيَ اللَّه عنـه أَنَّ رَسُـولَ اللَّه صَـلّى اللهُ عَلَيْـهِ وسَـلَّم قَـال: " **بادِروا بالأعمـالِ سـبعًا: هـل تنظـرون إلا فقـرًا مُنسِـيًا، أو غـنًى مُطغِيًـا، أو مرضًـا مُفسِـدًا، أو هرَمًـا مُفنِّـدًا أو مـوتًا مُجهِـزًا، أو الـدَّجَّالَ فشـرُّ غائـبٌ يُنتَظـرُ، أو السَّـاعةُ فالسَّـاعةُ أدهـى وأمـرُّ**"[١٢٣]، قـال القاضـي عيـاض: [**وفائـدة المبـادرة بالعمـل إمكانـه قبـل شـغل البـال والحشـد بالفـتن، وقطعهـا عـن العمـل**][١٢٤]، وقـال ابـن رجـب في شـرح هـذا الحـديث: **[والمـرادُ مـن هـذا أنَّ هـذه الأشـياء كلَّهـا تعـوقُ عـن الأعمـال، فبعضُـها يشـغل عنـه، إمَّـا في خاصّـة الإنسـان، كفقـره وغنـاه ومرضـه وهرمـه وموتـه؛ وبعضُـها عـامٌّ، كقيـام السـاعة، وخـروج الـدجال، وكـذلك الفـتنُ المزعجـةُ، كمـا جـاء في حـديث آخـر: " بادروا بالأعمـال فتنـاً كقطـع الليـل المظلـم"** [١٢٥]،

[١٢١]) صحيح مسلم ١١٨.
[١٢٢]) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.
[١٢٣]) سنن الترمذي وقال حديث حسن ٢٣٠٥.
[١٢٤]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ١/ ٤٠٥.
[١٢٥]) صحيح مسلم ١١٨.

وبعضُ هذه الأمور العامّة لا ينفع بعدها عملٌ، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾[١٢٦]**]**[١٢٧].

٢/ المسلم الموفَّق يُسَارع إلى الطَّاعة بأنواعها قبل وقوع الفتن المضِلَّة، السَّالكة بمن وقَعَت به سُبُلَ الغِوَاية، فالأعمال الصَّالحة سبب صارف للفتنة من أساسها، أو مانع للوقوع في شِرَاكها إن حلّت بقوم وهو فيهم، فالفِتَن ممَّا قد يُبْتَلى به المرء في دينه، سواء فتن الشَّهوات أو الشُّبهات، وما أكثرها وأضرَّها عليه، إلا أن يحفظه الله، قال القرطبي رحمه الله: **[لأن المِحَن والشدائد إذا توالت على القلوب أفسدتها بغلبتها عليها، وبما تؤثر فيها من القسوة و الغفلة التي هي سبب الشقوة]**[١٢٨]، قال ابن هبيرة عند شرح حديث السابق: " **بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ..**"[١٢٩]: **[في هذا الحديث من الفقه الحث على مبادرة الفتن بالأعمال، فإن من الفتن ما يعرض للقلوب فتصبح مؤمنة وتمسي كافرة في تلك الفتنة، فتثبط العامل عن عمله، أو بعمله ما يعمل على ارتياب وشك؛ فلا ينفعه عمله، وهذه الفتن قد يكون فيها ما يعم الناس، وقد يكون فيها ما يخص، وأن منها الكلمة الخبيثة؛ التي يقذفها الشيطان على لسان ولي من أولياء الشيطان ليقولها، إما جادا أو هازلا، ليسمعها الضعيف القلب فيفتتن بها؛ الفتنة التي لا يخلص منها إلى يوم القيامة؛ لأن القلوب كثيرة التقلب من ربقة الحق، شديدة التطلع إلى منافذ الضلال، فإذا قذف في روعها شيء من المضللات وجد عندها داء قاتلا وشرا مستعدا، كالنار التي تقع في الخراق، فينبغي للإنسان أن يكون أشد خوفا وحذرا على دينه وإيمانه، متعاهدا له بالذكر ومدارسة القرآن وامتثال أمر القرآن بالنظر والتدبر والفكر المؤدي له إلى الحق صباح مساء؛ بل في كل وقت ونفس وساعة]**[١٣٠].

---

[١٢٦]) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

[١٢٧]) جامع العلوم والحكم ٣/ ١١٣٨.

[١٢٨]) المفهم، ١/٣٣٢٦.

[١٢٩]) صحيح مسلم ١١٨.

[١٣٠]) الإفصاح عن معاني الصحاح ٨/ ١٦٤.

٣/ الفِتَنُ عَدِيْدَة ومُتَنَوِّعَة، وبعضها أسرع أثَراً من بعض، والمسلم على خَطَر منها، مَهْمَا بَلَغ عِلْمُه وصَلَاحُه، وقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: **كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ يُكْثِرُ أن يقولَ: " يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قَلبي على دينِكَ"، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، آمنَّا بِكَ وبما جئتَ بِهِ فَهَل تخافُ علَينا؟ قالَ: نعَم، " إنَّ القُلوبَ بينَ إصبُعَيْنِ مِن أصابعِ اللَّهِ يقلِّبُها كيفَ شاءَ"**[١٣١]، قال الشيرازي بعد ذكر هذا الحديث: [**قوله: " يا نبي الله آمنا بك ... " إلى آخره؛ يعني: يا رسولَ الله! ليس قولُك: ثبِّت قلبي على دينك لأجل نفسك؛ لأنك معصومٌ عن الخطأ والزَّلَّة، خصوصًا عن تقلُّب قلبك عن الدين، وإنما تقول هذا ومرادُك أمَّتُك؛ لتعلم أمَّتُك هذا الدعاءَ، ولا يَأمَنُوا من زوال نعمة الإيمان، "فهل تخاف علينا" من أن نَرتدَّ عن الدين بعد أن آمنَّا بك وبما جئت به من الدين؟ فقال عليه السلام: "نعم"؛ يعني: أخاف عليكم؛ فإن القلوبَ بمشيئة الله تعالى يقلبها كيف يشاء من الإيمان إلى الكفر، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الطاعة إلى العصيان، ومن العصيان إلى الطاعة؛ فلا ينبغي لأحدٍ أن يَأمَنَ زوالَ نعمة الله التي أنعمها عليه، بل ينبغي أن يخافَ ويتضرَّعَ ويسألَ إثباتَ نعمة الإيمان والإسلام والطاعة، وغير ذلك من نِعَمِ الله عليه**][١٣٢]، فلا يَحْجِز المرء عن الوقوع في الفتن والعياذ بالله من ذلك إلا حِفْظُ الله، ثم الاعتصام به وطاعته سبحانه على الدَّوَام، التي هي صمام الأمان من كلِّ فتنة بفضله ومنه وكَرَمه.

٤/ ما أسرع وقوع المرء في الفتنة إن توفَّرت أسباب الوقوع، وانعدمت أو ضَعُفَت أسباب الحفظ، فقد يكون السقوط مُدَوِّيًا ولأتفه الأسباب، لهشاشة الأساس، وضعف السَّير إلى الله تعالى، وقد أشار الله سبحانه إلى مثل هذا الحال وفيه أعظم العبر والعظات؛ فقال عزَّ وجل في مُحْكَم كتابه: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ، فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، ذلك هو الخسران المبين**﴾[١٣٣]

---

[١٣١]) صحيح الترمذي ٢١٤٠.

[١٣٢]) المفاتيح في شرح المصابيح ١/ ٢٠٨.

[١٣٣]) سورة الحج، الآية: ١١.

، قال الطبري في تفسير هذه الآية: [**يعني جلّ ذكره بقوله ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ أعرابا كانوا يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، مهاجرين من باديتهم، فإن نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة والدخول في الإسلام أقاموا على الإسلام، وإلا ارتدّوا على أعقابهم، فقال الله ﴿ ومن الناس من يعبد الله﴾ على شك، ﴿ فإن أصابه خير اطمأن به﴾ وهو السعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا اطمأنّ به يقول: استقرّ بالإسلام وثبت عليه ﴿ وإن أصابته فتنة﴾ وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا (انقلب على وجهه﴾ يقول: ارتدّ فانقلب على وجهه الذي كان عليه من الكفر بالله**][١٣٤]، ففي هذا الحال الخطير من العظة والعبرة ما يدعو إلى مراجعة الإنسان المسلم لنفسه؛ وتصحيح أخطائها؛ والإقبال على الله بصدق؛ وتوجيهها إلى ربها وخالقها بكامل الإقبال والتوجُّه، مع الدعاء بالهداية والثبات حتى الممات، وأما نتيجة ما سبق في الآية السابقة فإن ثمرة كل عبادة بغير استقامة هو الخسران، قال الطبري: [**وقوله ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ﴾ يقوله: غَبِن هذا الذي وصف جلّ ثناؤه صفته دنياه، لأنه لم يظفر بحاجته منها بما كان من عبادته الله على الشك، ووضع في تجارته فلم يربح، والآخرة: يقول: وخسر الآخرة، فإنه معذّب فيها بنار الله الموقدة، وقوله ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ يقول: وخسارته الدنيا والآخرة هي الخسران: يعني الهلاك المبين: يقول: يبين لمن فكّر فيه وتدبره أنه قد خسر الدنيا والآخرة**][١٣٥]، وقال التستري في بيانٍ مجملٍ عن الآية السابقة: [**يعني الذي يتبع الهوى إن رضي قلبه وفرحت نفسه بعاجل حظها اطمأن به، وإلا رجع إلى ما يدعوه الهوى من الكفر**][١٣٦]، فلا مخرج للمؤمن إذاً سوى بالعودة إلى الله والاجتهاد الصَّادق في طاعته والاعتصام به سبحانه.

اللهم حَبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الرَّاشدين، اللهم يا مقلب القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك.

---

[١٣٤]) تفسير الطبري ١٨/ ٥٧٥.

[١٣٥]) تفسير الطبري ١٨/ ١٧٧.

[١٣٦]) تفسير التستري ١٠٦.

المجلس (العاشر)

نعمتا الصحة والفراغ

عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: " **نِعْمَتَان مَغْبُوْن فيهما كَثيرٌ من النَّاس الصِّحَّة والفَراغ**"[١٣٧].

فوائد:

١/ من أعظم النّعم التي نالها الإنسان من ربِّه سبحانه وتعالى الصّحة والفراغ، فبِهما يكون عمل الدُّنيا والآخرة، ولولاهما لَعَجِز عن فِعْل ما يَرْجو، فإن استعملهما فيما ينفعه من أمر دينه أو دنياه فقد وُفِّق لِخَيْرٍ عظيمٍ، وإن استعملهما فيما لا ينفعه أو أهملهما أو عمل بالمفضول من الأعمال وترك الفاضل فهو مغبون، لأنه أضاع أو قصّر في تحقيق الحكمة التي من أجلها نال نِعَم ربِّه عليْه؛ بقدر تقصيره في العمل، لأنهما كما قال بعض أهل العلم: [**كرأس المال للمكلف**][١٣٨]، وقال ابن الجوزي عند شرحه للحديث السابق: [**اعْلَم أَنه قد يكون الْإِنْسَان صَحِيحا وَلَا يكون متفرغا لِلْعِبَادَةِ لاشتغاله بِأَسْبَاب المعاش، وَقد يكون متفرغا من الأشغال وَلَا يكون صَحِيحا فَإِذا اجْتمعَا للْعَبد ثمَّ غلب عَلَيْهِ الكسل عَن نيل الْفَضَائِل فَذَاك الْغبن كَيفَ وَالدُّنْيَا سوق الرباح، والعمر أقصر، والعوائق أَكثر**][١٣٩]، وقال ابن بطال في معنى الحديث كلاما فيه تفصيل مفيد: [**قال بعض العلماء: إنما أراد صلى الله عليه وسلم بقوله: " الصحة والفراغ نعمتان"؛ تنبيه أمته على مقدار عظيم نعمة الله على عباده في الصحة والكفاية؛ لأن المرء لا يكون فارغًا حتى يكون مكفيا مؤنة العيش في الدنيا، فمن أنعم الله عليه بهما فليحذر أن يغبنهما، ومما يستعان به على دفع الغبن أن يعلم العبد أن الله تعالى خلق الخلق من غير ضرورة إليهم، وبدأهم بالنعم الجليلة من غير**

---

[١٣٧]) صحيح البخاري ٦٤١٢.

[١٣٨]) تفسير حدائق الروح ٢٩/ ٢٦٥.

[١٣٩]) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٢/ ٤٣٧.

استحقاق منهم لها، فمنّ عليهم بصحة الأجسام وسلامة العقول، وتضمن أرزاقهم، وضاعف لهم الحسنات ولم يضاعف عليهم السيئات، وأمرهم أن يعبدوه ويعتبروا بما ابتدأهم به من النعم الظاهرة والباطنة، ويشكروه عليها بأحرفٍ يسيرة، وجعل مدة طاعتهم في الدنيا منقضية بانقضاء أعمارهم، وجعل جزاءهم على ذلك خلودًا دائمًا في جنات لا انقضاء لها، مع ما ذخر لمن أطاعه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فمن أمعن النظر في هذا كان حريًا ألا يذهب عنه وقت من صحته وفراغه إلا وينفقه في طاعة ربه، ويشكره على عظيم مواهبه والاعتراف بالتقصير عن بلوغ كنه تأدية ذلك، فمن لم يكن هكذا وغفل وسها عن التزام ما ذكرنا، ومرت أيامه عنه في سهو ولهو وعجز عن القيام بما لزمه لربه تعالى فقد غبن أيامه، وسوف يندم حيث لا ينفعه الندم][١٤٠]، فتبين من النصوص العديدة وكلام أهل العلم والفضل السابق وغيره من الكلام أن أمر الصحة والفراغ عظيم، بقدر عظمة ما يحملان من أمور لها شأن، وهما كسائر النعم التي يسأل الله عنها الإنسان يوم القيامة، كما قال ابن رجب: [**فَهَذِهِ النِّعَمُ مِمَّا يُسْأَلُ الْإِنْسَانُ عَنْ شُكْرِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُطَالَبُ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾**[١٤١]][١٤٢].

٢/ النَّبِيْه من الناس والعاقل منهم هو الذي يُسارع ويُبادر باستغلال ما وَهَبَهُ اللهُ له من الصّحة والفراغ وغيرهما من النّعم؛ بفِعْل ما ينفعه من أنواع الخير خشية فواتها قبل فعل ما يجب، فلُكلِّ شيء وقته وأوانه، فما يقدر عليه اليوم قد يعجز عن فعله غدا، وما هو ممكن اليوم قد يكون غير ممكن غدا، وفي مثل هذا يقول النبي صلَّى الله عليه وسلم واعظاً وموصِيَاً كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: " **اغتنِمْ خمسًا قبل خمسٍ : شبابَك قبل هَرَمِك، وصِحَّتَك قبل سَقَمِك، وغناك قبل فقرِك، وفراغَك قبل شُغلِك، وحياتَك قبل**

[١٤٠]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/ ١٤٦.
[١٤١]) سورة التكاثر، الآية: ٨.
[١٤٢]) جامع العلوم والحكم ٢/ ٧٦.

موتِك"[١٤٣]، قال القسطلاني: [**فالعاقل إذا أمسى لا ينتظر الصباح وإذا أصبح لا ينتظر المساء بل يظن أن أجلهُ يدركه قبل ذلك؛ فيعمل ما يلقى نفعه بعد موته؛ ويبادر أيام صحته بالعمل الصالح؛ فإن المرض قد يطرأ فيمنع من العمل؛ فيخشى على من فرط من ذلك أن يصل إلى المعاد بغير زاد؛ فمن لم ينتهز الفرصة يندم**][١٤٤].

٣/ الصّحة والفراغ نعمتان مترابطتان، والمرء الصَّحيح المعافى المالك للوقت قادر على العطاء والبذل إن أراد فعل شيء بإذن الله، لكنه يحتاج إلى الإرادة والعزيمة في فعل ما يجب، وهذا هو أصل التفاوت بين الناس، ولأجله يكون الغَبْن زيادةً ونقصاً، وبذلك لزم تربية النفس على العزيمة والرغبة الباعثة على العمل، ومعرفة ما يجب فعله من خلال بذل الأسباب المطلوبة، وتوفير الدوافع الموصلة إلى الإنجاز في كل فرصة ممكنة، ونبذ بواعث الجمود والخمول والتسويف، والاستعاذة بالله من العجز والكسل، فهما من أعظم أسباب حرمان العبد من نَيْل خَيْرات الدنيا والآخرة، وقد تعوّذ النبي صلى الله عليه وسلم منهما، وفي ذلك دلالة على خَطَرِهما؛ قال صلى الله عليه وسلم: " **اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل**"[١٤٥]، والفرق بينهما كما قال ابن حجر: [**أَنَّ الْكَسَلَ تَرْكُ الشَّيْءِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْأَخْذِ فِي عمله؛ وَالْعجز عدم الْقُدْرَة**][١٤٦]، وقال القاضي عياض: [**وقوله: " وأعوذ بك من العجز والكسل ": تقدم تفسير العجز؛ وأنه يحتمل أن يكون على ظاهره من عدم القدرة؛ وقيل: هو ترك ما يجب فعله والتسويف به، ويحتمل أن يريد به عمل الطاعات، ويحتمل عموم أعمال الدنيا والآخرة، والكسل يكون بهذا المعنى، وقيل: هو فترة تقع بالنفس تثبط عن العمل، استعاذ منهما، لأنهما يمنعان من أداء الحقوق والمسارعة إلى الخيرات، وترك الاكتساب للعيال وداعيه إلى الحاجة إلى الناس**][١٤٧]، وقال ابن بطال عند شرح عناصر الحديث السابق: [**وكذلك الاستعاذة من العجز والكسل لأنهما يمنعان العبد من أداء حقوق الله وحقوق نفسه وأهله، وتضييع النظر في أمر معاده وأمر دنياه، وقد**

---

[١٤٣]) صحيح الترغيب ٣٣٥٥.

[١٤٤]) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٩/ ٢٣٨.

[١٤٥]) صحيح البخاري ٦٣٦٧.

[١٤٦]) فتح الباري لابن حجر ٦/ ٣٦.

[١٤٧]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/ ٢٠٣.

أمر المؤمن بالاجتهاد في العمل والإجمال في الطلب؛ ولا يكون عالةً ولا عيالاً على غيره؛ ما متّع بصحة جوارحه وعقله][١٤٨].

اللهم إنا نعوذ بك من العجز والكسل.

اللهم وفِّقنا لما تُحبّ وتَرضى، وأعِنَّا على ذِكْرك وشُكْرك وحُسْن عِبَادتك، وأكرمنا بخيري الدنيا والآخرة.

***

[١٤٨]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/ ١١٩.

المجلس (الحادي عشر)

ما يحجب المرء عن النار وعن الجنة من الأعمال

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **حُجِبَت النَّار بالشَّهَوَات، وحُجِبَت الجَنَّة بالمكَارِه**"[١٤٩]، وفي رواية مسلم: " **حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمكَارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ**"[١٥٠]، قال الإمام النووي: وتحمل ذات المعنى.

الفوائد:

١/ حُجِبَت النَّار بالشَّهَوات، والمراد المحرَّمة منها، وقد بيَّنها الله تعالى في كتابه، وبيَّنها رسولُه صلى الله عليه وسلم في سنَّته، ومنها الزِّنا والرِّبا والخَمْر وغيرها من الشَّهوات التي ورد النَّص بتحريمها، وكذلك ما هو في حكمها، فإذا اجتنب المسلم الشَّهوات المحرَّمة خوفاً من الله كانت له وقايةً وحجاباً وحاجزاً من الوقوع في النّار، وإن اقترفها هَتَك ذلك الحجاب وفتح باباً إلى النَّار عِيَاذاً بالله، إلا أن يتوب الله عليه، قال ابن بطال الحديث عن السابق أنه: [**من جوامع الكلم، وبديع البلاغة، في ذم الشهوات والنهي عنها، وإن كرهتها النفوس وشق عليها لأنه إذا لم يكن يوم القيامة غير الجنة والنار ولم يكن بد من المصير إلى إحداهما فواجب على المؤمنين السعي فيما يدخل إلى الجنة وينقذ من النار، وإن شق ذلك عليهم؛ لأن الصبر على النار أشق، فخرج هذا الخطاب منه صلى الله عليه وسلم بلفظ الخبر وهو من باب النهي والأمر**][١٥١].

---

[١٤٩]) صحيح البخاري ٦٤٨٧.

[١٥٠]) صحيح مسلم ٢٨٢٢.

[١٥١]) شرح صحيح البخاري ١٠/ ١٩٨.

٢/ وحُجِبَت الجنة بالمكَاره، فكُلُّ مشقةٍ وتعبٍ صَاحَبَ عملاً من أعمال الطَّاعة لله ورسوله يمثِّل حِجَاباً بين المسلم والجنَّة، فإذا قام المرء المسلم بالعمل وصَبر على المكَاره التي تواجهه وجاهد نفسه؛ واستشعر بذلك القُرْبَ من الله وابتغاء وجْهه؛ وكذلك منع نفسه من فعل المحرمات وصرف نفسه عنها؛ وجاهد نفسه لأجل ذلك؛ فقد أُزِيْح بفعله ذلك الحجاب والحاجز بينه وبين الجنة؛ واختار الطريق الموصل إليها، وفتحُ ما بينه وبينها بفضل الله وكرمه، وما ورد في الحديث السابق يبين هذا المعنى؛ وهو أن اجتناب المحرمات ومنع النفس من فعلها؛ وفعل الطاعات والصبر على ذلك، طريق إلى الجنة والنجاة من النار، قال الشيرازي في شرح الحديث: [**قوله: "حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره"؛ أي: حفَّت النار وأُدير حولها الطيباتُ وما تشتهيه الأنفس، والجنة على عكس هذا، فمَن فعل ما اشتهته نفسه فقد سلك طريق النار، ومَن منع نفسه عما تشتهيه فقد سلك طريق الجنة**][١٥٢]، وقال الطيبي في شرح الحديث: [**معناه لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره، والنار إلا بارتكاب الشهوات؛ ولذلك هما محجوبتان بهما، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات، وأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات والمواظبة عليها، والصبر عن الشهوات ونحو ذلك، وأما الشهوات التي النار محفوفة بها، فالظاهر أنها الشهوات المحرمة كالخمر والزنا والغيبة ونحو ذلك، وأما الشهوات المباحة فلا تدخل في هذا**][١٥٣].

٣/ ينَالُ العَبْد خيرَ الدُّنيا والآخرة بالصَّبر، ويَصرفُ الله عنه شرَّ الدُّنيا والآخرة بالصَّبر، فيصبر على فعل الطَّاعة ويجاهد نفسه ليؤدِّيها كما يجب، ويصبر عن فعل المعصية ويخالف هوى نفسه إذا دَعَتْه إلى ارتكابها، ويصبر على البلاء إذا نزل؛ ويحتسب كل ذلك عند ربه سبحانه؛ فينال بصبره كرامة الله في الدنيا والآخرة، في الدُّنيا بطيْب الحياة حين وفَّقه الله فاستقام على أمره؛ واجْتَنَبَ نَهْيَه؛ ورضي عن ربه بما قضاه وقدره؛ وهو صابر محتسب، ويوم يلقاه بما وَعَده سبحانه من الثَّواب؛ وما أعدَّ لعباده من النَّعيم

[١٥٢]) المفاتيح في شرح المصابيح ٥/ ٢٧٥.
[١٥٣]) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٠/ ٣٢٧٤.

المقيم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[١٥٤]، قال الطبري: [**إنما يعطي الله أهل الصبر على ما لقوا فيه في الدنيا أجرهم في الآخرة بغير حساب**][١٥٥]، وقال الماتريدي: [**ويحتمل قوله: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، وجوهًا: أحدها: ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: بغير تبعة ولا مئونة؛ كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: " من نوقش الحساب عذب "، أو ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: لا يحاسبون؛ لما ليس وراء تلك الدار الآخرة دار أخرى يحاسبون فيها ما أعطوا في الآخرة ليس كدار الدنيا يحاسب من أوتوا فيها في الآخرة، وأما ما أعطوا في الآخرة فلا يحاسبون في غيرها، وحمل ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، أي: غير مقدر بالحساب، ولكن أضعافًا مضاعفة، ويحتمل ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، أي: بلا نهاية ولا غاية، والله أعلم، ثم الصبر: هو حبس النفس إما على أداء ما أمر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه، أو حبسها وكفها في احتمال ما حملت من الشدائد والمصائب والمؤن العظام، احتملوا ذلك ولم يجزعوا، وهو ما ذكر في غير آي من القرآن: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[١٥٦]، وقوله: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[١٥٧]، ونحوه**][١٥٨].

اللهـمَّ إنَّا نسـألك الجنـةَ ومـا قـرَّب إليهـا مـن قـول وعمـل، ونعـوذ بـك مـن النَّـار ومـا قـرَّب إليها من قول وعمل.

***

[١٥٤]) سورة الزمر، الآية: ١٠.
[١٥٥]) تفسير الطبري ٢٠/ ١٧٩.
[١٥٦]) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.
[١٥٧]) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.
[١٥٨]) تفسير الماتريدي ٨/ ٦٦٦.

المجلس (الثَّاني عشر)

ما يتبع الميت إلى قبره

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **يتبعُ الميِّتَ ثلاثةٌ: أهلُه ومالُه وعملُه، فيرجِعُ اثنانِ ويبقَى واحِدٌ، يرجعُ أَهلُه ومالُه ويبقى عملُهُ**"[١٥٩].

الفوائد:

١/ من تمام حياة الإنسان أهله وماله، وهما معه على أحوال: **الأوَّل**: أنهما يُعِيْنَاه على الطَّاعة، ويُعِيْنَاه على اجتناب المعصية، وهذا أحسن أحواله معهما، **والثَّاني**: أنهما لا يُعِيْنَاه على الطَّاعة بل يُعِيْنَاه على المعصية، وهذا أسوأ الأحوال، **والثَّالث**: أنهما يُعِيْنَاه على الطَّاعة ويُعِيْنَاه على المعصية، وهذا حال وسط جمع بين الخير والشَّر، وصاحب الحال الثَّاني والثَّالث في خَطَر إن لم يتداركهما الله بالتَّوبة واليقَظة من الغفْلة، وقد حذَّر الله من التِهَاء الإنسان بالمال والأهل عن ذكر الله، ووصَف ذلك بالخسارة كما في قوله سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[١٦٠]، قال القشيري عند تفسير هذه الآية: [**لا تضيّعوا أمور دينكم بسبب أموالكم وأولادكم بل آثروا حقّ الله، واشتغلوا به يكفكم أمور دنياكم وأولادكم فإذا كنت لله كان الله لك**][١٦١]، وقال الكرماني في وجوب الاعتناء بالنفس: [**لا تؤثروا حبَّها على ما فيه فلاحُكُم، فإن من بخس نفسَه حقَّها، فقد خسر خُسراناً مبيناً**][١٦٢]، وقال الزمخشري: [**لا تُلْهِكُمْ: لا تشغلكم أَمْوالُكُمْ والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها والتهالك على**

[١٥٩]) صحيح البخاري ٦٥١٤، صحيح مسلم ٢٦٩٠.

[١٦٠]) سورة المنافقون، الآية: ٩.

[١٦١]) لطائف الإشارات ٣/ ٥٩٠.

[١٦٢]) لباب التفسير ٣٢٧١.

طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال، وابتغاء النتاج والتلذذ بها، والاستمتاع بمنافعها وَلا أَوْلادُكُمْ وسروركم بهم، وشفقتكم عليهم، والقيام بمؤنهم، وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم، وقد عرفتم قدر منفعة الأموال والأولاد، وأنه أهون شيء وأدونه في جنب ما عند الله عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وإيثاره عليها، وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يريد الشغل بالدنيا عن الدين فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ في تجارتهم، حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني][١٦٣].

٢/ حريٌّ بالمسلم استدراك حاله والنَّظر بنظر البصيرة في مآله وما هو إليه صائر، وأنَّ الدُّنيا ظلّ زائل، فلا ينشغل بالذي هو أدنى عن الذي هو خير، وليعجِّل بفعل الصَّالحات فهو إما مُفَارِق أو مُفَارَق، وقد ورد في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: " **أتاني جبريل فقال: يا محمَّد! عش ما شئت فإنَّك ميّت، وأحْبِب من شِئْت فإنَّك مُفَارقه، واعْمَل ما شئت فإنَّك مَجْزِيٌّ به، واعْلم أن شَرَف المؤمن قيَامُه بالليل، وعِزّه استِغْناؤه عن النَّاس**"[١٦٤]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: " **الكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِما بَعْدَ الْموْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هَواهَا، وتمَنَّى عَلَى اللَّهِ**"[١٦٥]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: " **أخَذَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بمَنْكِبِي، فَقَالَ: كُنْ في الدُّنْيَا كَأنَّكَ غَرِيبٌ أوْ عَابِرُ سَبِيلٍ. وكانَ ابنُ عُمَرَ يقولُ: إذَا أمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وإذَا أصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**"[١٦٦]، قال ابن بطال: [**فشبه الإنسان في الدنيا بالمسافر، وكذلك هو على الحقيقة؛ لأن الدنيا دار نقلة وطريق إلى الآخرة، فنبَّه أمته أن يغتنموا أوقات فرصتهم وفراغهم، والله الموفق**][١٦٧]، وقال الكرماني: [**(كأنك غريب) كلمة جامعة لأنواع النصائح؛ إذ الغريب لقلة معرفته بالناس قليل الحسد والعداوة والحقد والنفاق والنزاع؛ وسائر الرذائل التي منشأها**

---

[١٦٣]) تفسير الزمخشري ٤/ ٥٤٣.

[١٦٤]) الجامع الصغير ٨٩.

[١٦٥]) سنن الترمذي، وقال حديث حسن ٢٤٥٩.

[١٦٦]) صحيح البخاري ٦٤١٦.

[١٦٧]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/ ٩٧.

الاختلاط بالخلائق، ولقلة إقامته قليل الدار والبستان والمزرعة والأهل والعيال وسائر العلائق التي هي منشأ الاشتغال عن الخالق][168]، فما سبق من النصوص بها دعوة إلى مراقبة النفس، ومعاتبتها حال مخالفتها، وتذكيرها بما عند الله من الجزاء على الخير أو الشر، حتى تستقيم على أمر الله، وتبتعد عما نهى عنه سبحانه، هذا هو تعامل المسلم مع نفسه في حاله الطبيعي معها، وأما حال قدوم الإنسان على ربه، وقرب أجله، واستشعار ساعة لقاء الله تعالى، فالأمر يختلف بما يناسب الحال، كما قال القرطبي: [**وهذا إنما يكون في حالة الصحة والقوة على العمل، وأما في حال حضور الموت فليس ذلك الوقت وقتا يقدر فيه على استئناف غير الفكر في سعة رحمة الله تعالى وعظيم فضله، وأنه لا يتعاظمه ذنب يغفره، وأنه الكريم الحليم الغفور الشكور المنعم الرحيم، ويذكر بآيات الرخص وأحاديثها، لعل ذلك يقع بقلبه، فيحب الله تعالى، فيختم عليه بذلك، فيلقى الله تعالى، وهو محب لله تعالى، فيحشر في زمرة المحبين بعد أن كان في زمرة الخطائين، ويشهد له قوله: يبعث كل عبد على ما مات عليه**][169].

٣/ الصَّالح من عباد الله هو الذي يتزوَّد في الدُّنيا بفعل الطَّاعات، ويجاهد نفسه عن الوقوع في المعاصي والمنكرات، وإن وقع في شيء منها سارع إلى التوبة والاستغفار، استجابة لنداء الله تعالى القائل: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[170]، وطمعاً في وعده سبحانه بمغفرة جميع ذنوبه وسيئاته كما في قوله عزَّ وجل: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ اَسْرَفُوا عَلَى اَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ اِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً اِنَّهُ هُوَ الغَفُوْرُ الرَّحِيْم**﴾[171]، وإن من أسباب محو السَّيئات فعل الحسنات كما قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ**﴾[172]، قال القشيري في تفسير هذه الآية: [**الحسنات ما يجود بها الحق، والسيئات ما يذنبها العبد، فإذا دخلت حسناته على قبائح**

[168]) الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري ٢٢/ ١٩٤.
[169]) المفهم ٧/ ١٤٣.
[170]) سورة النور، الآية: ٣١.
[171]) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
[172]) سورة هود، الآية: ١٤.

العبد محتها وأبطلتها][173]، وقال ابن كثير: [**وقوله: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، يقول: إِنَّ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ السَّالِفَةَ]**[174]، ومن أعظم وأهم الحسنات التي تكفر السيئات أداء الصلوات الخمس، وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن الحسنات المذكورة في الآية السابقة هي الصلوات الخمس، كما نقل ذلك ابن الجوزي عند تفسيره للآية فقال: [**قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ في المراد بالحسنات قولان: أحدهما: أنها الصلوات الخمس، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وابن المسيب، ومسروق، ومجاهد، والقرظي، والضحاك، والمقاتلان: ابن سليمان، وابن حيان، والثاني: أنها سبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، رواه منصور عن مجاهد، والأول أصح، لأن الجمهور عليه]**[175]، ومما يؤكد هذا المعنى الذي ذهب إليه الجمهور ما ورد في الحديث عن الحارث مولى عثمان قال: [**جَلَسَ عُثمانُ رَضيَ اللهُ عنه يَومًا وجَلَسْنا معه، فجاءَ المُؤذِّنُ فدَعا بماءٍ في إناءٍ أظُنُّه يَكونُ فيه مُدٌّ، فتَوضَّأ، ثم قال: رَأيتُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَتوَضَّأُ وُضوئي هذا، ثم قال: مَن تَوضَّأ وُضوئي هذا ثم قامَ يُصلِّي صَلاةَ الظُّهرِ غُفِرَ له ما كان بَينَه وبَينَ الصُّبحِ، ثم صَلَّى العَصرَ غُفِرَ له ما كان بَينَه وبَينَ الظُّهرِ، ثم صلَّى المَغرِبَ غُفِرَ له ما كان بَينَه وبَينَ العَصرِ، ثم صلَّى العِشاءَ غُفِرَ له ما كان بَينَها وبَينَ المَغرِبِ، ثم لَعَلَّه يَبيتُ يَتمَرَّغُ لَيلَتَه، ثم إنْ قامَ فتَوضَّأ فصَلَّى الصُّبحَ غُفِرَ له ما بَينَها وبَينَ صَلاةِ العِشاءِ، وهُنَّ الحَسَناتُ يُذهِبْنَ السَّيِّئاتِ قالوا: هذه الحَسَناتُ، فمَا الباقياتُ يا عُثمانُ؟ قال: هي لا إلهَ إلَّا اللهُ، وسُبحانَ اللهِ، والحَمدُ للهِ، واللهُ أكبَرُ، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ]**[176]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: " **أرَأَيْتُمْ لو أنَّ نَهَرًا ببابِ أحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فيه كُلَّ يَومٍ خَمْسًا، ما تَقُولُ ذلكَ يُبْقِي مِن دَرَنِهِ؟ قالوا: لا يُبْقِي مِن دَرَنِهِ شيئًا، قالَ: فَذلكَ مِثْلُ الصَّلَواتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ به**

---

[173]) لطائف الإشارات ٢/ ١٦١.

[174]) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٥٥.

[175]) زاد المسير في علم التفسير ٢/ ٤٠٦.

[176]) الترغيب والترهيب ١/ ١٨٦.

الخَطَايا"[١٧٧]، قال القرطبي في شرح هذا الحديث: [**وظاهر هذا الحديث أن الصلوات بانفرادها تستقل بتكفير جميع الذنوب كبائرها وصغائرها، وليس الأمر كذلك؛ لاشتراطه في الحديث المتقدم اجتناب الكبائر، فدل ذلك على أن المكفَّر بالصلوات هي جميع الصغائر إن شاء الله**][١٧٨]، ويعني القرطبي بقوله (الحديث المتقدم) ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمْعَةُ إلى الجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ ما بيْنَهُنَّ إذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**"[١٧٩].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: [**كنتُ رجلًا إذا سَمِعْتُ من رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ حديثًا نفعَني اللَّهُ منهُ بما شاءَ أن ينفعَني، وإذا حدَّثَني أحدٌ من أصحابِهِ استَحلفتُهُ، فإذا حلَفَ لي صدَّقتُهُ، قالَ: وحدَّثَني أبو بَكْرٍ وصدقَ أبو بَكْرٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ، أنَّهُ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ يقولُ: ما مِن عبدٍ يذنبُ ذنبًا، فيُحسنُ الطُّهورَ، ثمَّ يقومُ فيُصلِّي رَكْعتينِ، ثمَّ يستغفِرُ اللَّهَ، إلَّا غفرَ اللَّهُ لَهُ، ثمَّ قرأَ هذِهِ الآيةَ: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ إلى آخرِ الآيةِ**][١٨٠]، **وعَنْ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ أنَّه رَأَى عُثْمَانَ دَعَا بوَضُوءٍ، فأفْرَغَ علَى يَدَيْهِ مِن إنَائِهِ، فَغَسَلَهُما ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أدْخَلَ يَمِينَهُ في الوَضُوءِ، ثُمَّ تَمَضْمَضَ واسْتَنْشَقَ واسْتَنْثَرَ، ثُمَّ غَسَلَ وجْهَهُ ثَلَاثًا ويَدَيْهِ إلى المِرْفَقَيْنِ ثَلَاثًا، ثُمَّ مَسَحَ برَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ كُلَّ رِجْلٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ قالَ: رَأَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وُضُوئِي هذا، وقالَ: " مَن تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هذا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لا يُحَدِّثُ فِيهِما نَفْسَهُ، غَفَرَ اللَّهُ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ**"[١٨١]، وغير ذلك من الأحاديث الدالة على فضل الصلاة وتكفيرها الذنوب والسيئات.

اللهم أعنَّا على ذِكْرك وشكرك وحُسْن عبادتك، وأحْسِن عاقبتنا في الأمور كلِّها.

---

[١٧٧]) صحيح البخاري ٥٢٨، صحيح مسلم ٦٦٧.

[١٧٨]) المفهم ٢/ ٢٩٤.

[١٧٩]) صحيح مسلم ٢٣٣.

[١٨٠]) صحيح أبي داود ١٥٢١.

[١٨١]) صحيح البخاري ١٦٤.

المجلس (الثَّالث عشر)

فضل لقيا المسلم بوجه طلق

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: " **لا تَحقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوف شَيْئًا، وَلَو أنْ تَلقَى أخَاكَ بوجهٍ طَلْقٍ**"[١٨٢].

الفوائد:

١/ كلُّ قَوْلٍ وفِعْلٍ عُرِفَ في الشَّرع أنَّه من الخير وحَسَّنه فهو معروف، ينفع صاحبه ويرفعه، وقد قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: " **كُلُّ مَعْرُوْفٍ صَدَقَة**"[١٨٣]، قال ابن رجب الحنبلي بعد ذكر هذا الحديث: [**فالصدقة تطلق على جميع أنواع فعل المعروف والإحسان**][١٨٤]، وقال ابن هبيرة: [**هذا الحديث قد صرح بأن كل معروف صدقة، ومن ذلك بشر الرجل في وجه الرجل، وقد جاء مبينا في حديث آخر أن إرشاد الرجل إلى الطريق التي لا يعرفها صدقة، وأن حلمه عن السفيه إذا كان قادرًا صدقة، ويتسع هذا إلى ما لا يقدر إحصائه إلا الله سبحانه**][١٨٥]، فكم من معروف يمكن للمسلم أن يفعله؛ وكم من خير يمكن للمسلم أن يبذله؛ سواء في ليل أو نهار؛ وفي سر أو علن؛ فعن أبي موسى الأشعري رضي الله قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، قالوا: فإنْ لَمْ يَجِدْ؟ قالَ: فَيَعْمَلُ بيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ ويَتَصَدَّقُ، قالوا: فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قالَ: فيُعِينُ ذا الحاجَةِ المَلْهُوفَ، قالوا: فإنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قالَ: فَيَأْمُرُ بالخَيْرِ – أوْ قالَ: بالمَعروفِ– قالَ: فإنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قالَ: فيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ؛ فإنَّه له صَدَقَةٌ**" [١٨٦]، قال ابن بطال في شرح

---

[١٨٢]) صحيح مسلم، ٢٦٢٦.

[١٨٣]) صحيح البخاري ٦٠٢١، صحيح مسلم ١٠٠٥.

[١٨٤]) جامع العلوم والحكم ٢/ ٥٨.

[١٨٥]) الإفصاح عن معاني الصحاح ٢/ ٢٣٨.

[١٨٦]) صحيح البخاري ٦٠٢٢، صحيح مسلم١٠٠٨.

هـذا الحـديث: [**وفيـه: أن المـؤمن إذا لم يقـدر علـى باب مـن أبـواب الخـير؛ ولا فـتح لـه فعلـه؛ أن ينتقـل إلى باب آخـر يقـدر عليـه، فـإن أبـواب الخـير كثـيرة والطريـق إلى مرضـاه الله تعـالى غـير معدومـة، ألا تـرى تفضـل الله علـى عبـده حـين جعـل لـه في حـال عجـزه عـن الفعـل عروضًـا مـن القـول وهـو الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر، ثم جعـل عوضًـا مـن ذلـك لمـن لم يقـدر الإمسـاك عـن الشـر صـدقة**][187]، وعـن أبي ذر الغفـاري رضـي الله عنـه أنَّ نَاسًـا مِـن أَصْـحَابِ النَّـبِيِّ صَـلَّى اللَّهُ عليـه وسـلَّمَ قـالوا للنَّـبِيِّ صَـلَّى اللَّهُ عليـه وسـلَّمَ: يا رَسـولَ اللهِ، ذَهَـبَ أَهْـلُ الـدُّثُورِ بالأُجُـورِ؛ يُصَـلُّونَ كمـا نُصَـلِّي، وَيَصُـومُونَ كمـا نَصُـومُ، وَيَتَصَـدَّقُونَ بفُضُـولِ أَمْـوَالِهِمْ، قـالَ: " **أَوَلَيسَ قَـدْ جَعَـلَ اللَّهُ لَكُـمْ مـا تَصَّـدَّقُونَ؟ إنَّ بكُـلِّ تَسْـبِيحَةٍ صَـدَقَةً، وَكُـلِّ تَكْبِـيرَةٍ صَـدَقَةً، وَكُـلِّ تَحْمِيـدَةٍ صَـدَقَةً، وَكُـلِّ تَهْلِيلَـةٍ صَـدَقَةً، وَأَمْـرٌ بالمَعـروفِ صَـدَقَةٌ، وَنَهْـيٌ عـن مُنْكَـرٍ صَـدَقَةٌ، وفي بُضْـعِ أَحَـدِكُمْ صَـدَقَةٌ، قـالوا: يا رَسـولَ اللهِ، أَيَأتِي أَحَـدُنَا شَـهْوَتَهُ وَيَكـونُ لـه فِيهَـا أَجْـرٌ؟ قـالَ: أَرَأَيْـتُمْ لـو وَضَـعَهَا في حَـرَامٍ، أَكـانَ عليـه فِيهَـا وِزْرٌ؟ فَكَـذلكَ إذَا وَضَـعَهَا في الحَـلَالِ كـانَ لـه أَجْـرٌ**" [188]، بـل قـد يهـم المسـلم بفعـل الخـير ثم يمنعـه مـانع مـن مباشـرة فعلـه فيـؤجر علـى ذلـك؛ ويعـزم علـى فعـل الشـر فيتركـه مخافـة الله فتكتـب لـه حسـنة جـزاء تركـه، فعـن أبي هريـرة رضـي الله عنـه قـال، قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: " **مَـن هَـمَّ بحَسَـنَةٍ فَلَـمْ يَعْمَلْهـا، كُتِبَـتْ لـه حَسَـنَةً، ومَـن هَـمَّ بحَسَـنَةٍ فَعَمِلَهـا، كُتِبَـتْ لـه عَشْـرًا إلى سَـبْعِ مِئَـةِ ضِـعْفٍ، ومَـن هَـمَّ بسَـيِّئَةٍ فَلَـمْ يَعْمَلْهـا، لَمْ تُكْتَـبْ، وإنْ عَمِلَهـا كُتِبَـتْ**" [189]، فمـا أعظـم فضـل الله علـى عبـاده؛ ومـا أكرمـه عليهم، فله الحمد وله الشكر.

٢/ لا ينبغـي للمسـلم استصـغار أو احتقـار أو التَّقليـل مـن شـأن العمـل مـا دام معروفـاً، صَـغُر أو كَـبُر، قَـلَّ أو كَثُـر، وقـد ورد عـن النـبي صـلى الله عليـه وسـلم الحـث علـى فعـل أنـواع لا حصـر لهـا مـن المعـروف، كمـا سـبق ذكـر بعـض منهـا، والواجـب علـى العاقـل الحـرص علـى فعلهـا؛ وامتثـال وصـية النـبي صـلى الله عليـه وسـلم بهـا، وعـدم اهمالهـا؛ قـولا أو فعـلا، مـا اسـتطاع إلى ذلـك

[187]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ٢٢٣.
[188]) صحيح مسلم ١٠٠٦.
[189]) صحيح مسلم ١٣٠.

سبيلا، قال النووي عند قول النبي صلى الله عليه وسلم السابق" **كل معروف صدقة**": [**لا يحتقر شيئا من المعروف، وأنه ينبغي أن لا يبخل به**][190]، فقد تكون الحاجة إليه ماسَّة لشخص ما من الأشخاص في أحلك الظُّروف وأصعب المواقف، وقد تكون به النَّجاة في الدُّنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ، فَكُّ رَقَبَةٍ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ، أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ**﴾[191]، وقد رَوَى عَدِيّ بن حاتم عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: " **اتقوا النَّار ولو بشقِّ تمْرة، فمن لم يجد فبِكَلِمَةٍ طيِّبة**"[192]، قال ابن بطال: [" **ولو بشقِّ تمْرة** " **حضَّ على القليل من الصدقة، وقوله: " فإن لم يجد فبكلمة طيبة" حضَّ أيضًا على أن لا يحقر شيئًا من الخير بالقول والفعل، وإن قَلَّ ذلك، وإذا كانت الكلمة الطيبة يتقى بها النار، فالكلمة الخبيثة يستوجب بها النار**][193]، وقال في فضل الكلمة الطيبة: [**الكلام الطيب مندوب إليه وهو من جليل أفعال البر؛ لأن النبي عليه السلام جعله كالصدقة بالمال، ووجه تشبيهه عليه السلام الكلمة الطيبة بالصدقة بالمال هو أن الصدقة بالمال تحيا بها نفس المتصدق عليه ويفرح بها، والكلمة الطيبة يفرح بها المؤمن ويحسن موقعها من قلبه، فاشتبها من هذه الجهة، ألا ترى أنها تذهب الشحناء وتجلي السخيمة، كما قال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[194]**، والدفع بالتي هي أحسن قد يكون بالقول كما يكون بالفعل**][195].

٣/ بالنيَّة الصَّادقة وحُسْن المقصَد يعلو شأن المعروف ويَكبُر، ويُصبح عظيم الشَّأن والفائدة، ممَّا يدلُّ على ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: " **سَبَق درهمٌ مائةَ ألفٍ، كان لرجلٍ درهمانِ فتصدَّقَ أجودُهما، وانطلق رجلٌ إلى عرضِ مالِه فأخذ منها مائةَ ألفٍ**

[190]) المنهاج شرح صحيح مسلم ٧/ ٩١.
[191]) سورة البلد، الآية: ١١-١٦.
[192]) صحيح البخاري ٦٥٤٠، صحيح مسلم ١٠١٦.
[193]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣/ ٤١٤.
[194]) سورة فصلت، الآية: ٣٤.
[195]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ٢٢٥.

فتصدقَ بها"[١٩٦]، قال المناوي في شرح الحديث السابق: [**فِيهِ أَن الصَّدَقَة من الْقَلِيل أفضل مِنْهَا من الْكثير، ويؤثرون على أنفسهم وَلَو كَانَ بهم خصَاصَة**][١٩٧]، ونُقِل عن عبد الله بن المبارك رحمه الله عليه أنَّه قال: [**رُبَّ عملٍ صغيرٍ تعظِّمه النِّيَّة، ورُبَّ عمل كبير تصغِّره النِّيَّة**][١٩٨]، فالعمل يكْبُر ويعْظُم بسبب ملازمة النية الصادقة له، ويصغُر بسبب ملازمة النية الفاسدة له، واعتبر بعضهم إضافة إلى ذلك مستوى الحال الذي يكون عليه المنفق؛ فالذي ينفق من ماله ما يعدل النصف أو أكثر أو أقل منه؛ لن يعدله من أنفق من ماله العشر أو الخمس أو غير ذلك؛ حتى لو كان أكثر في المقدار؛ لأنه في الحقيقة قليل باعتبار مقارنته بمجموع ما يملك، بخلاف المنفق السابق فإن القليل مما أنفق يعدل نصف كامل ماله أو أكثر أو أقل، فكان أفضل، وفي مثل هذا يقول عطية سالم في شرح حديث أبي هريرة السابق: [**فصاحب الدرهمين أكرم؛ لأن صاحب الدرهمين تصدق بـ (٥٠٪) من رأس ماله، وصاحب المال الكثير تصدق بأقل من ذلك من رأس ماله، وبقى له شيء كثير جداً، فدرهم أكرم وأجود وأعظم صدقة من مائة ألف درهم**][١٩٩]، وقال: [**إذاً: هناك فرق كبير بين القلب الذي يسخو بنصف رأس ماله ولم يبق بيده إلا درهم واحد، والشخص الذي تصدق بشيء لم يشعر به، ويبقى عنده ما يغطي ما تصدق به عشرات المرات، فالدرهم الواحد إذا خرج من قلب نقي، وصاحبه يكثر من ذكر الله، فهو أفضل من صاحب المئات التي خرجت من قلب لا يحس بأثرها كإحساس قلب صاحب الدرهمين، ومن هنا تتفاضل الحسنات فيما بينها، وأنت لو تصدقت لإنسان محتاج، وعنده (٧٠٪) من قدر حاجته، فأعطيته (٣٠٪) لسد حاجته، وأتيت لإنسان محتاج لـ (١٠٠٪) ، وأعطيته (٢٠٪) من حاجته، فهل صدقة (٢٠٪) التي أعطيتها لهذا تعادل (٣٠٪) التي كملت بها لصاحب السبعين؟ وأيهما أشد سداداً لصاحبها؟ فصاحب (٧٠٪) لا بأس بحاله، حتى لو كان صاحب (٥٠٪)، لكن هذا الذي ليس عنده شيء، فهو مسكين لاصق في الأرض كما قال الله: ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[٢٠٠]، وليس لديه شيء يحركه، فأنت حركته وأنعشته بصدقتك، فهي أفضل،**

---

[١٩٦]) صحيح النسائي ٢٥٢٦.

[١٩٧]) التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٥٤.

[١٩٨]) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا ص ٧٣.

[١٩٩]) شرح بلوغ المرام لعطية سالم ٦/ ١٠٤.

[٢٠٠]) سورة البلد، الآية ١٦.

إذاً: الحسنة في ذاتها تتفاوت بحسب حاجة المحتاج، كما أنها تتفاوت بتفاوت الزمان والمكان، والله أعلم][201].

٤/ حُسْن عِشْرة المسلم لأخيه المسلم من مَكَارِمِ الأخلاق، وسُلُوك يدلُّ على صِدْق الأخوَّة ونُبْل الطِّبَاع، وكلَّما كانت العلاقة بالغير أقوى كان خُلُق حُسْنِ العِشْرَة في حقِّهم أولى وأوْجَب، وإنَّ مِنْ طِيْب الخُلُق أن يلقى المسلمُ غيره باستبشار؛ مع إظهار المحبَّة وصِدْق الوُدّ، والتَّواضع وخَفْض الجَنَاح، وقد أرشد الله نبيّه محمداً صلَّى الله عليه وسلَّم إلى فعل ذلك مع أتباعه فقال: ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[202]، قال الزجاج في تفسير هذه الآية: [**تأويله: ألِنْ جَنَاحَكَ، أُمِرَ النبي – صلى الله عليه وسلم – بإلانَةِ الجانب مَعَ مَا وَصَفَهُ اللَّه به من لين الخلق وتعظيم خُلُقِه فِي اللِّيْنِ وجميل الأخلاقِ، فقال:** ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[203]][204]، وقال القشيري: [**ألن جانبك وقاربهم في الصحبة، واسحب ذيل التجاوز على ما يبدر منهم من التقصير، واحتمل منهم سوء الأحوال، وعاشرهم بجميل الأخلاق، وتحمّل عنهم كلّهم، وارحمهم كلّهم، فإن مرضوا فعدهم، وإن حرموك فأعطهم، وإن ظلموك فتجاوز عنهم، وإن قصّروا في حقي فاعف عنهم، واشفع لهم، واستغفر لهم**][205]، ولقد فعل صلَّى الله عليه وسلَّم ذلك كما قال الله تعالى عنه: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾[206]، قال التستري في تفسير الآية: [**قوله:** ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ**﴾ **يعني بتعطف من الله لنت لهم** ﴿ **وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا**﴾ **باللسان** ﴿ **غلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ **أي لتفرقوا من عندك**][207]، وقال الواحدي: [**والمعنى: فبرحمة من الله، لنت لهم أي: سهلت أخلاقك، وكثر احتمالك**][208]، فهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة، لنا فيه أسوة، نقتدي بأفعاله، ونتخلق بأخلاقه، قال الله عز

---

[201]) شرح الأربعين النووية لعطية سالم ١٢/ ٧٩.

[202]) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.

[203]) سورة القلم، الآية: ٤.

[204]) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١٠٣.

[205]) لطائف الإشارات ٣/ ٢٠.

[206]) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

[207]) تفسير التستري ٥١.

[208]) التفسير الوسيط للواحدي ١/ ٥١٢.

وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٢٠٩].

اللهمَّ اهْدنا لأحْسَن الأقوال والأفعال لا يَهْدي لأحْسَنها إلا أنت، واصْرف عنا سيِّئَها لا يَصرف سيِّئَها إلا أنت.

***

[٢٠٩]) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

المجلس (الرَّابع عشر)

فضل الغدو إلى المسجد والرواح

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: " **مَنْ غَدَا إلى المسْجِدِ أوْ راحَ، أعَدَّ اللهُ له في الجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّما غَدَا أوْ رَاحَ**"[٢١٠].

الفوائد:

١/ الصَّلاة عَمُود الدِّين، وأعظم الفرائض بعد الشَّهادتين، وقد أكرم الله من غدا إلى المسجد أو راح بما يُكرَم به الضَّيف من الرِّزق وما يُهيَّأ له، فما أعظم أن يكون العبد ضيفاً من ضيوف الله تعالى، في بيت من بيوته، وما أعظم ما يحلُّ به من الخير، قال ابن بطال في شرحه للحديث السابق: [**فيه: الحض على شهود الجماعات، ومواظبة المساجد للصلوات؛ لأنه إذا أعد الله له نزله في الجنة بالغدو والرواح، فما ظنك بما يُعِدُّ له ويتفضل عليه بالصلاة في الجماعة؛ واحتساب أجرها، والإخلاص لله تعالى فيها**][٢١١]، وقال ابن هبيرة: [**في هذا الحديث أن المساجد بيوت الله عز وجل، وأن الوافدين إلى بيوته يقومون مقام الضيوف فيعد لهم النزل لغدوهم ورواحهم، إلا أنه من نزل تقوى به الأرواح لا الأبدان، فينتقل إلى نزل الآخرة**][٢١٢]، وقال الشيرازي: [**يعني: عادة الناس أن يقدموا طعامًا إلى من دخل بيوتهم، والمسجدُ بيتُ الله، فمن دخله في أي وقت كان من ليل أو نهار يعطيه الله أجره من الجنة؛ لأن الله تعالى أكرمُ الأكرمين، فلا يضيعُ أجرَ المحسنين**][٢١٣]، فالنزل الذي يعده الله لمن غدا المسجد أو راح، قاصدا بذلك عبادة الله تعالى، بأي نوع من أنواعها المختلفة، ومن ذلك قراءة القرآن، والتسبيح، والتحميد، والتكبير، والاستغفار، وبالأخص الصلاة، قال

---

[٢١٠]) صحيح البخاري ٦٦٢، صحيح مسلم ٦٦٩.

[٢١١]) شرح صحيح البخاري ٢/ ٢٨٥.

[٢١٢]) الإفصاح عن معاني الصحاح ٦/ ٢٥٠.

[٢١٣]) المفاتيح في شرح المصابيح ٢/ ٦٤.

ابـن حجـر: [**قَوْلُـهُ كُلَّمَـا غَـدَا أَوْ رَاحَ أَيْ بِكُـلِّ غَـدْوَةٍ وَرَوْحَـةٍ، وَظَـاهِرُ الْحَـدِيثِ حُصُـولُ الْفَضْـلِ لِمَـنْ أَتَـى الْمَسْـجِدَ مُطْلَقًـا؛ لَكِـنَّ الْمَقْصُـودَ مِنْـهُ اخْتِصَاصُـهُ بِمَـنْ يَأْتِيـهِ لِلْعِبَـادَةِ؛ وَالصَّلَاةُ رَأْسُهَا، وَالله أعلم**][٢١٤].

٢/ بيَّن النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم أهمِّيَّة المحافظة على هذه الفريضة العظيمة؛ وهي الصلاة؛ وخطورة تضييعها، فقال:" **من حافظَ عليها كانت لَهُ نورًا وبرهانًا ونجاةً يومَ القيامةِ، ومن لم يحافِظ عليها لم تَكُن لَهُ نور ولا نجاةً ولا برهان، وَكانَ يومَ القيامةِ معَ فرعونَ وَهامانَ وقارونَ وأبيّ بنِ خلفٍ**"[٢١٥]، قال ابن باز عند شرح هذا الحديث: [**فهَذَا يَدُلُّ على عِظَمِ شَأنِهَا، وأنَّ حِفظَهَا هو طَرِيقُ النَّجَاةِ، وأنَّ إِضَاعَتَهَا هو طَرِيقُ الهَلَاكِ، قال بَعضُ أَهْلِ العِلمِ: وإِنَّمَا يُحشَرُ مَنْ ضَيَّعَ الصَّلَاةَ مع فِرعُونَ وقَارُونَ وهَامَانَ وَأُبَيّ بنِ خَلفٍ؛ لأنَّ مَنْ ضَيَّعَهَا إمَّا أن تَكُونَ إِضَاعَتُهُ لها بِأَسبَابِ الرِّيَاسَةِ والْمُلْكِ والإِمَارَةِ؛ فَيكُونُ شَبِيهًا بِفرْعَونَ، حَمَلَهُ مُلكُهُ ورِيَاسَتُهُ على أن طَغَى وبَغَى وتَكَبَّرَ عن الحَقّ، وإمَّا أن تَكُونَ الأَسبَابُ لِشُغلِهِ بِالوُظيفَةِ والوزَارَةِ فَيكُونُ شَبِيهًا بِهَامَانَ وَزِيرِ فِرعَونَ، شَغَلَهُ ما هو فيه مِنْ وَزَارَةٍ والأَعمَالِ الوَظِيفِيَّةِ عن الإِجَابةِ إلى مُوسَى عليه السلام والمُوَافَقَةِ لِمَا دَعَا إليه، وإما أن يَترَكَهَا مِنْ أَجلِ المَالِ والشَّهَوَاتِ وما أَعطَاهُ اللهُ مِنْ رَفَاهَةِ العَيشِ؛ فَيكُونُ شَبِيهًا بِقَارُونَ الذي أَعطَاهُ اللهُ أَموَالًا عَظِيمَةً وتَكَبَّرَ بِسبَبِ ذَلكَ وبَغَى؛ فلم يُجِبْ إلى الحَقّ؛ فَخسَفَ اللهُ به وبِدَارِهِ الأَرضَ، فهو يَتَجَلجَلُ فيهَا إلى يَومِ القِيامَةِ هو ودَارُهُ، وإما أَنْ يَكُونَ المَانِعُ لَه شُغلَهُ بِأعمَالِ التِّجَارةِ والبَيعِ والشِّرَاءِ؛ فَيكُون شَبِيهًا بِأُبَيّ بنِ خَلفٍ تَاجرِ أَهْلِ مَكَّةَ، فَيُحشَرُ معه إلى النَّارِ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ**][٢١٦]، ثم قال مبينا أن قدر الإنسان يحدده حاله مع الصلاة، وأنها الميزان: [**وبِهَذَا يُعلَمُ أنَّ الْمُحَافَظَةَ على الصَّلَاةِ مِنْ أَهَمِّ الْمُهِمَّاتِ ومِن أَعظَمِ الفَرَائضِ؛ ولِهذَا قَالَ عز وجل: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾**[٢١٧]، ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ،**

---

[٢١٤]) فتح الباري لابن حجر ٢/ ١٤٨.

[٢١٥]) صحيح ابن حبان ١٤٦٧.

[٢١٦]) شرح كتاب التوحيد ٣٨٣.

[٢١٧]) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢١٨]، **﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾**[٢١٩]، **فهَذَا يَدُلُّ على أن الصَّلَاةَ هي المِيزَانُ، وأنَّ الْمُتَخَلِّفَ عنها قد تخلَّفَ عن كُلِّ خَيرٍ، وأنَّ الْمُحَافِظَ عليها قد أَدرَكَ كُلَّ خَيرٍ]**[٢٢٠]، ولأهميتها كانت أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة، وصلاح أعماله بصلاحها، وفساد أعماله بفسادها، كما بين ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: " **إنَّ أولَ ما يُحاسَبُ به العبدُ يومَ القيامةِ من عملِه صلاتُه، فإن صلحَتْ فقد أفلح وأنجح، و إن فسدَتْ فقد خاب و خسر، و إن انتقَص من فريضتِه قال اللهُ تعالى: انظروا هل لعبدي من تطوُّعٍ يكمل به ما انتقص من الفريضةِ؟ ثم يكون سائرُ عملِه على ذلك** "[٢٢١]، قال الطيبي عند شرح هذا الحديث: [**قوله: " فقد أفلح وأنجح" وذلك أن الصلاة أم العبادات ومستتبعها، وهي بمنزلة القلب من الإنسان، فإذا صلحت صلحت الأعمال، وإذا فسدت فسدت الأعمال**][٢٢٢]، وفي بيان قوله " **فقد أفلح وأنجح**"؛ قال الكرماني: [**أي: صار ذا فَلَاح وذا نَجَاح، " وإن فسدت" بأن لم يؤدِّ جميع فرائضها أو أدَّاها غير صحيحة، " فقد خاب"؛ أي: صار محرومًا عن الفوز والخلاص قبَل العذاب**][٢٢٣]، وقال الصديقي: [**قوله: " إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله": أي المتعلق بحق الله تعالى، " صلاته، فإن صلحت": بفتح اللام وذلك باستجماع مصححاتها وفقد مفسداتها " فقد أفلح وأنجح" أي فاز وظفر بمطلوبه، " وإن فسدت": لفقد ركن أو شرط أو وجود ما يفسدها من قول أو عمل، " فقد خاب": أي لم يظفر بما طلب، " وخسر"، أي هلك أو خسر في تجارته الأخروية فلم يربح الثواب المرتب على عملها لو كانت صحيحة**][٢٢٤].

٣/ قبل أن يكون السُّجود مظهراً وشكلاً عباديا فهو يمثِّل غاية الخضوع لله تعالى، والتذلُّل بين يديه، والاعتراف بعظمته وأنَّه المستَحِقّ للعبادة سبحانه دون سواه، مع إظهار الفاقة والحاجة إليه، فيكون

---

[٢١٨]) سورة المؤمنون، الآية: ٩-١١.
[٢١٩]) سورة المعارج، الآية: ٣٤-٣٥.
[٢٢٠]) شرح كتاب التوحيد ٣٨٤.
[٢٢١]) صحيح الترغيب ٥٤٠.
[٢٢٢]) شرح المشكاة للطيبي ٤/ ١٢٥٢.
[٢٢٣]) شرح المصابيح لابن الملك ٢/ ٢٠٩.
[٢٢٤]) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٦/ ٥٦٥.

المرء بذلك في حالٍ أقرب فيه إلى الله مما سواه، وأهلاً لتكريم الله تعالى له، قال النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم: " **أقربُ مَا يَكونُ العبْدُ مِن ربِّهِ وَهَو ساجدٌ، فَأَكثِرُوا فيها الدُّعاءَ** "[٢٢٥] ، قال ابن هبيرة عند شرح هذا الحديث: [**في هذا الحديث من الفقه ما يدل على استحباب الدعاء في السجود، وفيه ما يدل على أن قرب العبد من ربه إنما هو عند انتهائه في التواضع إلى غاية وسعه؛ فإن حالة سجود العبد هي غاية ما يناله؛ وسعه من الخضوع بين يدي ربه**][٢٢٦]، وقال ابن الجوزي: [**إِنَّمَا كَانَ السُّجُود موطن قرب لِأَنَّهُ غَايَة ذل الْآدَمِيّ، فَلذَلِك تقرب من مَوْلَاهُ**][٢٢٧]، قد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما لأحد أصحابه – وهو ثوبان مولاه– عندما سأله عن أحب الأعمال إلى الله فقال: " **عليك بكثرة السُّجود لله؛ فإنَّك لا تسجد لله سجدةً، إلا رَفَعَك الله بها درجة، وحطَّ عنك بها خطيئة**"[٢٢٨]، وعن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: كُنْتُ أبِيتُ مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فأتَيْتُهُ بوَضُوئِهِ وحَاجَتِهِ فَقالَ لِي: " **سَلْ**" فَقُلتُ: أسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ في الجَنَّةِ. قالَ: " **أوْ غيرَ ذلكَ**"؟ قُلتُ: هو ذَاكَ، قالَ: " **فأعِنِّي علَى نَفْسِكَ بكَثْرَةِ السُّجُودِ**"[٢٢٩]، قال النووي في شرح هذا الحديث والذي قبله: [**فِيهِ الْحَثُّ عَلَى كَثْرَةِ السُّجُودِ وَالتَّرْغِيبُ، وَالْمُرَادُ بِهِ السُّجُودُ فِي الصَّلَاةِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ لِمَنْ يَقُولُ تَكْثِيرُ السُّجُودِ أَفْضَلُ مِنْ إِطَالَةِ الْقِيَامِ، .. وَسَبَبُ الْحَثِّ عَلَيْهِ مَا سَبَقَ فِي الْحَدِيثِ الْمَاضِي " أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ" [٢٣٠]، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَاسْجُدْ واقترب﴾[٢٣١]، وَلِأَنَّ السُّجُودَ غَايَةُ التَّوَاضُعِ وَالْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَفِيهِ تَمْكِينُ أَعَزِّ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ وَأَعْلَاهَا وَهُوَ وَجْهُهُ مِنَ التُّرَابِ الَّذِي يُدَاسُ وَيُمْتَهَنُ، وَاللَّهُ أعلم**][٢٣٢].

اللهمَّ أعنَّا على ذِكْرك وشُكْرك وحُسْن عبَادتك، وأكْرِمْنا بفضْلك وعَفْوك وإحسَانك.

---

[٢٢٥]) صحيح مسلم ٤٨٢.
[٢٢٦]) الإفصاح عن معاني الصحاح ٨/ ٧٢.
[٢٢٧]) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٣/ ٥٥٧.
[٢٢٨]) صحيح مسلم ٤٨٨.
[٢٢٩]) صحيح مسلم ٤٨٩.
[٢٣٠]) صحيح مسلم ٤٨٢.
[٢٣١]) سورة المعارج، الآية: ٣٤-٣٥.
[٢٣٢]) شرح النووي على مسلم ٤/ ٢٠٦.

المجلس (الخامس عشر)

فضل إبعاد الأذى عن الناس

عـن أبي هريـرة رضـي الله عنـه قـال: قـال رسـول الله صـلَّى الله عليـه وسـلَّم: " **لقَـدْ رَأَيْـتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ في الجَنَّةِ، في شَجَرَةٍ قَطَعَها مِن ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ**"[٢٣٣].

الفوائد:

١/ لا يَسْتَصْغِر المسلمُ معروفاً أياً كان قَدْره، فقد يُرْشده الله بإدراكه ذلك لفِعْل خَيْرٍ يكون سبباً لِرِفْعَتِهِ في الدُّنيا والآخرة، فيُسَارِع فيما يتيسَّر فعله من معروف، وينافس غيره في ذلك، قبل فوات الأوان، وحصول موانع العمل، كالمرض والموت، وغير ذلك من العوارض التي لا يسلم منها أحد، ولأجل ذلك جاءت التوجيهات الإلهية بالحث على المسارعة والمسابقة في الخير؛ ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**﴾[٢٣٤]، قال القرطبي في معناها: [**أي: فبادروا إلى عملها قبل أن تعجزوا عنها بموت أو هرم أو مرض، فإن مرجعكم إلى الله، فيجازيكم بأعمالكم**][٢٣٥]، وقال الكرماني: [**بادروا إلى الطاعات وما أمرتكم به قبل الموت والفوات**][٢٣٦]، وقوله سبحانه: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٢٣٧]، قال القشيري في تفسير هذه الآية: [**معناه سارعوا إلى عمل يوجب لكم المغفرة، فتقسمت القلوب وتوهمت أن ذلك أمر شديد فقال صلّى الله عليه وسلّم: " الندم توبة"[٢٣٨] وإنما توجب المغفرة التوبة لأن العاصي هو الذي يحتاج إلى الغفران، والناس في المسارعة على أقسام: فالعابدون يسارعون بقدمهم في الطاعات، والعارفون يسارعون بهممهم في القربات، والعاصون يسارعون بندمهم بتجرّع الحسرات، فمن سارع بقدمه وجد مثوبته،**

---

[٢٣٣]) صحيح مسلم ١٩١٤.

[٢٣٤]) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

[٢٣٥]) الهداية إلى بلوغ النهاية ٣/ ١٧٧٢.

[٢٣٦]) التفسير الوسيط للواحدي ١/ ٢٣١.

[٢٣٧]) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

[٢٣٨]) صحيح ابن ماجة ٤٢٥٢.

ومن سارع بهممه وجد قربته، ومن سارع بندمه وجد رحمته][239]، فالمرء لا يدري من أين يأتيه الخير والتَّوفيق، وقد ينقطع عمَلُهُ ويَعْجز في حالٍ مِن أحْوَاله عَنْ فعلِ ما يَرجو ويَتمنَّى، أو يعاجله الموت ثم يكون حال تَمَنِّي فعل الخير؛ ولكن يكون قد فات الأوان؛ وحل وقت الجزاء والحساب، قال الله عز وجل: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[240]، قال البغوي: [**قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ **لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ**﴾ **أَيْ: ضَيَّعْتُ أَنْ أَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقِيلَ: أَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، قَالَ قَتَادَةُ: مَا تَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ وَلَا لِيَجْمَعَ الدُّنْيَا وَيَقْضِيَ الشَّهَوَاتِ، وَلَكِنْ تَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً عَمِلَ فِيمَا يَتَمَنَّاهُ الْكَافِرُ إِذَا رَأَى الْعَذَابَ**][241]، وقال الزمخشري: [**إذا أيقن بالموت واطّلع على حقيقة الأمر، أدركته الحسرة على ما فرّط فيه من الإيمان والعمل الصالح فيه، فسأل ربه الرجعة؛ وقال لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً في الإيمان الذي تركته، والمعنى: لعلى آتى بما تركته من الإيمان، وأعمل فيه صالحا**][242].

٢/ إذا كانت إزالة الأذى الحسِّي عن الطَّريق فَضِيْلَة؛ كإزالة الأشواك والأوساخ والأجسام المؤذية؛ كقطع الزّجاج والحديد التَّالف؛ ونحو ذلك من الأذى؛ فإنَّ إزالة الأذى المعنوي المتمثِّل في نَشْر الألفاظ البَذِيْئَة، واستعمال الفُحْش من القول، وممارسَة الرَّذيْلة، وبثّ الأفكار والمفاهيم المفْسِدة لعقول الشَّباب والآباء والأمهات من المسلمين، والمشَكِّكَة في ديْن الله، أعظم ثواباً وأجراً عند الله، لأنّه إزالة أذى يمسّ الدِّين والعقيدة، ويُفْسد القلوب والعقول، والنُّصوص الشَّرعية التي تَنْهى عن الأفعال والأقوال القبيحة في ذلك أكثر مِن أن تُحْصَى، قال ابن عثيمين: [**كل شيء يؤذي المسلمين أو يخشى من أذيته فإنه يتجنبه الإنسان، لأن أذية المسلمين ليست بالهيّنة، قال الله تعالى:** ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**﴾[243]] [244]، ولا شك أن إيذاء المسلم

[239]) لطائف الإشارات ١/ ٢٧٧.
[240]) سورة المؤمنون ٩٩-١٠٠.
[241]) تفسير البغوي ٥/ ٤٢٨.
[242]) تفسير الزمخشري ٣/ ٢٠٣.
[243]) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.
[244]) شرح رياض الصالحين ٢/ ٥٥٠.

بالأمور المذكورة سابقا أشد إثما على فاعلها من غيرها، لأنها تتعلق بدين المسلم وعقيدته، والله ناصره ما دام ناصرا لربه ودينة، قال الحسن وقتادة: [**إياكم وأذى المؤمن فإنه حبيب ربه، أحب الله فأحبه الله، وغضب لربه فغضب الله له، وإن الله يحوطه، ومؤذ من آذاه**][٢٤٥]، وقال الطبري عند تفسير الآية السابقة: [**فإياكم وأذى المؤمن، فإن الله يحوطه، ويغضب له**][٢٤٦]، ومن الإيذاء للمسلم ما يكون منه بالهمز، واللمز، والأقوال الباطلة، والافتراء، والتعيير بالاسم أو اللقب أو المهنة أو الحرفة، أو غير ذلك من الإيذاء، قال القرطبي: [**أَذِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ هِيَ أَيْضًا بِالْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ الْقَبِيحَةِ، كَالْبُهْتَانِ وَالتَّكْذِيبِ الْفَاحِشِ الْمُخْتَلَقِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ نَظِيرُ الْآيَةِ الَّتِي فِي النِّسَاءِ:﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً وَإِثْماً مُبِيناً ﴾[٢٤٧]، كَمَا قَالَ هُنَا، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مِنَ الْأَذِيَّةِ تَعْيِيرُهُ بِحَسَبٍ مَذْمُومٍ، أَوْ حِرْفَةٍ مَذْمُومَةٍ، أو شي يَثْقُلُ عَلَيْهِ إِذَا سَمِعَهُ، لِأَنَّ أَذَاهُ فِي الْجُمْلَةِ حَرَامٌ، وَقَدْ مَيَّزَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ أَذَاهُ وَأَذَى الرَّسُولِ وَأَذَى الْمُؤْمِنِينَ؛ فَجَعَلَ الْأَوَّلَ كُفْرًا وَالثَّانِيَ كَبِيرَةً، فَقَالَ فِي أَذَى الْمُؤْمِنِينَ: ﴿ فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾**][٢٤٨].

٣/ وجَّه ديننا الحنيف كلَّ جالسٍ في طريق عامٍّ لسببٍ ما من الأسباب، أن يلتزم الآداب والتَّوجيهات التي تُمثِّل حقَّاً مِن حقوق عامّة السَّائرين، وأن يلتزم الإحسان وعدم الإساءة، قولاً أو فعلاً، وأبرز تلك الآداب ما ورد عن النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: " **إيَّاكم والجلوسَ في الطُّرقات**"، فقالوا: ما لنا بُدّ، إنَّما هي مجالسُنا نتحدَّث فيها، قال: " **فإذا أبَيتم إلا المجالسَ، فأعطوا الطَّريقَ حقَّها**"، قالوا: وما حقُّ الطريق؟ قال: " **غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، وأمرٌ بالمعروف، ونهيٌ عن المنكر**"[٢٤٩] ، وهذا من كَمَال سمَاحَة ديننا الحنيف، الذي رَاعَي حقوق الخلق في سَائر الظُّروف والأحْوَال، فلله الحَمْد والمنَّة، قال الطبري في شرح الحديث السابق: [**فيه الدلالة على الندب إلى لزوم المنازل التي يسلم لازمها من رؤية ما يُكره رؤيته، وسماع ما لا يحل له سماعه، مما يجب عليه إنكاره، ومن**

[٢٤٥]) تفسير الثعلبي ٨/ ٦٣.
[٢٤٦]) تفسير الطبري ٢٠/ ٣٢٤.
[٢٤٧]) سورة النساء، الآية: ١١٢.
[٢٤٨]) تفسير القرطبي ١٤/ ٢٤٠.
[٢٤٩]) صحيح البخاري ٢٤٦٥.

معاونة مستغيثٍ يلزمه إعانته، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما أذن في الجلوس بالأفنية والطرق بعد نهيه عنه، إذا كان من يقوم بالمعاني التي ذكرها صلى الله عليه وسلم][٢٥٠]، وقال ابن الدماميني في شرح الحديث السابق في بيان نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الجلوس في الطرقات بقوله " **إياكم والجلوسَ على الطرقات": [لأن الجالسَ بها لا يسلَم غالباً من رؤيةِ ما يكره، وسماعِ ما لا يحلُّ، إلى غير ذلك من المفاسد، لكنه عليه الصلاة والسلام فسحَ لهم في الجلوس بها حين قالوا: "ما لنا بدٌّ"؛ على شريطة أن يُعطوا الطريقَ حقَّها، وفسر لهم، فرجَّحَ أولاً عدَم الجلوس على الجلوس، وإن كان فيه مصلحة؛ لأن القاعدة تقتضي تقديمَ دَرْءِ المفسدة على جانب المصلحة]**[٢٥١].

اللهمَّ اهْدنا لأحْسَن الأقْوال والأفْعَال لا يهْدِي لأحْسَنها إلا أنْتَ، واصْرِف عنَّا سَيِّئَهَا لا يَصْرِف سَيِّئَهَا إلَا أَنْتَ.

***

[٢٥٠]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٦/ ٥٨٩.

[٢٥١]) مصابيح الجامع ٥/ ٣٦٨.

المجلس (السَّادس عشر)

نوع من مُكفِّرات الذُّنُوب

عـن أبي هريـرة رضـي الله عنـه قـال: قـال رسـول لله صـلى الله عليـه وسـلم: " **الصَّـلَوَاتُ الخَمْـسُ، وَالْجُمْعَـةُ إلى الجُمْعَـةِ، وَرَمَضَـانُ إلى رَمَضَـانَ، مُكَفِّـرَاتٌ مـا بيْـنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَـبَ الكَبَائِرَ**"[٢٥٢].

الفوائد:

١/ حقيقة خطورة كبائر الذُّنوب، وأنَّ مرتكبها لا ينفعه ما يفعله من أعمال البرِّ؛ ولو كان ذلك من الطَّاعات المفروضة مع أنها أحبّ ما يتقرَّب به العبد إلى ربِّه، كما في الحديث القدسي: " **وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه**"[٢٥٣]، وإنَّما يُكفِّر الكبيرة التَّوبةُ إلى الله بشروطها، قال ابن هبيرة عند شرحه لحديث أبي هريرة السابق: " **الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إلى الجُمْعَةِ** ....": [**لمّا كانت الصلوات الخمس، كالأعلام بين الأوقات، والجمعة كالعلم في الأسبوع، ورمضان في السنة، أثر كل وقت من هذه الأوقات المكرمة فنسخ الظلمة التي توجد فيما يليه من الأوقات من تأثير الذنوب، فأما الكبائر فإنها تفتقر إلى قصد من الإنسان لمحوها، فهي كعين النجاسة التي تفتقر إلى الخبث، وصغائر الذنوب كالشيء الذي يزول من غير احتياج إلى خبث**][٢٥٤]، وقال القرطبي: [**وقوله: " إذا اجتنبت الكبائر"؛ يدل على أن الكبائر إنما تغفر بالتوبة المعبر عنها بالاجتناب في قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[٢٥٥]**][٢٥٦].

---

[٢٥٢]) صحيح مسلم ٢٣٣.

[٢٥٣]) صحيح البخاري ٦٥٠٢.

[٢٥٤]) الإفصاح عن معاني الصحاح ٨/ ١٤٣.

[٢٥٥]) سورة النساء، الآية: ٣١.

[٢٥٦]) المفهم ١/ ٤٩٢.

٢/ ومن خطورة الكبائر أنَّها تمنع من تكفير الصَّغائر، والحديث السابق نصٌّ في ذلك، فقد أشار بأنَّ شرْط تكفيرها اجتناب الكبائر، وهذا تكريم لمن حافَظ على الفرائض كمًّا وكيْفاً، واجتنب ارتكاب الكبائر طاعَةً وقُرْباً، كما إن الحديث يؤكِّد حقيقة أنَّ الإنسان وإن أقام الطَّاعات لن يَسْلم من الوقوع في الصَّغائر، فتجاوز الله عن تلك الذُّنوب لاستقامته بطاعته لربِّه، ثمَّ اجتنابه ما نهى عنه من الكبائر، قال الله تعالى: ﴿ **إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا**﴾[٢٥٧]، قال ابن عبد البر عند شرح حديث أبي هريرة السابق ومعنى هذه الآية: [**وهذا يُبَيِّنُ لك ما ذكَرْنا، ويُوضِّحُ لك أنّ الصغائرَ تُكفَّرُ بالصلواتِ الخمس لِمَن اجْتَنَبَ الكبائرَ، فيكونُ على هذا معنى قول الله عز وجل: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[٢٥٨]: الصَّغائرَ بالصلاةِ والصوم والحجِّ وأداءِ الفرائضِ وأعمالِ البِرِّ، وإن لم تَجتَنِبوا الكبائرَ ولم تتوبوا منها لم تَنْتَفِعُوا بتكْفيرِ الصغائرِ إذا واقَعْتُم المُوبقاتِ المُهلكاتِ، والله أعلمُ، وهذا كلُّه قبلَ الموت، فإن مات صاحبُ الكبير فمَصيرُه إلى الله؛ إن شاء غفَر له، وإن شاء عذَّبه، فإن عذَّبه فبجُرمِه، وإن عَفا عنه فهو أهلُ العفوِ وأهلُ المغفرة، وإن تابَ قبلَ الموتِ وقبلَ حضورِه ومُعايَنتِه، وندِم، واعتقَد ألّا يَعودَ، واستغفَر ووَجِل، كان كمن لم يُذنِبْ، وبهذا كلِّه الآثارُ الصِّحاحُ عن السَّلَفِ قد جاءت، وعليه جماعةُ علماءِ المسلمين، ولو تَدبَّر هذا القائلُ الحديثَ الذي فيه ذكرُ خروجِ الخطايا من فَمِه وأنفِه ويدَيه ورِجْليه ورأسِه[٢٥٩]، لعلِم أنّها الصغائرُ في الأغلب، ولعلِم أنّها مَعْفُوٌّ عنها بتَرْكِ الكبائرِ؛ دليلُ ذلك قولُه صلى الله عليه وسلم: " العينان تَزْنيان، واليَدان تَزْنيان، والفمُ يَزْني، ويُصَدِّقُ ذلك كُلُّه الفَرْجُ أو يُكَذِّبُه"[٢٦٠]، يريدُ، واللهُ أعلمُ، أنّ الفَرْجَ بعملِه يُوجِبُ المَهلكَةَ، وما لم يكنْ ذلك فأعمالُ البِرِّ يَغْسلْنَ ذلك كلَّه، وقد كنتُ أرغَبُ بنفسِي عن الكلام في هذا الباب لولا قولُ ذلك القائل، وخَشِيتُ أن يَغتَرَّ به جاهلٌ**

---

[٢٥٧]) سورة النساء، الآية: ٣١.

[٢٥٨]) سورة النساء، الآية: ٣١.

[٢٥٩]) لعله يقصد الحديث الذي في صحيح ابن ماجة ٢٣١، يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "**من تَوضَّأَ فمضمضَ واستنشقَ خرجت خطاياهُ من فيهِ وأنفِهِ فإذا غسلَ وجهَهُ خرجَت خطاياهُ من وجهِهِ حتَّى يخرُجَ من تحتِ أشفارِ عينيهِ فإذا غسلَ يدَيهِ خرجَت خطاياهُ من يدَيهِ فإذا مسحَ برأسِهِ خرجَت خطاياهُ مِن رأسِهِ حتَّى تخرجَ من أذُنَيْهِ فإذا غسلَ رجليهِ خرجَت خطاياهُ من رجليهِ حتَّى تخرُجَ من تحتِ أظفارِ رجليهِ وَكانت صلاتُهُ ومشيُهُ إلى المسجدِ نافلةً**".

[٢٦٠]) صحيح البخاري ٦٢٤٣، بلفظ: " **إنَّ اللَّهَ كَتَبَ علَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنا، أدْرَكَ ذلكَ لا مَحالَةَ، فَزِنا العَيْنِ النَّظَرُ، وزِنا اللِّسانِ المَنْطِقُ، والنَّفْسُ تَمَنَّى وتَشْتَهِي، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلكَ كُلَّهُ ويُكَذِّبُهُ**".

فيَنْهَمِكَ في المُوبقاتِ اتِّكالًا على أنَّها تُكَفِّرُها الصلواتُ الخمسُ دونَ الندم عليها والاستغفارِ والتوبةِ منها، واللهُ أعلم، ونسألُه العِصمةَ والتوفيق][٢٦١].

٣/ في الحديث دليل على تجدُّد ومُضاعَفة مُكفِّرات الذُّنوب، فأوَّل المكفِّرات يكْمن في تكفير صلاة المرء السَّابقة واللاحقة لما بينهما، ثمَّ يتبعه تكفير صلاة الجُمَع لما بينهن، وبذلك أضيف تكفير إلى تكفير، أو تطهير إلى تطهير، ثمَّ يتبعه تكفير رمضان لما بينه وبين سابقه من الذُّنوب، فأصبح تكفيراً أو تطهيراً ثالثاً، فتخيَّل كيف يكون حال ذلك المسْلِم الذي حافَظ على تلك العبادات وأدَّاها كما ينبغي، وتأمل فيما سيتحقَّق له من الصَّفاء والنَّقاء الرُّوحي، والطَّهارة الظَّاهرة والباطنة، فيصبح أهلا لمناجاة الله والقرب منه، وكلُّ ذلك يكون بحسْب اجتهاده وحِرْصه وحصول الرغبة، فالمرء ينال من تطهير الذُّنوب بقدر محافظته على العبادة وأدائها، وبُعْدِه عن الموانع بأنواعها، وذلك من واسع فضل الله على عبده، **وقد جاء في الحديث عن عثمان بن عفان عن النبي صلّى الله عليه وسلم أنه قال: "ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها وسجودها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله"**[٢٦٢]، قال ابن رجب عند شرح هذا الحديث:

[فانظر إِلَى كم تيسر لك أسباب تكفير الخطايا لعلك تطهر منها قبل الموت فتلقاه طاهرًا، فتصلح لمجاورته في دار السلام، وأنت تأبى إلا أن تموت عَلَى خبث الذنوب فتحتاج إِلَى تطهيرها في كير جهنم، يا هذا أما علمت أنَّه لا يصلح لقربنا إلا طاهر؟! فإن أردت قربنا ومناجاتنا اليوم فطهِّر ظاهرك وباطنك لتصلح لذلك، وإن أردت قربنا ومجاورتنا غدًا فطهر قلبك من سوانا لتصلح لمجاورتنا ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٢٦٣]، القلب السليم الَّذِي ليس فيه غير محبة الله، ومحبة ما يحبه الله، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، فما كل أحد يصلح لمجاورة الله تعالى غدًا، ولا كل أحد يصلح لمناجاة الله اليوم][٢٦٤]

اللهمَّ حبِّب إلينا الإيمَان وزيِّنه في قلُوْبنا، وكرِّه إلينَا الكُفْر والفُسُوق والعِصْيان، واجعَلْنا مِن الرَّاشدين.

---

[٢٦١]) التمهيد ٣/ ١٥٥.

[٢٦٢]) صحيح مسلم ٢٢٨.

[٢٦٣]) سورة الشعراء، الآية: ٨٨-٨٩.

[٢٦٤]) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ٤/ ٣٠.

المجلس (السَّابع عشر)

فضل حمد الله على النعم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: " **إنَّ اللَّهَ ليَرضى عن العبدِ أن يأكُلَ الأَكلَةَ فيحمَدَهُ عليها، أو يشرَبَ الشَّربَةَ فيحمَدَهُ علَيها**"[٢٦٥].

الفوائد:

١/ نِعَم الله على عبده لا تُعدُّ ولا تُحْصى، كما قال سبحانه: ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾[٢٦٦]، تستوجب من المخلوق حَمْداً يَحْمل رِضىً واعْترافاً لربِّه بما تفضَّل به عليه، وإظهاراً لشعوره نحو ما ناله من الخير، وهذا الرِّضى والاعتراف منه يُقَابِلُه رِضَى الله تعالى عنه، وبه تحلُّ أنواع الخيرات والبركات، فمن رضي الله عنه أسْعَده، قال ابن هبيرة في شرح حديث أنس السابق [**في هذا الحديث حب الله عز وجل الحمد، وهذا مما رفق فيه تعبده، فإنه لو قال: الأكلة (بضم الألف) كانت اللقمة، فقد رضي بالحمد، وهي كلمة على الأكلة التي هي مرة، وهي تتضمن لقمات كثيرة، وفي النعم في الأكل أن جعل المأكول وإن كان حلالًا وإن ساغ تناوله، وأن جعل له مخرجًا ريح من أثقاله، وأن أودعه لك عند تناوله، وأعقب عنه قوة عند انهضامه، وراحة عند خروج أثقاله، وغيره في أثناء ذلك مما كان عند تناوله وهضمه والخلاص منه، إلى غير ذلك، فرضي الله عن عبده في النعم الكثيرة بالمرة الواحدة من الحمد**][٢٦٧]، فالحمد كما هو مبين في الحديث السابق المؤدي لرضى الرحمن يكون ولو في الحمد على أكلة واحدة، وبما أرشد إليها النبي صلى الله عليه وسلم من الحمد؛ قال النووي في بيان ذلك عند شرحه للحديث السابق: [**الْأَكْلَةُ هُنَا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَهِيَ المرة الواحدة من الأكل كالغداء والعشاء، وفيه استحباب حمد الله تَعَالَى عَقِبَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَقَدْ جَاءَ**

[٢٦٥]) صحيح مسلم ٢٧٣٤.

[٢٦٦]) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

[٢٦٧]) الإفصاح عن معاني الصحاح ٥/ ٤٠٠.

فِي الْبُخَارِيِّ صِفَةَ التَّحْمِيدِ: " الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُودَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا"[٢٦٨]، وَجَاءَ غَيْرُ ذَلِكَ، ولو اقتصر عَلَى الْحَمْدِ لِلَّهِ حَصَّلَ أَصْلُ السُّنَّةِ][٢٦٩].

٢/ من كَرَم الله على عبده أن أعطاه النِّعمة ثمَّ أرشده إلى شُكْره عليها، ثمَّ وفَّقه إلى فعل ذلك، ولولا توفيقه سبحانه لعَبْده ما تيسَّر له الوصول إلى نِعْمَة، ولا أُلْهِم حَمْداً وشُكْراً عليها، وهذا الأمر غاية كَرَمه سبحانه على عبده؛ حين يسَّر له الخير وأسباب الوصول إليه، ودلَّه على طُرُق حِفْظِه وأرْشَده إلى ذلك، ثمَّ زاده تكريماً برضاه عنه، فما أكْرَمه وأعْظَمه وأرْحَمه سبحانه، والموفَّق من وفَّقه الله، ولا يَهْلك على الله إلا هَالِك، قال ابن رجب الحنبلي: [**وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ، وَأَجْوَدُ الْأَجْوَدِينَ، فَهُوَ يَبْذُلُ نِعَمَهُ لِعِبَادِهِ، وَيَطْلُبُ مِنْهُمُ الثَّنَاءَ بِهَا وَذِكْرَهَا، وَالْحَمْدَ عَلَيْهَا، وَيَرْضَى مِنْهُمْ بِذَلِكَ شُكْرًا عَلَيْهَا، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى شُكْرِهِمْ، لَكِنَّهُ يُحِبُّ ذَلِكَ مِنْ عِبَادِهِ، حَيْثُ كَانَ صَلَاحُ الْعَبْدِ وَفَلَاحُهُ وَكَمَالُهُ فِيهِ، وَمِنْ فَضْلِهِ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ نَسَبَ الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ إِلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا كَمَا أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ مَا أَعْطَاهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ، ثُمَّ اسْتَقْرَضَ مِنْهُمْ بَعْضَهُ، وَمَدَحَهُمْ بِإِعْطَائِهِ، وَالْكُلُّ مِلْكُهُ وَمِنْ فَضْلِهِ، وَلَكِنَّ كَرَمَهُ اقْتَضَى ذَلِكَ]**، وقال ابن الأمير الصنعاني عند شرح الحديث السابق: [**فالرضى منه تعالى يتسبب عن حمده المتسبب عن الأكلة والشربة، سبحانه ما أكرمه، أعطى المأكول وأقدر على أكله، وجعله سائغا وساقه إلى عبده، وأوجده من العدم ثم أقدره على حمده، وألهمه قوله، وعلمه النطق به، ثم كان سببا لرضائه، اللهم لك الحمد حمدا يدوم على جميع نعمائك**][٢٧٠].

٣/ لا ينال المرء مَطْلُوبه إلا بأمْر خَالِقِه، ولا يبلغ شأناً يقصده إلا بتوفيق منه سبحانه، حتَّى اللقمة يأكلها، والنَّفَس يتنفَّسه، فمشيئته من مشيئة الله، ومشيئة الله غالبة، وهو القادر وقدرته مطلقة، أمَّا الإنسان فهو عاجز وحاجته بيد خالقه، فإذا أراد شيئا قد أَرَادَه الله لَه أعْطَاه بفَضْل مِنْه، وإلا مَنَعَه

[٢٦٨]) صحيح البخاري ٥٤٥٨.
[٢٦٩]) شرح النووي على مسلم.
[٢٧٠]) التنوير شرح الجامع الصغير ٣/ ٣٤٣.

عَنْه بحِكْمَته، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[٢٧١]، قال الشافعي في تفسير هذه الآية: [**إن مشيئة العباد هي إلى الله تعالى، ولا يشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين، فإن الناس لم يخلقوا أعمالهم، وهي خَلْقٌ من خَلْقِ الله تعالى**][٢٧٢]، وقال السمرقندي: [**فأعلمهم أن المشيئة والتوفيق والخذلان إليه، وأن الأمور كلها بمشيئة الله تبارك وتعالى وإرادته**][٢٧٣]، وقال ابن فورك: [**مشيئته على قدرته، وأنّه لا تجري الأمور في ملكه إلا على حسب مشيئته**][٢٧٤]، وجاء في التفسير الوسيط للقرآن الكريم: [**أَي: لا يقع ما تريدونه ولا يتم ما تشاءُونه بإِرادتكم، فأَعمالكم التي لكم فيها الاختيار لا تتم ولا تقع وفق اختياركم لها، وإِنما ذلك مرهون وموقوف على مشيئة الله لذلك، فما شاءَ سبحانه كان وحصل، وما لم يشأْ لا يكون ولا يحدث**][٢٧٥]، فبذلك استحقّ الله سبحانه الحَمْد على الدَّوام، في الليل والنهار، والسر والعلن، والسراء والضراء، والشدة والرخاء، وما عَلِمَ الإنسانُ منه الحكمةَ ومالم يعلم، وقد أثنى الله تعالى على نفسه باستحقاقه الحمد في كل زمان ومكان، على كل ما يقضيه سبحانه فقال عز من قائل: ﴿ **وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ**﴾[٢٧٦]، قال النسفي في تفسير هذه الآية: [**وهو المحمود عند جميع خلقه من سكان سماواته وأرضه، يحمدونه على نعمه ويثنون عليه بصفاته، وقيل: تحمده الملائكة في السماوات والمؤمنون في الأرض**][٢٧٧]، وقال المراغي: [**والله هو المحمود من جميع خلقه في السموات من سكانها من الملائكة، وفى الأرض من أهلها من أصناف خلقه فيها**][٢٧٨]، فالحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه سبحانه.

اللهُمَّ اجْعَلْنَا لَكَ ذَاكِرِيْن شَاكِرِيْن حَامِدِيْن أَوَّاهِيْن مُخْبِتِيْن مُنِيْبِيْن.

---

[٢٧١]) سورة التكوير، الآية: ٢٩.
[٢٧٢]) تفسير الإمام الشافعي ١٣/ ١٤١٧.
[٢٧٣]) تفسير السمرقندي ٣/ ٥٥٣.
[٢٧٤]) تفسير ابن فورك ٣/ ١٦٤.
[٢٧٥]) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ١٠/ ١٧٢٠.
[٢٧٦]) سورة الروم، الآية: ١٨.
[٢٧٧]) التيسير في التفسير ١٢/ ٢٠.
[٢٧٨]) تفسير المراغي ٢١/ ٣٥.

المجلس (الثَّامن عشر)

فضل الدلالة على الخير

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: " **من دلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعلِه**"[٢٧٩].

الفوائد:

١/ فضْل الله واسع، ولا يُحْرم من الأجر إلا مَن حَرَم نفسَه مِنْه، وتَغَافل عن بذل أسباب الوصول إليه، بفِعْل نوعٍ من أنواع الخير، أو الدّلالة عليه، أو إرشاد غيره إليه، إن عَجِز عن فِعْله، ويكون بأيّ وسيله مشروعة، قال النووي عند شرحه لحديث أبي مسعود السابق: [**فِيهِ فَضِيلَةُ الدَّلَالَةِ عَلَى الْخَيْرِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَيْهِ، وَالْمُسَاعَدَةِ لِفَاعِلِهِ، وفيه فضيلة تعليم العلم، ووظائف العبادات، لاسيما لِمَنْ يَعْمَلُ بِهَا مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَالْمُرَادُ بِمِثْلِ أَجْرِ فَاعِلِهِ: أَنَّ لَهُ ثَوَابًا بِذَلِكَ الفعل، كما أن لفاعله ثوابا، ولا يلزم أَنْ يَكُونَ قَدْرُ ثَوَابِهِمَا سَوَاءً**][٢٨٠]، وقال الصنعاني: [**دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ الدَّلَالَةَ عَلَى الْخَيْرِ يُؤْجَرُ بِهَا الدَّالُّ عَلَيْهِ كَأَجْرِ فَاعِلِ الْخَيْرِ، وَهُوَ مِثْلُ حَدِيثِ " مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا"، وَالدَّلَالَةُ تَكُونُ بِالْإِشَارَةِ عَلَى الْغَيْرِ بِفِعْلِ الْخَيْرِ، وَعَلَى إرْشَادِ مُلْتَمِسِ الْخَيْرِ عَلَى أَنَّهُ يَطْلُبُهُ مِنْ فُلَانٍ، وَالْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ، وَتَأْلِيفِ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَلَفْظُ خَيْرٍ يَشْمَلُ الدَّلَالَةَ عَلَى خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلِلَّهِ دَرُّ الْكَلَامِ النَّبَوِيِّ مَا أَشْمَلَ مَعَانِيَهُ وَأَوْضَحَ مَبَانِيَهُ، وَدَلَالَتَهُ عَلَى خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**][٢٨١]، وإن فعل نوع من أنواع الخير أو الدلالة عليه يُعَدُّ نفعا للآخرين موجب للخيريَّة المذكورة في قول النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم: "

---

[٢٧٩]) صحيح مسلم ١٨٩٣.

[٢٨٠]) شرح النووي على مسلم ١٣/ ٣٩.

[٢٨١]) سبل السلام ٢/ ٦٣٩.

خيرُ النّاسِ أنفعُهم للنّاسِ"[٢٨٢]، فما أعظم أن ينال المسلم مثل هذا الوسام العظيم لحبه الخير لغيره؛ وما أعظم كَرَم الله الواسع على عباده.

٢/ نشر الخير بين النَّاس يُحيي المجتمعات، ويُورث مبدأ التَّكافل والتَّعاون، وينشر الألفة والمحبة والرَّحمة، وحين يريد أحدٌ الخيرَ لغيره بدافع الرَّحمة؛ فإنَّه يتعرَّض بنيَّته الحسنة لرحمة الله تعالى، المشار إليها في قول رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: " **الرَّاحمونَ يرحمُهُمُ الرَّحمنُ؛ ارحَموا من في الأرضِ يرحَمْكم من في السَّماءِ**"[٢٨٣]، قال الكرماني في شرح هذا الحديث: [**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"؛ أي: مَنْ ملكُه وقدرته في السماء، وهو الله، أو المراد به الملائكة، وذلك حفظُهم عن الأعداء وسائر المؤذيات بأمره تعالى، واستغفارهم للراحمين في الأرض**]، وقال العباد: [**وهذا لأن الجزاء من جنس العمل، فكما أنهم يَرحمون يُرحمون، فحينما حصلت منهم رحمة للخلق الذين يستحقون الرحمة؛ فجزاؤهم أن يرحمهم الله تعالى**][٢٨٤]، ثم إن من يفعل الخير ويدلُّ عليه يناله مما يكرم الله به مَن قابَل ربَّه بحُسن الطاعة وصدق الالتزام، فيبارك الله في عمره وعمله، قال المنذري: [**فعل الخير وتشييد الصالحات والعمل المحمود يكون سببا لزيادة العمر، بمعنى أن الله يتكرم بحفظ صحة البار، ويجعل له سيرة حسنة، ويحفظ وقته من الضياع في اللهو، بل يبارك فيه، .. وإني أشاهد من أطاع الله متعه بكمال الصحة، وحسن حاله، وأزال آلامه، وأطال عمره**][٢٨٥].

٣/ كل فعل خير محبوب عند الله وعند خَلْقه، وأفْضَله ما انتفع به المرء في دينه، فقرَّبه من ربِّه، وتنوَّرت به حياته، فعاش لله، واستقام على أمره، واعتصم به، وقد أثنى الله على مَن أرشد عباده إليه، فقال الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[٢٨٦]، قال الطبري عند تفسير هذه الآية: [**ومن أحسن أيها الناس قولا ممن قال ربنا الله ثم استقام على**

---

[٢٨٢]) صحيح ابن حبَّان ٢/٤٨.

[٢٨٣]) صحيح الترمذي ١٩٢٤.

[٢٨٤]) شرح سنن أبي داوود للعباد ٣/ ٥٦٢.

[٢٨٥]) الترغيب والترهيب للمنذري ٢/ ٢١.

[٢٨٦]) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

الإيمان به، والانتهاء إلى أمره ونهيه، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك][٢٨٧]، وقال القشيري: [**أي لا أحد أحسن قولا منه**][٢٨٨]، وقال الماتريدي: [**كأنه يقول: ومن أحسن مذهبًا ومسيرة ممن دعا إلى اللَّه، أي: إلى توحيد اللَّه ودينه، أو دعا إلى المعروف والنهي عن المنكر، أي: دعا غيره إلى ذلك وعمل بنفسه، وهذا المعروف يجمع جميع الخيرات والطاعات، فإن كان قوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ على ما ذكرنا من المذاهب والسيرة، فكأنه يقول: ومن أحكم وأتقن مذهبًا وسيرة ممن ذكر، وإن كان على حقيقة القول فيكون قوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي: ومن أصدق قولا ممن قال ما ذكر، واللَّه أعلم**][٢٨٩]، وقال التستري: [**أي ممن دل على الله وعلى عبادته وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، واجتناب المناهي، وإدامة الاستقامة مع الله، والاستقامة به خوفاً من الخاتمة، وفي الطريقة الوسطى، والجادة المستقيمة التي من سلكها سلم، ومن تعداها ندم**][٢٩٠]، كما أن قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه يوم خيبر: " **فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ**"[٢٩١]، يدل دلالة عظيمة على أهمية الدعوة إلى الله تعالى، وفضل معلمي الناس الخير، قال القرطبي في شرح هذا الحديث: [**حض عظيم على تعليم العلم وبثّه في الناس، وعلى الوعظ والتذكير بالدار الآخرة والخير، .. والهداية: الدَّلالة والإرشاد، والنَّعم: هي الإبل، وحمرها هي خيارها حسنًا وقوة ونفاسة، لأنَّها أفضل عند العرب، ويعني به والله أعلم: أن ثواب تعليم رجل واحد، وإرشاده للخير أعظم من ثواب هذه الإبل النفيسة لو كانت لك فتصدقت بها، لأنَّ ثواب تلك الصدقة ينقطع بموتها، وثواب العلم والهدى لا ينقطع إلى يوم القيامة، كما قال صلى الله عليه وسلم: " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث.. فذكر منها: علم ينتفع به"**[٢٩٢]][٢٩٣]، والنُّصوص في ذلك كثيرة.

---

[٢٨٧]) تفسير الطبري ٢١/ ٤٦٨.
[٢٨٨]) لطائف الإشارات ٣/ ٣٣١.
[٢٨٩]) تفسير الماتريدي ٩/ ٨٠.
[٢٩٠]) تفسير التستري ١٣٧.
[٢٩١]) صحيح البخاري ٤٢١٠.
[٢٩٢]) صحيح مسلم ١٦٣١.
[٢٩٣]) المفهم ٦/ ٢٧٦.

٤/ وكما أن دلالة المسلم على الخير ينال بها أجرها وأجر مَن فعَلَها إلى يوم القيامة؛ فكذلك مَن دل على محرم ودعا إليه؛ عليه وزره ووزر من عمل به إلى يوم القيامة، قال النووي عند ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم " **لَا تُقْتَلُ نفس ظلما إلا كان على بن آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ** ": [**الْكِفْلُ بِكَسْرِ الْكَافِ الْجُزْءُ وَالنَّصِيبُ؛ وَقَالَ الْخَلِيلُ هُوَ الضِّعْفُ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ؛ وَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَنِ ابْتَدَعَ شَيْئًا مِنَ الشَّرِّ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ كُلِّ مَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ مِثْلَ عَمَلِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ وَمِثْلُهُ من ابتدع شيئا مِنَ الْخَيْرِ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ كُلِّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ " مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً"**[٢٩٤]، **وَلِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ " مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ"**[٢٩٥]، **وَلِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ " مَا مِنْ دَاعٍ يَدْعُو إِلَى هُدًى، وَمَا مِنْ دَاعٍ يَدْعُو إِلَى ضَلَالَةٍ"**[٢٩٦] **والله أعلم**][٢٩٧].

اللهمَّ اجعلْنا هداةً مُهتديْن، غير ضآلِّين ولا مُضلِّين.

***

[٢٩٤]) صحيح مسلم ١٠١٧.

[٢٩٥]) صحيح مسلم ١٨٩٣.

[٢٩٦]) صحيح مسلم ٢٦٧٤، بلفظ: "مَن دَعا إلى هُدًى، كانَ له مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن أُجُورِهِمْ شيئًا، ومَن دَعا إلى ضَلالَةٍ، كانَ عليه مِنَ الإثْمِ مِثْلُ آثامِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن آثامِهِمْ شيئًا".

[٢٩٧]) شرح النووي على مسلم ١١/ ١٦٦.

المجلس (التَّاسع عشر)

أهمية الاتِّباع في الطاعات

عن عابس بن ربيعة رضي الله عنه قال: رأيتُ عُمرَ بنَ الخطَّابِ يُقبِّلُ الحجرَ – يعني: الأسود- ويقولُ: [**إنِّي أَعْلَم أَنَّك حَجَر مَا تَنْفعُ ولَا تَضُر، ولَولا أنِّي رأَيتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يقبِّلُكَ ما أقبِّلْكَ**][٢٩٨].

الفوائد:

١/ العبادة اسْتِسْلام وانْقِيَاد واتِّبَاع وتَصْدِيق، سَوَاء وافَقَت رغْبَة النَّفس أو لم تُوَافِقْها، عُلِمَت الحكمةُ مِن الأمْرِ بها أو لم تُعْلَم، قال القسطلاني في شرح حديث عباس بن ربيعة السابق: [**فمتابعته عليه الصلاة والسلام مشروعة، وإن لم يعقل معناها، لكن فيه تعظيم للحَجَر وتبرّك به واختيار، ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع، وذلك شبيه بقصة إبليس، حين أمر بالسجود لآدم**][٢٩٩]، فكُلُّ مسْلِم مأمورٌ بأن يَقُوْم بأمْرِ الدِّين عن قَبُولٍ ورِضَى، وخُضُوعٍ لله تعالى، وإيمانٍ بأَنَّ ما أُمِر به فهو الحقّ، ولَهُ بِه الخَيْر في الدُّنيا والآخِرَة، قال الله عز وجل: ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[٣٠٠]، فمن خالف أمر الله وأمر رسوله فقد عصى، ووقع في الضلال، كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**﴾[٣٠١]، قال الطبري في تفسير هذه الآية: [**لم يكن لمؤمن بالله ورسوله، ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم، ويخالفوا أمر الله**

[٢٩٨]) صحيح البخاري ١٥٩٧، صحيح مسلم ١٢٧٠.
[٢٩٩]) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٣/ ١٦٩.
[٣٠٠]) سورة النور، الآية: ٥١.
[٣٠١]) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

وأمر رسوله وقضاءهما فيعصوهما، ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا ﴿ فقد ضل ضلالا مبينا﴾ يقول: فقد جار عن قصد السبيل][٣٠٢].

٢/ قَرَن اللهُ تَعَالى طَاعَةَ رسُوله صَلَّى الله عليه وسلَّم بِطَاعَتِهِ سُبْحَانه؛ بَياناً لقَدْرِهَا وأهمِّيَّتِها، وأنَّ كمَال طاعة الله التي يكون بها النَّجاة والفلاح تتَحقَّق بطاعة رسُوله صلَّى الله عليه وسلَّم، وتحققها في العبد دَليْل صِدْق الاتِّبَاع والاسْتِسْلَام والانْقِيَاد، قال الله تعالى: ﴿ **مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾[٣٠٣]، قال السعدي في تفسير هذه الآية: [**أي: كل مَنْ أطاع رسول الله في أوامره ونواهيه ﴿ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ تعالى؛ لكونه لا يأمر ولا ينهى إلا بأمر الله وشرعه ووحيه وتنزيله، وفي هذا عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن الله أمر بطاعته مطلقا، فلولا أنه معصوم في كل ما يُبَلِّغ عن الله لم يأمر بطاعته مطلقا، ويمدح على ذلك، وهذا من الحقوق المشتركة، فإن الحقوق ثلاثة: حق لله تعالى لا يكون لأحد من الخلق، وهو عبادة الله والرغبة إليه، وتوابع ذلك، وقسم مختص بالرسول، وهو التعزير والتوقير والنصرة، وقسم مشترك، وهو الإيمان بالله ورسوله ومحبتهما وطاعتهما، كما جمع الله بين هذه الحقوق في قوله: ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾**[٣٠٤] **فمَنْ أطاع الرسول فقد أطاع الله، وله من الثواب والخير ما رتب على طاعة الله، ﴿ وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ عن طاعة الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئًا، ﴿ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي: تحفظ أعمالهم وأحوالهم، بل أرسلناك مبلغا ومبينا وناصحا، وقد أديت وظيفتك، ووجب أجرك على الله، سواء اهتدوا أم لم يهتدوا، كما قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾**[٣٠٥] **الآية]**، وقال سبحانه: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ، فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ**

---

[٣٠٢]) تفسير الطبري ١٩/ ١١٢.

[٣٠٣]) سورة النساء، الآية: ٨٠.

[٣٠٤]) سورة الفتح، الآية: ٩.

[٣٠٥]) سورة الغاشية، الآية: ٢١-٢٢.

الْكَافِرِينَ﴾[٣٠٦]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " **مَن أطَاعَنِي فقَدْ أطَاعَ اللَّهَ، ومَن عَصَانِي فقَدْ عَصَى اللَّهَ، ومَن يُطِعِ الأمِيرَ فقَدْ أطَاعَنِي، ومَن يَعْصِ الأمِيرَ فقَدْ عَصَانِي**"[٣٠٧]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: " **كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى**"[٣٠٨].

٣/ الأمر باتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم يشملها بأنواعها القولية والفعلية والتقريرية، أي ما قاله عليه الصلاة والسلام لأمته، وما فعله، وما أقر من أفعال أتباعه التي لم يأمرهم بفعلها، فالأمر باتباع كل ما سبق هو استجابة لأمر الله تعالى القائل: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[٣٠٩]، وغير ذلك من النصوص القرآنية الكثيرة، قال أبو المطرف القنازعي شارح حديث تقبيل الحجر الأسود السابق: [**ففي هذا من الفقه أن سنن النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله يؤتى بها كما سنها وفعلها؛ ما لم ينسخها صلى الله عليه وسلم بغيرها؛ أو يتركها الخلفاء بعده لشيء علموه في ذلك**][٣١٠].

اللهُمَّ أَرِنَا الحقَّ حَقَّاً وارْزُقْنَا اتِّبَاعَه، وأَرِنَا البَاطِلَ بَاطِلاً وارْزُقْنَا اجْتِنَابَه.

***

[٣٠٦]) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.
[٣٠٧]) صحيح البخاري ٢٩٥٧.
[٣٠٨]) صحيح البخاري ٧٢٨٠.
[٣٠٩]) سورة الحشر، الآية: ٧.
[٣١٠]) تفسير الموطأ ٢/ ٦٣٥.

المجلس (العشرون)

حقيقة المسلم والمهاجر

عـنْ عبـدالله بـن عمـرِو بـنِ العـاصِ رضـي الله عنهمـا عـن النَّـبيِّ الله صـلَّى الله عليـه وسـلَّم قـال: " **المُسْـلِمُ مَـن سَـلِمَ المُسْـلِمُونَ مِـن لِسـانِهِ ويَـدِهِ، والمُهـاجِرُ مَـن هَجَـرَ مـا نَهَـى اللَّهُ عنْه**"[٣١١].

الفوائد:

١/ الـذي يَسْـلَم المسْـلِمُون مِـن لِسَـانه ويَـده هـو الـذي يـذْكُرهُم بخـير إن حَظَـروا وإن غَـابوا، وإن عاشُـوا وإن مـاتُوا، تَـراه بالصَّـغير رحيمـاً، وبالكبـير مـوقِّرا، يمسَـح رأسَ اليَتِـيْم، ويَعْطِـف علـى الفقِـير، ويمـدُّ يـد العَـوْن بأنواعـه لمـن احتـاج إن كـان قـادراً، وينْشُـر التَّحيَّـة والسَّـلام بـين الجميـع، اجـلالاً واحترامـاً ومحبـةً ووفـاءً وإخـاءً، لا يجِـدُ منْـه كـلُّ مَـن يعْرفـه أو يَـراه إلا الخَـير، فـلا يـرون منـه شـرا يريـده بهـم، ولا أذي يوجهـه لهـم، قـال ابـن بطـال عنـد ذكـر الحـديث السـابق: [**والمـراد بهـذا الحـديث الحـضّ علـى تـرك أذى المسـلمين باللسـان واليـد والأذى كلـه، قـال الحسـن البصـري: الأبرار هم الذين لا يؤذون الذر والنمل**][٣١٢].

٢/ خَيْرُ النَّاس من يَأْلَفُه النَّاسُ ويَأْلَفُهُم، لا يجدُوْن مِنْه ما يُنفرُّهم منْه، تَدْفَعُهُم أخْلَاقُه لِلْقُرْب مِنْه، لأن القلوب صارت متعارفة متآلفة، كما قال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: " **والأرْواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَما تَعارَفَ مِنْها ائْتَلَفَ، وما تَناكَرَ مِنْها اخْتَلَفَ**"[٣١٣]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: " **المؤمن يأْلَف ويُؤْلَف، ولا خير فيمن لا يأْلَف ولا يُؤْلَف**"[٣١٤] ، قال الصنعاني في شرح هذا الحديث: [" **المؤمن يألف**": **غيره ويأنس به لسلامة صدره وحسن خلقه وصلاح طويته، " ويؤلف": يألفه الناس**

[٣١١]) صحيح البخاري ١٠، صحيح مسلم ٤٠.
[٣١٢]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/ ٦٢.
[٣١٣]) صحيح مسلم ٢٦٣٨.
[٣١٤]) السلسلة الصحيحة ٤٢٥.

لحسن حاله وكونه لهم إلفًا، " ولا خير فيمن لا يألف": فإنه لسوء خليقته وقبيح طريقته وخبث طويته إلا أن يتركهم إيثارًا لتقواه وانفرادًا بطاعة مولاه وتبعيدًا لشره عنهم، " ولا يؤلف": لأنه لا يترك الناس ألفته إلا لقبح حاله ولسوء خلقه ورداءة عشرته][٣١٥]، فشرُّ النَّاسِ مَن يكره الناسُ العَيْش مَعَه ولا يُطِيْقُوَنه، لسُوء خُلُقه، وقُبْح طَبْعِه، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: " **إنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَومَ القِيَامَةِ مَن تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ**"[٣١٦]، قال العباد في شرح هذا الحديث: **[أي: تركه الناس اتقاء فحشه، أو اتقاء شره، وذلك كإنسان يكون عند بذاءة في اللسان وعنده تطاول على الناس، فالناس يحرصون على أن يتخلصوا منه، ولا يدخلون معه في مصادمات؛ لأنه يؤذيهم، وقد بذل نفسه للإيذاء، فما يكون من الناس إلا أن يلينوا له القول لاتقاء شره، فبدلاً من أن يحصل منهم أمر يدفعه إلى أن يتطاول عليهم ويؤذيهم ويسبهم ويفحش في القول فيهم؛ يلينوا له القول من أجل أن يتقوا شره؛ لأن سلامة الناس من شره أمر مقصود]**[٣١٧].

٣/ هَجْرُ المسلم لما نَهَى الله عنْه انْتِصَارٌ على هَوى النَّفس ورغبَاتها المخالفة لما أَذِن اللهُ به، وانْقِياد واتِّباع لما أَمَر به سبحانه على نورٍ وبصيرةٍ مِنْه، وهو ما دل عليه قول نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق: " **المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ، والمُهاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهَى اللَّهُ عنْه** "[٣١٨]، قال الشيرازي في شرحه لهذا الحديث: **[والمهاجر ليس من هاجر من مكة إلى المدينة قبل فتح مكة فقط، بل الهجرة باقية إلى يوم القيامة؛ لأن الهجرة هي الانتقال من الكفر إلى الإسلام، ومن ديار الكفر إلى ديار المسلمين، ومن المعصية إلى الطاعة، وهذه الأشياءُ باقيةٌ أبدًا، والمهاجر في هذا الحديث هو المهاجر الكامل؛ لأن من هاجر من دار الكفر، وانتقل إلى دار المسلمين، فهو مهاجر، وإن لم يُهاجرْ ما نهى الله تعالى عنه من الذنوب، ولكنه مهاجر غير كامل، ومن هاجر جميع ما نهى الله تعالى عنه، فهو مهاجرٌ كامل]**[٣١٩]، وقال ابن رجب: **[فأصل الهجرة: هجران الشر ومباعدته لطلب الخير ومحبته والرغبة فيه، والهجرة عند الإطلاق في كتاب السنة إنما تنصرف إلى هجران بلد**

---

[٣١٥]) التنوير شرح الجامع الصغير ١٠/ ٤٥٠.

[٣١٦]) صحيح البخاري ٦١٣١، مسلم ٢٥٦١.

[٣١٧]) شرح سنن أبي داود للعباد ١٨/ ٥٤٥.

[٣١٨]) صحيح البخاري ١٠، صحيح مسلم ٤٠.

[٣١٩]) المفاتيح في شرح المصابيح ١/ ٦٦.

الشرك إلى دار الإسلام؛ رغبة في تعلم الإسلام والعمل به، وإذا كان كذلك فأصل الهجرة: أن يهجر ما نهاه الله عنه من المعاصي، فيدخل في ذلك هجران بلد الشرك رغبة في دار الإسلام، وإلا فمجرد هجرة بلد الشرك مع الإصرار على المعاصي ليس بهجرة تامة كاملة، بل الهجرة التامة الكاملة: هجران ما نهى الله عنه، ومن جملة ذلك: هجران بلد الشرك مع القدرة عليه][٣٢٠]، فتلك حقيقة الطَّاعة لله تعالى والاسْتِسْلَام والخُضوع لَه، حين يُقدِّم المسلم الانقياد لأمر الله على هوى النفس؛ ويُؤْثِر الباقي على الفاني، وقد ذَمَّ اللهُ مَن انْقَاد لِهَوى نفسه في الحق والباطل حَتَّى صَار عَبْداً لَه مُطِيْعا دون بصيرة من أمره، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[٣٢١]، ثم إن هجران المنهيات وامتثال الأوامر وفعل الطاعات باب واسع يشمل كل هجر لأمر منهي عنه وطاعة مأمور بها؛ كما أن المهاجرين كل من وُفِّق لذلك من المسلمين؛ الذين آثروا طاعة الله على تلبية رغبات أنفسهم؛ وبهذا تتفاوت مراتبهم في ذلك عند الله تعالى، إضافة إلى ذلك فإن في الحديث إشارة إلى تعظيم قدر هذا الأمر، وأنه لا يغني عن الإنسان هجر داره وأهله ووطنه وماله لأجل الله دون استشعار هذا الهجر؛ والذي تنهزم أمامه كثير من النفوس، ويترتب عليه الجزاء والثواب، فلا يوفَّق لتلك المنزلة إلا من وفَّقه الله عز وجل، وكان هو المهاجر بحق؛ يشهد له في ذلك عمله، وصبره وعطاؤه وبذله، لهذا فَهِم العلماء من الحديث أن هذا هو المهاجر الكامل، وقد سبق ذكر ذلك، وفي مثل ذلك قال ابن حجر : [**قَوْلُهُ " وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ": قِيلَ خُصَّ الْمُهَاجِرُ بِالذِّكْرِ تَطْيِيبًا لِقَلْبِ مَنْ لَمْ يُهَاجِرْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِفَوَاتِ ذَلِكَ بِفَتْحِ مَكَّةَ؛ فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ كَانَ هُوَ الْمُهَاجِرَ الْكَامِلَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ تَنْبِيهًا لِلْمُهَاجِرِينَ أَنْ لَا يَتَّكِلُوا عَلَى الْهِجْرَةِ فَيُقَصِّرُوا فِي الْعَمَلِ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي أُوتِيَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ**][٣٢٢].

اللهُـمَ اهْـدِنَا لِأَحْسَـنِ الأَخْـلَاقِ والأَفْعَـالِ والأَقْـوَالِ لَا يَهْـدِي لِأَحْسَـنِهَا إِلَّا أَنْـتَ، واصْـرِفْ عَنَّا سَيِّئَها لَا يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

---

[٣٢٠]) فتح الباري لابن رجب ١/ ٣٩.

[٣٢١]) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

[٣٢٢]) فتح الباري لابن حجر ١١/ ٣١٩.

المجلس (الحادي والعشرون)

ترابط المؤمنين وتعاونهم

عـنِ النُّعمـانِ بـنِ بشـيرٍ رضـي الله عنْهُمـا قـالَ: قـالَ رَسُـولُ اللهِ صـلَّى اللهُ عليـهِ وسَـلَّم: " **مَثَـلُ المـؤمنين في تَـوادِّهم، وتَـرَاحُمِهم، وتعـاطُفِهِمْ، مثـلُ الجسَـدِ، إذا اشـتكَى منْـهُ عضـوٌ تـدَاعَى لَـهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى**"[٣٢٣].

الفوائد:

١/ الإيمـان للقُلـوب كَالغَيْـث لِـلأرْضِ، ترتـوي بـه وتحيـا؛ وينبـت بهـا كـل نافـع؛ وكـذلك هـو الإيمـان مـع القلـوب؛ إنْ حـلَّ بهـا رقَّـت ولَانـت، وصَـارَت طَـاهرةً مِـن الأدْرَان والأوْسَـاخ، مِلْؤهَـا التُّقـى والنَّقـاء، مُحِبَّـةً لِلْخَـيْرِ مُسَـارعةً فِيْـه وإليْـهِ، وهـذه صـفات خـير النـاس وأفضـلهم، وقـد ورَد في حَـديثِ عبْـد الله بـن عَمْـرو رضـي الله عنـه أنـه قـال: قيـل لِرسُـولِ اللهِ صـلَّى اللهُ عليْـهِ وسـلَّمَ أيُّ النـاسِ أفضـلُ قـال: " **كـلُّ مخمـومِ القلـبِ صـدوقِ اللسـانِ، قـالوا صـدوقُ اللسـانِ نعرفُـه فمـا مخمـومُ القلـبِ؟ قـال هـو التقـيُّ النقـيُّ لا إثمَ فيـه ولا بغـيَ ولا غِـلَّ ولا حسـدَ**"[٣٢٤]، نظيـف القلـب مـن الأدران والأمـراض القلبيـة، قـال الهـروي عنـد شـرحه لهـذا الحـديث: [**بِالْخَـاءِ الْمُعْجَمَـةِ أَيْ: سَـلِيمُ الْقَلْـبِ لِقَوْلِـهِ تَعَـالَى: ﴿ إِلَّا مَـنْ أَتَـى اللَّهَ بِقَلْـبٍ سَـلِيمٍ﴾**[٣٢٥]، **مِـنْ خَمَمْـتَ الْبَيْـتَ إِذَا كَنَسْـتَهُ عَلَـى مَـا فِي الْقَـامُوسِ وَغَـيْرِهِ، فَـالْمَعْنَى أَنْ يَكُـونَ قَلْبُـهُ مَكْنُوسًـا مِـنْ غُبَـارِ الْأَغْيَـارِ، وَمُنَظَّفًـا مِـنْ أَخْـلَاقِ الْأَقْـذَارِ**][٣٢٦]، وقـال الطيـبي: [**الجـواب ينظـر إلى قولـه تعـالى: ﴿ أُوْلَئِـكَ**

---

[٣٢٣]) صحيح البخاري ٦٠١١، صحيح مسلم ٢٥٨٦.

[٣٢٤]) صحيح ابن ماجة ٣٤١٦.

[٣٢٥]) سورة الشعراء، الآية: ٨٩.

[٣٢٦٣٢٦]) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨/ ٣٢٦٧.

الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾[٣٢٧]، **مِن قولهم: امتحن الذهب وفتنه؛ إذا أذابه فخلص إبريزه، ونقاه من خبثه، وعن عمر رضي الله عنه: أذب الشهوات عنها]**[٣٢٨].

٢/ إن صح ما في القلب صحَّت آثاره؛ وإن فسد ما فيه فسدت آثاره، فبصلاح القلب تصلح الجوارح، ويحسُن عملها، فهي آثار لما فيه، وبقدر ما فيه من الإيمان والصلاح والتُّقى والنقاء تكون ثماره الطيبة، والعكس بالعكس، فبفساد ما في القلب تفسد الجوارح، ويسوء عملها، قال ابن تيمية: [**فَأَصْلُ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ وَهُوَ قَوْلُ الْقَلْبِ وَعَمَلُهُ؛ وَهُوَ إقْرَارٌ بِالتَّصْدِيقِ وَالْحُبِّ وَالِانْقِيَادِ، وَمَا كَانَ فِي الْقَلْبِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ مُوجِبُهُ وَمُقْتَضَاهُ عَلَى الْجَوَارِحِ، وَإِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِمُوجِبِهِ وَمُقْتَضَاهُ دَلَّ عَلَى عَدَمِهِ أَوْ ضَعْفِهِ، وَلِهَذَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ مِنْ مُوجِبِ إيمَانِ الْقَلْبِ وَمُقْتَضَاهُ، وَهِيَ تَصْدِيقٌ لِمَا فِي الْقَلْبِ، وَدَلِيلٌ عَلَيْهِ وَشَاهِدٌ لَهُ، وَهِيَ شُعْبَةٌ مِنْ مَجْمُوعِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ وَبَعْضٌ لَهُ؛ لَكِنَّ مَا فِي الْقَلْبِ هُوَ الْأَصْلُ لِمَا عَلَى الْجَوَارِحِ، كَمَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنَّ الْقَلْبَ مَلِكٌ وَالْأَعْضَاءَ جُنُودُهُ، فَإِنْ طَابَ الْمَلِكُ طَابَتْ جُنُودُهُ، وَإِذَا خَبُثَ الْمَلِكُ خَبُثَتْ جُنُودُهُ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " إنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"**[٣٢٩]] [٣٣٠].

٣/ من آثار صلاح قلب المرء حبه فعل الخير للغير، كحبه الخير لنفسه، يشهد لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: " **لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**"[٣٣١]، وتمثل الود والرحمة والعطف؛ سلوكا في الحياة الاجتماعية وتعاملا مع الآخرين؛ كما جاء في وصف النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين مع بعضهم في حديث النعمان بن بشير السابق: " **مَثَلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَرَاحُمِهِم، وتعاطُفِهِمْ، مثلُ الجسَدِ، إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تدَاعَى**

---

[٣٢٧]) سورة الحجرات، الآية: ٣.

[٣٢٨]) شرح المشكاة ١٠/ ٣٣٠٥.

[٣٢٩]) صحيح البخاري ٥٢، صحيح مسلم ١٥٩٩.

[٣٣٠]) مجموع الفتاوى ٧/ ٦٤٤.

[٣٣١]) صحيح البخاري ١٣، صحيح مسلم ٤٥.

لَـهُ سـائِرُ الجسَـدِ بالسَّـهَرِ والْحُمَّـى"[٣٣٢]، فهـذا الحـديث بيـان لأهميَّـة وقـوَّة ارتبَـاط المـؤمِن بإخْوانـه المـؤمِنِيْن؛ وشِـدَّة عَلاقتـه بهـم؛ وصِـدْق أُخُوَّتِـه لهُـم، والصِّـفة الـتي يجـب أن يكـون عليهـا كـلُّ مـؤمن مـع إخوانـه المـؤمنين؛ فقـد شـبَّهَهُم رسـولُ الله صـلَّى الله عليـه وسـلَّم بالجسَـد الوَاحِـد، الـذي لا تنفَـكّ أجـزاؤه عَـن بَعْـض، فـيَحُسُّ العُضْـوُ مِنْهـا بمـا يَعْـتَري العَضْـوَ الآخَـر مـن الخَـيْر أو الشَّـر، يفْـرحُ لِفَرَحِـه، ويحْـزَن لحُزْنـه، ويُشْـركه في يُسْـره وعُسْـره، قـال ابـن الجـوزي في شـرح هـذا الحـديث: [**إِنَّمَـا جعـل الْمُـؤمنِينَ كجسـد وَاحِـد لِأَن الْإِيمَـان يجمعهُـمْ كَمَـا يجمـع الْجَسَـد الْأَعْضَـاء، فلموضـع اجْتِمَـاع الْأَعْضَـاء يتَـأَذَّى الْكـل بتـأذِّي الْـبَعْض وَكَـذَلِكَ أهـل الْإِيمَـان، يتَـأَذَّى بَعضـهم بتـأذِّي الْبَعْض**][٣٣٣].

٤/ ويؤكِّـد حقيقـة علاقـة المـؤمن مـع إخوانـه المـؤمنين مـا جـاء في حـديث أَبي مُوسـى الأشْـعَري رَضِـي اللهُ عنْـهُ قـالَ: قـالَ رسُـولُ الله صَـلَّى اللهُ علَيْـه وسَـلَّم: " **المُـؤْمِنَ للمـؤمنِ كالبُنْيـانِ يشـدُّ بَعضُـهُ بعضًـا؛ وشـبَّك بـين أصَـابِعِه**"[٣٣٤]، ويؤخـذ منـه التأكيـد علـى مبـادئ عظيمـة تـربط المـؤمن بإخوانـه، ومـن أمثلـة ذلـك: مبـدأ التَّـوادّ، والـتَّراحم، والتَّعـاطف، والتَّعـاون، والتَّناصـح، والتَّناصر، والتَّـآزر، وغيرهـا مـن المعـاني الـتي تقْـوى بهـا علاقـة المـؤمنين ببعضـهم، قـال الإمـام النـووي عـن الحـديث السـابق وغـيره ممـا يحـث علـى علاقـة المسـلمين ببعضـهم: [**هـذه الأحاديـث صـريحة في تعظـيم حقـوق المسـلمين بعضـهم علـى بعـض، وحـثِّهم علـى الـتراحم والملاطفـة والتعاضـد، في غـير إثم ولا مكـروه**][٣٣٥]، وقـال ابـن هبـيرة في ذلـك: [**ولمـا كـان المؤمنـون يرتفـدون بالمـؤمنين، ويتعاضـدون ويتسـاعدون؛ فتقـوى شـوكتهم، ويعلـو أمـرهم، كـان ذلـك مشـعرًا بإيمـانهم، فـإنهم علـى شـكل البنيـان الـذي كـل لبنـة منـه مـن حيـث إنهـا تتصـل بأختهـا، وأختهـا بأخـرى وهكـذا، وكـل مـن المـؤمنين مرتفـد بـه، كـل المـؤمنين: الكبـير والصـغير، والعـالم والمـتعلم، والمصـحوب والصـاحب، فيكـون مـثلهم كمثـل البنيـان الـذي كـل شـيء منـه نافـع لشـيء منـه، فكـان ذلـك**

[٣٣٢]) صحيح البخاري ٦٠١١، صحيح مسلم ٢٥٨٦.
[٣٣٣]) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٢/ ٢١٢.
[٣٣٤]) صحيح البخاري ٦٠٢٦، صحيح مسلم ٢٥٨٥.
[٣٣٥]) تحفة الأحوذي ٦/ ٤٧.

مـن الإيمـان][٣٣٦]، فالتعـاون والـترابط نجـاة ونجـاح؛ وغـير ذلـك هـلاك وخسـارة، والمـرء أيا كـان حالـه وقـدْره لا يسـتغني عـن إخوانـه؛ عـونا أو نصـرة أو مسـاعدة، أو غـير ذلـك مـن المعـاني الـتي تـدل علـى حاجـة المؤمن لأخيـه؛ واكتمـال حالـه بحالـه، واشـتداد أزره بـه، قـال القـرطبي في شـرح الحـديث السـابق: **[تمثيـل يفيـد الحـض علـى معونـة المـؤمن للمـؤمن ونصـرته، وأن ذلـك أمـر متأكـد لا بـد منـه، فـإنَّ البنـاء لا يـتم أمـره ولا تحصـل فائدتـه إلا بأن يكـون بعضـه يمسـك بعضـا ويقويـه، فـإن لم يكـن كـذلك انحلـت أجـزاؤه، وخـرب بنـاؤه، وكـذلك المـؤمن لا يسـتقل بأمـور دنيـاه ودينـه إلا بمعونـة أخيـه ومعاضـدته ومناصـرته، فـإن لم يكـن ذلـك عجـز عـن القيـام بكـل مصـالحه، وعـن مقاومـة مضـادة، فحينئـذ لا يـتم لـه نظـام دنيـا ولا ديـن، ويلتحـق بالهالكين]**[٣٣٧].

٥/ نَفْـعُ الغَـيْر والمسَـارَعَة في قَضَـاءِ حِـوَائِجِ النَّـاس صـفة مُهِمَّـةٌ لا تتيسـر لكُـلُّ إِنْسَـان، فَلَـيْسَ كُـلُّ أَحَـدٍ مِـنَ النَّـاس يَرْغَـبُ في فعـل ذلـك، ولـيْس كُـلُّ مَـن يُرِيْـدُ فِعْـلَ شـيء يَقْـدِرُ عَلَيْـه، وإِنَّمَـا هُـو تَوْفِيْـقٌ وتَيْسِـيْرٌ لِمَـن يَسَّـرَ اللهُ لَـه، وعَلِـمَ مِنْـهُ الصِّـدْق والرغبـة، فَكَتَـبَ الخَـيْرَ عَلَـى يَدَيْـه، واخْتَـارَه لِيَكُـون مِـنْ أَحَـبِّ النَّـاسِ إِلَيْـه، وقـد قـال نبينـا محمـد عليـه الصـلاة والسـلام: " **مَـن نَفَّـسَ عـن مُـؤْمِنٍ كُرْبَـةً مِـن كُـرَبِ الـدُّنْيَا، نَفَّـسَ اللَّهُ عنْـه كُرْبَـةً مِـن كُـرَبِ يَـومِ القِيَامَـةِ، وَمَـن يَسَّـرَ علَـى مُعْسِـرٍ، يَسَّـرَ اللَّهُ عليـه في الـدُّنْيَا وَالآخِـرَةِ، وَمَـن سَـتَرَ مُسْـلِمًا سَـتَرَهُ اللَّهُ في الـدُّنْيَا وَالآخِـرَةِ، وَاللَّهُ في عَـوْنِ العَبْـدِ مـا كـانَ العَبْـدُ في عَـوْنِ أَخِيـهِ، وَمَـن سَـلَكَ طَرِيقًـا يَلْـتَمِسُ فيـه عِلْمًـا سَـهَّلَ اللَّهُ لَـه بـه طَرِيقًـا إلى الجَنَّـةِ، وَمـا اجْتَمـع قَـوْمٌ في بَيْـتٍ مِـن بُيُـوتِ اللهِ، يَتْلُـونَ كِتَـابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُـونَهُ بيْـنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَـتْ علـيهِمِ السَّـكِينَةُ، وَغَشِـيَتْهُمُ الرَّحْمَـةُ، وَحَفَّـتْهُمُ المَلَائِكَـةُ، وَذَكَـرَهُمُ اللَّهُ فِـيمَن عِنْـدَهُ، وَمَـن بَطَّـأَ بـه عَمَلُـهُ، لَمْ يُسْـرِعْ بـه نَسَـبُهُ**"[٣٣٨]، قـال النـووي في شـرح هـذا الحـديث: [**وَهُـوَ حَـدِيثٌ عَظِـيمٌ جَـامِعٌ لِأَنْـوَاعٍ مِـنَ الْعُلُـومِ وَالْقَوَاعِـدِ وَالْآدَابِ، .. وَمَعْـنَى نَفَّـسَ الْكُرْبَـةَ أَزَالَهَـا، وَفِيـهِ فَضْـلُ قَضَـاءِ حَـوَائِجِ الْمُسْـلِمِينَ وَنَفْعِهِـمْ بِمَـا تَيَسَّـرَ مِـنْ عِلْـمٍ أَوْ مَـالٍ**

[٣٣٦]) الإفصاح عن معاني الصحاح ٦/ ٣٩٧.
[٣٣٧]) المفهم ٥/ ٥٦٥.
[٣٣٨]) صحيح مسلم ٢٦٩٩.

أَوْ مُعَاوَنَةٍ أَوْ إِشَارَةٍ بِمَصْلَحَةٍ أَوْ نَصِيحَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ][٣٣٩]، وقال ابن عثيمين: **[بيان كمال عدل الله عزّ وجل، لأنه جعل الجزاء من جنس العمل، وليتنا نتأدب بهذا الحديث، ونحرص على تفريج الكربات، وعلى التيسير على المعسر، وعلى ستر من يستحق الستر، وعلى معونة من يحتاج إلى معونة، لأن هذه الآداب ليس المراد بها مجرد أن ننظر فيها وأن نعرفها؛ بل المراد أن نتخلق بها، فرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ساقها من أجل أن نتخلق بها، لا يريد منا أن نعلمها فقط، بل يريد أن نتخلق بها، ولذلك كان سلفنا الصالح من الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين رحمهم الله، يتخلقون بالأخلاق التي يُعَلّمهم نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم]**[٣٤٠].

اللهُمَّ اسْتَعْمِلْنَا فِيْمَا يُرْضِيْكَ عَنَّا، وَانْفَعْ بِنَا، وَاجْعَلْنَا سَبَباً لِمَنِ اهْتَدَى.

***

[٣٣٩]) شرح النووي على مسلم ١٧/ ٢١.

[٣٤٠]) شرح الأربعين النووية للعثيمين ٣٦٢.

المجلس (الثَّاني والعشرون)

مَن لا يَرحَم لا يُرْحَم

عَنْ جَرِيْر بنِ عبْدِ اللهِ رضي اللهُ عنْه، قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: " **مَن لا يَرْحَمِ النَّاسَ، لا يَرْحَمْهُ اللَّهُ**"[٣٤١].

الفوائد:

١/ تَنْشَأُ الرَّحْمةُ مِن لِيْنِ القَلْبِ، وصِحَّةِ الإخاءِ، وصِدْقِ المشَاعرِ، ونُبْلِ الخَاطرِ، وصَفَاءِ الخُلُقِ، وغيرِ ذلك من المعَاني السَّامِيَةِ الكامنة في النُّفوسِ السَّوِيَّة، والقلوبِ اللَّيِّنَةِ الرَقِيْقَةِ، التي طَهُرَت مِن أدْرَان النُّفُوس الدَّنِيْئة، فاسْتَحَقَّتْ بذَلك رَحْمَةَ اللهِ تعَالى، قَالَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ: " **الرَّاحمونَ يرحمُهُمُ الرَّحمنُ ارحَمُوا مَن في الأرْضِ يَرحَمْكم مَن في السَّمَاءِ**"[٣٤٢]، قال ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث: [**فيه الترغيب في الشفقة على خلق الله، والرحمة لهم، والترهيب من قساوة القلب وجمود العين**][٣٤٣]، فالمرء برحمته لغيره يستجلب رحمة الله تعالى به في الدنيا والآخرة، والعكس بالعكس؛ فإن القاسي على عباد الله يعامله الله بمثل معاملته لخلقه، فإن الجزاء من جنس العمل، قال الصنعاني: [**قوله: "يرحمكم من في السماء" أقول: هو مجزوم جواب الأمر، هو من باب: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾**[٣٤٤]**، أي: من جزء الفعل بجنسه**][٣٤٥]، وقال القرطبي: [**فمن خلق الله تعالى في قلبه هذه الرحمة الحاملة له على الرفق، وكشف ضر المبتلى، فقد رحمه الله تعالى بذلك في الحال، وجعل ذلك علامة على رحمته إياه في المآل، ومن سلب الله ذلك المعنى منه،**

---

[٣٤١]) صحيح مسلم ٢٣١٩.

[٣٤٢]) صحيح الترمذي ١٩٢٤.

[٣٤٣]) فتح الباري ٣/ ١٥٨.

[٣٤٤]) سورة الصف، الآية: ٥.

[٣٤٥]) التحبير لإيضاح معاني التيسير ٤/ ٤٢٦.

وابتلاه بنقيض ذلك من القسوة والغلظ، ولم يلطف بضعيف، ولا أشفق على مبتلى، فقد أشقاه في الحال، وجعل ذلك علمًا على شقوته في المآل، نعوذ بالله من ذلك][٣٤٦].

٢/ ومن تكريم الله تعالى للراحمين لعباده أن يرحمهم من في السماء، وفي ذلك إشارة إلى عِظَم ما يفعلون من الخير، لذا استحقوا به رحمة مَن في السماء، وهو الله سبحانه وتعالى، أو مَن فيها من ملائكته الكرام، كما قال بذلك أهل العلم، قال الكرماني عند قوله صلى الله عليه وسلم " **يرحمكم من في السماء**": [**أي: مَنْ ملكُه وقدرته في السماء، وهو الله، أو المراد به الملائكة، وذلك حفظُهم عن الأعداء وسائر المؤذيات بأمره تعالى، واستغفارهم للراحمين في الأرض]**[٣٤٧]، وقال الشيرازي: [**قوله: "الرَّاحمون يَرْحَمهم الرحمن" يعني: مَن رَحِمَ عبادَ الله رَحِمَه الله، "ارحموا مَن في الأرضِ يَرْحَمْكم مَن في السماء"، ليس لله مكانٌ حتى يُنْسَبَ إليه، "من في السماء" له تأويلان: أحدهما: من مُلْكُه وقدرته في السماء؛ يعني: السماء أعظمُ وأرفعُ من الأرض، ومع أنه أعظمُ وأرفع من الأرض قدرةُ الله غالبةٌ على السماء، والثاني: أن يكونَ المرادُ بمن في السماء الملائكة؛ يعني: ارحموا مَن في الأرض من الناس يرحمْكم مَن في السماء من الملائكة، تحفظُكم الملائكةُ من الأعداء والمُؤْذِيات بأمر الله، ويستغفروا لكم، ويطلبوا لكم الرحمة من الله الكريم]**[٣٤٨]، وقال الصنعاني: [**ومن في السماء يعم الملائكة وحملة العرش؛ وإنهم يرحمون من رحم من أهل الأرض فيدعون له، ويدل له رواية: " ارحموا من في الأرض يرحمكم أهل السماء"، ويحتمل أن يراد الرب تعالى، أي: من في السماء أمره، من باب قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾[٣٤٩]]** [٣٥٠].

٣/ حِيْن تَغِيْبُ الرَّحمَة مِن القُلوب تَحِلُّ محَلّهَا القَسْوَة والشَّقَاوَة، فيَنْبُت عَنْ تلك القلوب الجَفَاء، وسُوء الطَّبْع، حَتَّى مَع أَقْرَبِ النَّاس، وأَحْوَجِهِم إلى اللِّين والْشَّفَقَة والرَّحْمَة، جَاءَ أعْرَابِيٌّ إلى النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَما نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه

---

[٣٤٦]) المفهم ٦، ١٠٩.

[٣٤٧]) شرح المصابيح لا بن الملك ٥/ ٣٠٠.

[٣٤٨]) المفاتيح في شرح المصابيح ٥/ ٢٢١.

[٣٤٩]) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.

[٣٥٠]) التحبير لإيضاح معاني التيسير ٤/ ٤٢٦.

وسلَّم: **أوَ أَمْلِكُ لكَ أنْ نَزَعَ اللَّهُ مِن قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ!**"[٣٥١]، لذلك حِيْن تَحِلُّ بِالقَلْبِ الْشَّقَاوَةُ فَإِنَّه لَا يَلِيْن لِمَوْعِظَةٍ، ولَا يَرِقُّ لِحَالٍ، قال المناوي في شرح قول النبي صلى الله عليه وسلم " **لا تُنْزَعُ الرحمةُ إلا مِن شَقِيٍّ**"[٣٥٢]: [**لأن الرحمة في الخلق رقَّة القلب ورقَّته علامة الإيمان ومن لا رقَّة له لا إيمان له ومن لا إيمان له شقي فمن لا يرزق الرقَّة شقي ذكره الطيبي، قال ابن العربي: حقيقة الرحمة إرادة المنفعة وإذا ذهبت إرادتها من قلب شقي بإرادة المكروه لغيره ذهب عنه الإيمان والإسلام، قال عليه الصلاة والسلام " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمن جاره بوائقه " وكما يلزم أن يسلم من لسانه ويده يلزم أن يسلم من قلبه وعقيدته المكروهة فيه، فإن اليد واللسان خادمان للقلب**][٣٥٣].

٤/ والرحمة من الإنسان مطلوبة ومحمودة؛ ومشكورة عند الله وعند خلقه، سواء كانت رحمة بالبشر أو بغيرهم من المخلوقات، والآثار الشاهدة على ذلك كثيرة، منها ما سبق ذكره قبل قليل، قال السفيري عند شرحه لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: " **الرَّاحمونَ يرحمُهُمُ الرَّحمنُ ارحَمُوا مَن في الأرْضِ يَرحَمْكم مَن في السَّمَاءِ**"[٣٥٤]: [**فندب صلى الله عليه وسلم إلى الرحمة والعطف على جميع الخلق من جميع الحيوانات، على اختلاف أنواعها في غير حديث، وأشرفها الآدمي، وإذا كان كافر فكن رحيماً لنفسك ولغيرك، ولا تستبد بخيرك، فارحم الجاهل بعلمك، والذليل بجاهك، والفقير بمالك، والكبير والصغير بشفقتك ورأفتك، والعصاة بدعوتك، والبهائم بعطفك، فأقرب الناس من رحمة الله أرحمهم بخلقه، فمن كثرت منه الشفقة على خلقه والرحمة على عباده رحمه الله برحمته، وأدخله دار كرامته، ووقاه عذاب قبره، وهول موقفه، وأظله بظله إذ كل ذلك من رحمته**][٣٥٥]، وقال الصنعاني: [**قوله: "من في الأرض" أمر برحمة كل من في الأرض؛ من حيوان فتدخل البهائم، والطير، فضلاً عن بني آدم، وليس المراد مجرد الرحمة؛ بل وإزالة ما رحم الحيوان لأجله، فإن رحم الجائع أطعمه إن قدر؛ أو**

---

[٣٥١]) صحيح البخاري ٥٩٩٨، مسلم ٢٣١٧.

[٣٥٢]) صحيح أبي داوود ٤٩٤٢.

[٣٥٣]) فيض القدير ٦/ ٤٢٢.

[٣٥٤]) صحيح الترمذي ١٩٢٤.

[٣٥٥]) شرح البخاري للسفيري ٢/ ٥٠.

يسعى في ذلك، أو العاري؛ كساه، أو المريض؛ رقاه، والحاصل: أن الرحمة بمجردها خير، ولكن ليست المرادة بمجردها، بل المراد منها مسببها، وهي كشف ما نزل بالمرحوم مما رحمه لأجله][٣٥٦].

٥/ أعْظَمُ رَحْمَةٍ وأَجَلّها؛ وأَغْلَى شَفَقَة وأَهَمَّها؛ أَخْذُ المرْءِ بِيَدِ أَخِيْه الإنْسَان مِن شَقَاء المعْصِيَة إلى سَعَادة الطَّاعة، ومِن ظَلَام الجَهْل إلى نُور العِلْم والإيمَان، فَإِنَّهُ لَيْس بَعْد سَعَادة الإيمَان والجَنَّة مِن سَعَادة، ولَيْس بَعْد عَذَاب الغَفْلة والنَّار مِن عَذَاب، قال الله تعالى: ﴿ **فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُور**﴾[٣٥٧]، وقال سبحانه: ﴿ **قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾[٣٥٨]، لذلك أثنى الله على الدعاة إليه، وبيَّن حقيقة دعوتهم، وأنها دعوة إليه، فجعل قولهم عظيما، أو أنه أحسن القول، كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[٣٥٩]، قال الطبري في تفسير هذه الآية: [**يقول تعالى ذكره: ومن أحسن أيها الناس قولا ممن قال ربنا الله ثم استقام على الإيمان به، والانتهاء إلى أمره ونهيه، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك**][٣٦٠]، وقال التستري في تفسيرها: **[أي ممَّن دلَّ على الله وعلى عبادته وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، واجتناب المناهي، وإدامة الاستقامة مع الله، والاستقامة به خوفاً من الخاتمة، وفي الطريقة الوسطى، والجادة المستقيمة التي من سلكها سلِم، ومن تعدَّاها ندم]**[٣٦١]، وروى عبد الرزق الصنعاني في تفسيره: [**تَلَا الْحَسَنُ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾**[٣٦٢]، **فَقَالَ: " هَذَا حَبِيبُ اللَّهِ، هَذَا وَلِيُّ اللَّهِ، هَذَا صَفْوَةُ اللَّهِ، هَذَا خِيرَةُ اللَّهِ، هَذَا**

---

[٣٥٦]) التحبير لإيضاح معاني التيسير ٤/ ٤٢٦.
[٣٥٧]) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.
[٣٥٨]) سورة الزمر، الآية: ١٥.
[٣٥٩]) سورة فصلت، الآية: ٣٣.
[٣٦٠]) تفسير الطبري ٢١/ ٤٦٨.
[٣٦١]) تفسير التستري ١٣٧.
[٣٦٢]) سورة فصلت، الآية: ٣٣..

أَحَبُّ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ، أَجَابَ اللَّهَ فِي دَعْوَتِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ اللَّهَ فِيهِ مِنْ دَعْوَتِهِ، وَعَمِلَ صَالِحًا فِي إِجَابَتِهِ ﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾، هَذَا خَلِيفَةُ اللَّهِ "][٣٦٣].

اللهُمَّ يا رَحِيْم ارْحَمْنَا في الدُّنْيَا والآخِرَة، وأَصْلِح فَسَاد قُلُوبِنَا، واهْدِنَا واجْعَلْنَا سَبَباً لِمَن اهْتَدَى.

***

[٣٦٣]) تفسير عبد الرزاق ٣/ ١٥٥.

المجلس (الثَّالث والعشرون)

فضل صلاح الباطن

عـن أبي هريـرة رضـيَ اللهُ عنْـه قـالَ: قـالَ رسـولُ اللهِ صـلَّى اللهُ عليـهِ وسـلَّم: " **رُبَّ أشْـعَثَ مَدْفُوعٍ بالأبْوابِ لو أقْسَمَ علَى اللهِ لأَبَرَّهُ**"[٣٦٤].

الفوائد:

١/ قيمـةُ المرءِ بصَـلاحِه وتَقْـواه، وقيْمَتُـه بمَـا يمْـلأُ قلبـه مِـن خَـوْف وخَشْـية للهِ تعـالى، وقيْمَتـه بصِـدْقه وإخْلاصِـه وسَـلامَة ضـمِيْره، وقيْمتُـه بِحُبِّـه وتفَانِيْـه لأجْـل ديْنِـه وأبنَـاء ديْنِـه، لَا الشَّـكل يُغنِيْـه، ولا المظْهـر يَرْفعُـه، ولا الحَسَـب يُنْقِـذُه، ولا النَّسـبُ يُكْرِمُـه، قـال الله عـز وجـل: ﴿ **إِنَّ أَكْـرَمَكُمْ عِنْـدَ اللَّهِ أَتْقَـاكُمْ**﴾[٣٦٥]، قـال الطـبري في تفسـير هـذه الآيـة: [**يقـول تعـالى ذكـره: إن أكـرمكم أيهـا النـاس عنـد ربكـم، أشـدّكم اتقـاء لـه؛ بأداء فرائضـه واجتنـاب معاصـيه، لا أعظمكـم بيتـا، ولا أكثـركم عشـيرة**][٣٦٦]، فـلا مزيـة لإنسـان علـى غـيره بأي أمـر ممـا هـو معيـار التمـايز عنـد النـاس؛ إلا مـا دلـت عليـه هـذه الآيـة، قـال الماتريـدي: [**أخـبر أن الأكـرم مـنهم عنـد اللَّه تعـالى هـو أتقـاهم، لا مـا افتخـروا بمـا هـو أسـباب الفخـار عنـدهم، واللَّه أعلـم**][٣٦٧]، فتقـوى الله سـبب نيـل إكـرام الله تعـالى للعبـد، وهـي الطريـق الموصـلة إلى ذلـك لا سـواها، قـال التسـتري: [**فـإنّ أكـرم الخلـق علـى الله عـزَّ وجـلَّ المتقـون ؛كمـا قـال الله: ﴿ إِنَّ أَكْـرَمَكُمْ عِنْـدَ اللَّهِ أَتْقَـاكُمْ**﴾[٣٦٨]، **فمـن أراد كرامـة الله عـزَّ وجـلَّ فليتَّقِـه، فإنـه ينـال بالتقـوى كرامتـه، والـدخول**

---

[٣٦٤]) صحيح مسلم ٢٦٢٢.

[٣٦٥]) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

[٣٦٦]) تفسير الطبري ٢٢/ ٣١٢.

[٣٦٧]) تفسير الماتريدي ٩/ ٣٣٣.

[٣٦٨]) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

إلى جنته، ويسكن في جواره، ويفوز فوزاً عظيماً][٣٦٩]، وإن مما ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن أهمية صلاح القلوب وآثارها من أعمال الجوارح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وأَمْوالِكُمْ، ولكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأَعْمالِكُمْ**"[٣٧٠]، قال ابن رجب عند شرحه لهذا الحديث: [**فَقَدْ يَكُونُ كَثِيرٌ مِمَّنْ لَهُ صُورَةٌ حَسَنَةٌ، أَوْ مَالٌ، أَوْ جَاهٌ، أَوْ رِيَاسَةٌ فِي الدُّنْيَا قَلْبُهُ خَرَابًا مِنَ التَّقْوَى، وَيَكُونُ مَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ قَلْبُهُ مَمْلُوءًا مِنَ التَّقْوَى، فَيَكُونُ أَكْرَمَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، بَلْ ذَلِكَ هُوَ الْأَكْثَرُ وُقُوعًا، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ: كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**"[٣٧١]، وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ " عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: **مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: " مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟ " فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ: هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، قَالَ: فَسَكَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟" قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ لَا يُسْمَعُ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**"[٣٧٢]] [٣٧٣]، وقال الغزالي عن الحديث السابق الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: " **إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وأَمْوالِكُمْ، ولكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأَعْمالِكُمْ**"[٣٧٤]: [**قد أبان هذا الحديث أن محل القلب موضع الرب، فيا عجبا ممن يهتم بوجهه الذي هو نظر الخلق فيغسله وينظفه من القذر والدنس، ويزينه بما أمكن لئلا يطلع فيه مخلوق على عيب، ولا**

---

[٣٦٩]) تفسير التستري ٣٥.

[٣٧٠]) صحيح مسلم ٢٥٦٤.

[٣٧١]) صحيح البخاري ٤٩١٨، صحيح مسلم ٢٨٥٣.

[٣٧٢]) صحيح البخاري ٦٤٤٧.

[٣٧٣]) جامع العلوم والحكم ٢/ ٢٧٦.

[٣٧٤]) صحيح مسلم ٢٥٦٤.

يهتم بقلبه الذي هو محل نظر الخالق فيطهره ويزينه؛ لئلا يطلع ربه على دنس أو غيره فيه][٣٧٥].

٢/ موازين الدُّنيا الموضوعة للتَّفاضل بين النَّاس دون اعْتبَارٍ للتَّقوى والصَّلاح والقيم السَّويَّة؛ يهْدمُها الدِّين، وتَهدمُها الأحكَام والقوانين الرَّبانيَّة، فتَرفَعُ أقواماً وتضَع آخرين؛ فقد جعلَها الله الأساسَ والمقْياسَ، وإنْ وضع النَّاس لهم من الموازين ما وضعوا، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: " **إنَّه لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَومَ القِيامَةِ، لا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَؤُوا ﴿ فَلا نُقِيمُ لهمْ يَومَ القِيامَةِ وزْنًا[٣٧٦]﴾** " [٣٧٧]، قال القاضي عياض: [**وقوله: " لا يزن عند الله جناح بعوضة ": أي لا يعدلها في القدر والمنزلة، أي لا قدر له**][٣٧٨]، قال ابن الجوزي: [**الْبَعُوضَة: صَغِيرَة البق، وَالْإِشَارَة بِهَذَا إِلَى أَن الْقدر إِنَّمَا يكون بِالْإِيمَان وَالتَّقوى، وَكم من عَظِيم الجثة لَا وَقع لَهُ، لِأَن الوقع إِنَّمَا يكون بالمعاني لَا بالصور، قَالَ ابْن الْأَعرَابِي فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ فَلا نُقِيمُ لهمْ يَومَ القِيامَةِ وزْنًا[٣٧٩]﴾ مَا لفُلَان عندنَا وزن: أَي قدر، لخِسَّته، والمعنى: لا يُعتدُّ بهم، ولا يكون لهم عند الله قدر ولا منزلة**][٣٨٠]، وقد ذكر الله هيئات المنَافِقِيْن وأنها لمْ تُغْن عنهُم وَيْلات وعَواقِب النِّفَاق؛ بل أظهرت حقيقتهم؛ وأبانت عورهم، وفي ذلك موعظة لمن يتعظ، وعبرة لمن يعتبر، فإن المرء بلا تقوى لا قيمة له، وإن اتصف بأجمل الصفات بين الناس، ونال أعلى الأوسمة والدرجات، قال الله عز وجل: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ،كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ**﴾[٣٨١]، قال الطبري في تفسير هذه الآية: [**يقول جلّ ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تعجبك أجسامهم لاستواء خلقها وحسن صورها ﴿ وَإِنْ يَقُولُوا**

---

[٣٧٥]) فيض القدير ٢/ ٢٧٧.

[٣٧٦]) سورة الكهف، الآية: ١٠٥.

[٣٧٧]) صحيح البخاري ٤٧٢٩، صحيح مسلم ٢٧٨٥.

[٣٧٨]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/ ٣١٥.

[٣٧٩]) سورة الكهف، الآية: ١٠٥.

[٣٨٠]) كشف المشكل ٣/ ٤٣٠.

[٣٨١]) سورة المنافقون، الآية: ٤.

تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وإن يتكلموا تسمع كلامهم، يشبه منطقهم منطق الناس، ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ يقول كأن هؤلاء المنافقين خُشُب مسنَّدة، لا خير عندهم، ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول][٣٨٢]، وقال النسفي: [**شبهوا في اسنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة على الحائط؛ لأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جمار أو غيرها من مظان الانتفاع؛ وما دام متروكاً غير منتفع به اسند على الحائط، فشبهوا به في عدم الانتفاع؛ أو لأنهم أشباح بلا أرواح؛ وأجسام بلا أحلام]**[٣٨٣]، وقال السمعاني: [**ثم قال في شأنهم ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ أَي: هم مناظر بِلَا مخابر، وصور بِلَا مَعَاني، وَإِنَّمَا مثَّلهم بالخشب؛ لِأَن الْخشب لَا قلب لَهُ وَلَا عقل، وَلَا يعي خَبرا وَلَا يفهمهُ، وَيُقَال فِي الْعَادة: فلَان خشب أَي: لَيْسَ لَهُ عقل وَلَا فهم]**[٣٨٤].

٣/ مِن الناس مَن هو مغمور لا يأبَه به غيره؛ فلا يُلقي له بالا، ولا يجعل له في أي أمر من الأمور شأنا؛ لبساطة حاله؛ أو قلة ذات يده؛ أو عدم نيله وساما مما جعله الناس معيارا للتفاضل بينهم؛ لكنه حمل نورا بين جنبيه؛ واهتدى للسير في الطريق الموصلة إلى الله تعالى؛ على بينة ونور من ربه، فلا ضير إن جهله الناس فلم يلقوا له بالا؛ ولا ضير إن قاسوا حاله بمقاساتهم التي لا تتعدى بيئتهم ومحيطهم وحياتهم؛ فالله تعالى الذي خلقه وهداه يَعْرِفُه، وهو الذي سيعلي من شأنه ويرفعه، وإن جهله سائر الخلق أو تجاهلوه؛ ما دام قد أسلم وجهه لله تعالى واعتصم به، قال الله عز وجل: ﴿ **وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[٣٨٥]، وكَفَى بذلك فضلاً ورفعة وشرفا، ولقد ورد في الحديث أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم مزح يوما مع رجلٍ كان يأتي إليه من البادية، فاحتضنه النبي صلى الله عليه وسلم من خلفه ولم يبصره، فقال: من يشتري مني هذا، فقال الرَّجل: إذن تجِدَني كاسِدًا، فقال النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم: " **لكنَّك عندَ اللهِ لَسْتَ بكاسِدٍ، أو قال عندَ اللهِ أنت غالٍ**"[٣٨٦]، وورد في الحديث عن أبي هريرة رضي

---

[٣٨٢]) تفسير الطبري ٢٣/ ٣٩٥.

[٣٨٣]) تفسير النسفي ٣/ ٤٨٥.

[٣٨٤]) تفسير السمعاني ٥/ ٤٤١.

[٣٨٥]) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.

[٣٨٦]) مجمع الزوائد ٩/٣٧١.

الله عنه أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **رُبَّ أشْعَثَ مَدْفُوعٍ بالأبْوابِ، لو أقْسَمَ علَى اللهِ لأَبَرَّهُ**"[٣٨٧]، قال القاضي عياض في شرح هذا الحديث: [**وقوله: " رب أشعث مدفوع بالأبواب": الأشعث: الملبد شعر الرأس، المغبر غير مدهن ولا مصلح الشعر، و " مدفوع بالأبواب": أي لا قدر له عند الناس فيحجبونه ويردونه عن أبوابهم، وقوله: " لو أقسم على الله لأبره": أي لفضله، ومنزلته عند الله أنه يجيب رغبته ودعاءه، ولا يخيب أمله وبره لرجائه وعزيمته في رغبته لربه والقسم هنا عبارة عن قوة العزيمة في الرغبة والدعاء، أو يكون عن وجهه فيما أقسم عليه من الأمور؛ أن الله قد أجرى قدره وتقدم في سابق علمه، أنه ممن لا يخالف مجارى القدر قسمه، ويبر خلقه، ويمضى عزيمته. وقيل: معنى القسم هنا: الدعاء، وأبره أجابه**][٣٨٨]، وقال الشيرازي: [**"رب أشعث"؛ أي: ربَّ رجلٍ متفرِّقِ شعر الرأس، "مدفوع بالأبواب"؛ أي: يُدفع من الأبواب أن يدخلها من غاية حقارته في نظر الناس؛ يعني: رب رجلٍ فقيرٍ حقيرٍ عند الناس "لو أقسم على الله لأبره"؛ يعني: لو قال: بعزتك يا رب افعل كذا وكذا، لفعل الله ذلك حتى يبر قسمه من غاية عزته عند الله**][٣٨٩].

٤/ العَاقِل هو الذي يُسَارِعُ إلى إصْلاحِ ما بَيْنَه وبين ربِّه سبْحَانه، فإن الفلاح كله في ذلك، لأنَّ أَمْر الدُّنيا والآخِرة بِيَدِه، وإليْه يُرجَعُ الأمْرُ كُلُه، فإن أصلح المرء ما بينه وبين ربه أصلح الله أمر دنياه وآخرته، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على الدعاء بصلاح أحواله كلها؛ الدنيوية والأخروية؛ لأن صلاحها كلها أمل المؤمن بربه، فبها جميعها سعادة الدنيا والآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال، كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقول :" **اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي دِينِي الذي هو عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ الَّتي فِيهَا معاشِي، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتِي الَّتي فِيهَا معادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لي في كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لي مِن كُلِّ شَرٍّ**"[٣٩٠]، قال المناوي: [**" اللَّهُمَّ اصلح لي ديني الَّذِي هُوَ عصمَة أَمْرِي): أَي الَّذِي هُوَ حَافظ لجَمِيع أموري، فَإِن من فسد دينه فَسدتْ أُمُوره وخاب وخسر،**

[٣٨٧]) صحيح مسلم ٢٦٢٢.
[٣٨٨]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/ ١٠٣.
[٣٨٩]) المفاتيح في شرح المصابيح ٥/ ٢٩٠.
[٣٩٠]) صحيح مسلم ٢٧٢٠.

قَالَ الطِّيبِيّ هُوَ من قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾[٣٩١] أَي بِعَهْد الله وَهُوَ الدّين، " وَأصْلح لي دنياي الَّتِي فِيهَا معاشي": أَي بِإِعْطَاء الكفاف فِيمَا يحْتَاج إِلَيْهِ، وَكَونه حَلَالا معينا على الطَّاعَة " وَأصْلح لي آخرتي الَّتِي فِيهَا معادي": أَي مَا أَعُود إِلَيْهِ يَوْم الْقِيَامَة، قَالَ الطِّيبِيّ: إصْلَاح الْمعَاد: اللطف والتوفيق على طَاعَة الله وعبادته؛ وَطلب الرَّاحَة بِالْمَوْتِ، فَجمع فِي هَذِه الثَّلَاثَة صَلَاح الدُّنْيَا وَالدّين والمعاد، وَهِي أصُول مَكَارِم الْأَخْلَاق، " وَاجعَل الْحَيَاة زِيَادَة لي فِي كل خير": أَي اجْعَل حَياتِي زِيَادَة فِي طَاعَتي " وَاجعَل الْمَوْت رَاحَة لي من كل شَرّ": أَي اجْعَل موتِي سَبَب خلاصي من مشقة الدُّنْيَا والتخلص من غمومها][٣٩٢].

اللهُمَّ حبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الرَّاشدين.

***

[٣٩١]) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

[٣٩٢]) التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٢١٩.

المجلس (الرَّابع والعشرون)

فضل ستر المسلم

عـنْ أبي هريـرةَ رَضِـيَ اللهُ عَنْـهُ قَـالَ: قَـالَ رَسُـوْلُ اللهِ صَـلَّى اللهُ عليْـهِ وسـلَّم: " **لا يَسْـتُرُ عَبْـدٌ عَبْـدًا في الـدُّنْيا، إلَّا سَـتَرَهُ اللَّهُ يَـومَ القِيامَـةِ**"[٣٩٣]، وعَنـه رَضِـيَ اللهُ عَنْـه، عـن النَّـبيِّ صـلَّى اللهُ عليـهِ وسلَّم قالَ:" **ومَنْ سَتَرَ مُسْلِمَاً سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ**"[٣٩٤].

الفوائد:

١/ الجَزاء من جِنْسِ العَمَل، فمَن سَتَر مُسْلِماً قَاصِدَاً بِذَلَك وَجْهَ اللهِ وطَاعَةَ أمْرِهِ سُبْحَانَه؛ جَازَاهُ اللهُ بِالسِّترِ في الدُّنْيَا والآخِرَة، وذَلِك مِنْ واسِعِ فَضْلِ اللهِ ورَحْمَتِه وكَرَمِهِ علَى عِبَادِهِ، يشهد لذلك الحَدِيْثُ السابق عَن أَبي هُرَيْرة رَضِيَ اللهُ عَنْه، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قالَ:" **ومَنْ سَتَرَ مُسْلِمَاً سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ**"[٣٩٥]، وغيره من الأحاديث، قال الشيرازي: [**قوله: "من سَتَرَ مسلمًا" هذا يحتمل أمرين: أحدهما: أن يرى رجلًا على فعلٍ قبيح فيسترَ عليه ولا يفضحه، والثاني: أن يكسُوَ مسلمًا ثوبًا**][٣٩٦]، وقال القاضي عياض عند شرحه حديث: " **لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا في الدُّنْيا، إلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ**"[٣٩٧]: [**يكون ستره له ستر عيوبه ومعاصيه عن إذاعتها على أهل المحشر، وقد يكون ترك محاسبته عليها وذكرها له، والأول أظهر؛ لما جاء في الحديث الآخر: " سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم"[٣٩٨]**][٣٩٩]، وقال الصنعاني: [**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا اطَّلَعَ مِنْهُ عَلَى مَا لَا يَنْبَغِي إظْهَارُهُ مِنْ الزَّلَّاتِ وَالْعَثَرَاتِ فَإِنَّهُ مَأْجُورٌ بِمَا ذَكَرَهُ مِنْ سَتْرِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَيَسْتُرُهُ فِي الدُّنْيَا بِأَنْ لَا يَأْتِيَ**

---

[٣٩٣]) صحيح مسلم ٢٥٩٠.
[٣٩٤]) صحيح مسلم ٢٦٩٩.
[٣٩٥]) صحيح مسلم ٢٦٩٩.
[٣٩٦]) المفاتيح في شرح المصابيح ١/ ٣٠٥.
[٣٩٧]) صحيح مسلم ٢٥٩٠.
[٣٩٨]) صحيح البخاري ٢٤٤١.
[٣٩٩]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/ ٦١.

زَلَّةً يَكْرَهُ اطِّلَاعَ غَيْرِهِ عَلَيْهَا، وَإِنْ أَتَاهَا لَمْ يُطْلِعْ اللَّهُ عَلَيْهَا أَحَدًا، وَسَتَرَهُ فِي الْآخِرَةِ بِالْمَغْفِرَةِ لِذُنُوبِهِ وَعَدَمِ إظْهَارِ قَبَائِحِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدْ حَثَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّتْرِ لِلْمُسْلِمِ فَقَالَ فِي حَقِّ مَاعِزٍ: " هَلَّا سَتَرْت عَلَيْهِ بِرِدَائِك يَا هُزَالُ"][٤٠٠].

٢/ ومِن أَهَمِّ تعَاليْم الإسْلَام التي أُمِر بها المسْلِمُون لَأجْلِ دَوَامِ نِعْمَة السِّتْر أنْ تُسَدّ مَنَافِذَ الشَّر، وأنْ يُمْنَعَ المسلم من الوُقُوْع في أَسْبَابِ كشْفِ الأَسْتَار التي وَضَعَهَا اللهُ علَى عِبَاده لُطْفَاً بِهِم وحِفْظاً، ومَن هَتَك سِتْراً أو نَشَر الفُحْشَ بين النَّاس أو رَغَّبَ في ذَلِكَ؛ جَازَاهُ اللهُ بما يَسْتَحِقُّ من العُقُوْبَة العَاجِلَة والآجِلَة، بِصِدْقِ حُكْمِهِ وَعَظِيْمِ عَدْلِهِ سُبْحَانَهُ، إلا أن يتفضل الله فيتوب عليه، حين يعلم صحة التوبة منه، وصدقه في الإقبال عليه، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[٤٠١]، وقد وَرَد في الحَدِيْث الشَّرِيْف عَن أبي بَرْزة الأسلَمي عَنْ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ أنَّه قَالَ: " **يا معْشَرَ مَن آمنَ بلسَانِه ولم يدخُل الإيمانُ قلبَه، لا تغْتَابُوا المسلِمين، ولا تتَّبعوا عوراتِهم، فإنّه مَن اتَّبعَ عوراتِهم يتَّبعُ اللهُ عورتَه، ومَن يتَّبعِ اللهُ عورتَه يفضَحُه في بيتِه**"[٤٠٢]، قال ابن رجب الحنبلي: [**وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عُيُوبٌ، فَذَكَرُوا عُيُوبَ النَّاسِ، فَذَكَرَ النَّاسُ لَهُمْ عُيُوبًا، وَأَدْرَكْتُ أَقْوَامًا كَانَتْ لَهُمْ عُيُوبٌ، فَكَفُّوا عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، فَنَسِيتُ عُيُوبَهُمْ أَوْ كَمَا قَالَ**][٤٠٣].

٣/ ومِن لُطْف اللهِ بعبَاده أنْ يَضَعَ حِجَابَ سِتْرِه علَى مَن عَصَاه؛ وذلكَ مِن عظِيم فَضْل اللهِ على خلْقِه، إلَّا أنَّ بَعْض مَن ابْتُلي بمعْصِية يُقَابِل ذلك الكَرَم الإلهِي فيُجَاهر بمعصِيَته؛ بَعْدَ أَنْ بَاتَ مُعَافَى مَسْتُورا بِسِتْر اللهِ عليه؛ وذَلِكَ مِن أعْظَم ظُلم المرء لِنَفْسِه، فَقَد وَرَد في الحديث عنْ أبي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عنْه قالَ: سمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ علَيْه وسَلَّم يقُوْل:" **كُلُّ أُمَّتي مُعافًى إلَّا المُجاهِرِينَ، وإنَّ مِنَ المُجاهَرَةِ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ**

---

[٤٠٠]) سبل السلام ٢/ ٦٣٧.

[٤٠١]) سورة النور، الآية: ١٩.

[٤٠٢]) صحيح أبي داوود ٤٨٨٠.

[٤٠٣]) جامع العلوم والحكم ٢/ ٢٨٤.

يُصْبِحَ وقدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عليه، فَيَقُولَ: يا فُلانُ، عَمِلْتُ البارِحَةَ كَذا وكَذا، وقدْ باتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عنْه"[٤٠٤]، قال ابن بطال عند شرحه لحديث الستر: [**وهذا يوجب على المرء أن يستر على نفسه إذا واقع ذنبا، ولا يخبر به أحدا، لعل الله تعالى أن يستره عليه، وقد جاء في الحديث " من ستر مسلما ستره الله"**[٤٠٥]، **فستر المرء على نفسه أولى به من ستره على غيره**][٤٠٦]، وقال بن عبد البر: [**فإذا كان المرءُ يُؤجَرُ في السِّترِ على غيرِه، فسِتْرُه على نفسِه كذلك أو أفضَلُ، والذي يلزَمُه في ذلك التوبةُ والإنابةُ والنَّدمُ على ما صنَع، فإنَّ ذلك محوٌ للذَّنب إن شاء اللهُ**][٤٠٧]، وقال ابن الملقن: [**ويستحب لمن اطلع من أخيه على عورة أو زلة توجب حدًّا أو تعزيرًا؛ أو يلحقه في ذلك عيب أو عار؛ أن يستر عليه رجاء الثواب، ويجب لمن بُلِيَ بذلك أن يستتر بستر الله**][٤٠٨]، ومما يدعو ويحثّ على الستر للنفس وللغير ما ورد في الحَدِيْث عَن يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ رضِيَ اللهُ عنْهُ أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيْه وسَلَّم قالَ: " **إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ حَلِيْمٌ حَيِيٌ سِتِّيْر، يُحِبُّ الحَيَاء والسِّتْر، فإذَا اغْتَسَل أَحَدُكم فَلْيَسْتَتِر"**[٤٠٩]، فالله تعالى يحب الستر وأهله؛ وهو حيي ستِّير؛ فمن استتر في نفسه وستر غيره فقد تخلَّق ببعض صفات الله تعالى، وهو مدعاة إلى حب الله تعالى له، لأن تلك صفات محبوبة لله تعالى، قال التوربشتي في شرح هذا الحديث: [**المعنى: إن الله تبارك وتعالى تارك للمقابح، ساتر للعيوب والفضائح، يحب الحياء والتستر من العبد؛ لأنهما خصلتان تفضيان به إلى التخلق بأخلاق الله**][٤١٠]، وقال الشيرازي: [**يعني: إن الله كريمٌ تاركٌ لفضْحِ العباد، ومتجاوزٌ عن سيئاتهم، قوله: "سِتِّير"، أي: ساترٌ على عيوب الناس، لا يهْتِكُ أستارَهم، قوله: "يحبُّ الحياء والتَّستُّر"، يعني: يحبُّ هاتين الصورتين من عباده، كما قال رسول الله عليه السلام: "تخلَّقُوا بأخلاق الله"، يعني: ليكنْ فيكم صفاتُ الله مما يمكن أن**

---

[٤٠٤]) صحيح البخاري ٦٠٦٩، مسلم ٢٩٩٠.

[٤٠٥]) صحيح مسلم ٢٦٩٩.

[٤٠٦]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٨/ ٤٤٤.

[٤٠٧]) التمهيد ٣/ ٧٣٣.

[٤٠٨]) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ١٥/ ٥٧٥.

[٤٠٩]) صحيح النسائي ٤٠٤.

[٤١٠]) الميسر في شرح مصابيح السنة ١/ ١٥٥.

يكونَ في المخلوق، يعني: كونوا رحماءَ على عباد الله، كما كان الله رحيمًا على عباده، وكذلك باقي الصفات من الكرم واللُّطْف وغير ذلك][٤١١].

٤/ الستر مطلوب من كل مسلم لغيره من المسلمين كما سبق الحديث عن هذا الأمر، ويُستثنى مِن ذلك مَن تعدّى شرُّه إلى إيذاء المسلمين، أو تسبَّبَ ويتسبَّبُ في نشر المنكرات بينهم؛ أو تمادى في فعل ذلك، فيرفع أمره إلى مَن بيده الأمر والنهي، لزجره وإيقاف شره، قال القاضي عياض في حديثه عن الستر الممدوح: [**وهذا الستر في غير المستهترين، وأما المنكشفون المستهترون الذين يقدم إليهم في الستر وسُتِروا غير مرة فلم يرعووا وتمادوا، فكشْفُ أمرهم وقَمْع شرّهم مما يجب، لأن كثرة الستر عليهم من المهادنة على معاصي الله تعالى**][٤١٢]، وقال ابن دقيق العيد في شرح قول النبي صلى الله عليه وسلم " **من ستر مسلماً**": [**الستر عليه أن يستر زلّاته، والمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفاً بالفساد؛ وهذا في ستر معصية وقعت وانقضت، أما إذا علم معصيته وهو متلبس بها فيجب المبادرة بالإنكار عليه ومنعه منها؛ فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إن لم يترتب على ذلك مفسدة، فالمعروف بذلك لا يستر عليه؛ لأن الستر على هذا يطمعه في الفساد والإيذاء، وانتهاك المحرمات، وجسارة غيره على مثل ذلك؛ بل يستحب أن يرفعه إلى الإمام إن لم يخف من ذلك مفسدة؛ وكذلك القول في جرح الرواة والشهود والأمناء على الصدقات والأوقاف والأيتام ونحوهم؛ فيجب تجريحهم عند الحاجة؛ ولا يحل الستر عليهم إذا رأى منهم ما يقدح في أهليتهم، وليس هذا من الغيبة المحرمة، بل من النصيحة الواجبة**][٤١٣]، وقال ابن رجب الحنبلي: [**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَنْ كَانَ مَسْتُورًا لَا يَعْرِفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي، فَإِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ هَفْوَةٌ، أَوْ زَلَّةٌ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ كَشْفُهَا، وَلَا هَتْكُهَا، وَلَا التَّحَدُّثُ بِهَا، لِأَنَّ ذَلِكَ غِيبَةٌ مُحَرَّمَةٌ، وَالثَّانِي: مَنْ كَانَ مُشْتَهِرًا بِالْمَعَاصِي، مُعْلِنًا بِهَا لَا يُبَالِي بِمَا ارْتَكَبَ مِنْهَا، وَلَا بِمَا قِيلَ لَهُ فَهَذَا هُوَ الْفَاجِرُ الْمُعْلِنُ،**

[٤١١]) المفاتيح في شرح المصابيح ١/ ١٤٦.

[٤١٢]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/ ٤٩.

[٤١٣]) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ١١٩.

وَلَيْسَ لَهُ غِيبَةٌ، كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَغَيْرُهُ، وَمِثْلُ هَذَا لَا بَأْسَ بِالْبَحْثِ عَنْ أَمْرِهِ لِتُقَامَ عَلَيْهِ الْحُدُودُ][٤١٤].

اللهُمَّ إِنَّكَ حليم حييّ سِتِّيْرٌ تُحِبُّ الحياء الْسِّتْرَ؛ فَاسْتُرْنَا وَالمسْلِمِيْنَ بِسِتْرِكَ الجَمِيْلِ فِي الْدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ يا الله يَا كَرِيْمِ يَا رَحِيْمِ.

***

[٤١٤]) جامع العلوم والحكم ٢/ ٢٨٤.

المجلس (الخامس والعشرون)

التشديد في وجوب مراعاة المرء حقَّ من يعولهم

عنْ عبدِ اللهِ بنِ عمْرو بنِ العَاص رضِيَ اللهُ عنْهُما قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: " **كَفَى بالمَرْءِ إثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ**"[٤١٥].

الفوائد:

١/ إنفاق المرء على من يجب الإنفاق عليه أمر مفروض في الإسلام بما هو ممكن ومباح فعْلُه؛ وتركُه أو التقصير فيه بسبب بخلٍ أو إهمالٍ في ذلك؛ يوجب إثما يحلُّ بسببه غضب الله على من أهمل وضيَّع، قال الشيرازي عند ذكر الحديث السابق: [**أي: كفى الإثم إثمًا حبسُك الطعام، يعني: لو لم يكن لك إثمٌ إلا إثمَ منع القُوت عن المماليك والعِيال، أو تأخير قُوتهم؛ لَكان يَكفيك ذلك الإثمُ؛ أي: لَكان ذلك الإثمُ عظيمًا**][٤١٦]، فالمراد بالأمر المنهي عنه إذاً هو ترك ما يجب فعله تجاه من يستحق؛ فليس المطلوب من المكلف بالأمر أن يفعل نفلا ولا مباحا؛ يدل على ذلك وقوع الإثم على التارك لفعله؛ فهو دلالة على ترك فعله لأمر واجب؛ قال القاضي عياض: [**يؤكد أنَّه في الواجب، لأن الإثم إنما يتعلق بتركه**][٤١٧]، وقال الكرماني: [**والمراد: من يلزمه نفقته، وهذا يدلُّ على أنه لا يتصدق بما لا يفضل عن قوت الأهل يلتمس به الثواب لأنه ينقلب إثمًا**][٤١٨]، فالإثم المترتِّب إذاً على من قصَّر في حق رعيته ومن يعول؛ بما يجب القيام به تجاههم، وهو مؤتمن عليهم في ذلك، سواء الرجل مع أهل بيته، أو مَن تولى أمرا من أمور المسلمين مع رعيته عموما، قال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: " **كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، الإمامُ راعٍ ومَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ**

---

[٤١٥]) صحيح مسلم ٩٩٦.

[٤١٦]) المفاتيح في شرح المصابيح ٤/ ١٣٨.

[٤١٧]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣/ ٥١٢.

[٤١٨]) شرح المصابيح لابن الملك ٤/ ٦٤.

راعٍ في أَهْلِهِ وهو مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ راعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِها ومَسْئُولَةٌ عن رَعِيَّتِها، والخادِمُ راعٍ في مالِ سَيِّدِهِ ومَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ قالَ: – وحَسِبْتُ أنْ قدْ قالَ – والرَّجُلُ راعٍ في مالِ أبِيهِ ومَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، وكُلُّكُمْ راعٍ ومَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ"[٤١٩].

٢/ لأهمية وجوب رعاية الأهل والأولاد في الإسلام مادياً ومعنوياً جُعِلت النفقة عليهم أعظمَ الانفاق، فقد قال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: " **دينارٌ أنفقْتَهُ في سبيلِ اللهِ ، ودينارٌ أنفقتَهُ في رقَبَةٍ، و دينارٌ تصدقْتَ بِهِ على مسكينٍ ، ودينارٌ أنفقتَهُ على أهلِكَ ، أعظمُهما أجرًا الذي أنفقْتَهُ على أهلِكَ**"[٤٢٠]، قال بن الجوزي بعد ذكر هذا الحديث: [**وجه هذا أن النفقة على الأهل واجبة، وليس الواجب كالنفل**][٤٢١]، وبهذا فإن على المسلم استشعار قدرَ ذلك الخير الواجب عليه فعله؛ وأن يقوم به خيرَ قيام؛ من خلال سعيه المشروع لجلب الرزق؛ ثم الإنفاق بما هو مقدور ومباح وتدعو الحاجة إليه، قال ابن هبيرة: [**وإنما فضل الإنفاق على الأهل؛ لأن ذلك واجب بخلاف غيره من النوافل، ونشير إليه هنا بزيادة: وإنما فضلت النفقة على الأهل بعدها على الواقع في قلوب الناس؛ فإن المنفق درهما في رقبة أو على مسكين يرى بعين المتطوع المتنفل، ويرى أنه أنفق ما أنفق بفضله، والذي ينفق على أهله إنما أنفق ما كان واجبا عليه وبعيدا عن الحمد عليه، والأعمال إنما تتقرب إلى الله بقدر ما تبعد من الدنيا، وتبعد من الله بقدر ما تقرب من الدنيا**][٤٢٢].

٣/ من الحقوق التي يغفل عنها البعض أو يتساهل فيها؛ ما يجب على المرء تجاه أهله وأولاده من القيام بواجب التربية والإرشاد والنصيحة والقدوة، وذلك أفضل ما يقدِّمه المرء لولده، لأنَّ بهذه الأمور صلاح أمر الدنيا والآخرة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ**"[٤٢٣]، قال القاهري في شرح هذا الحديث: [**فيه أن على الأب تأديب ولده؛ وتعليمه**

---

[٤١٩]) صحيح البخاري ٢٢٥٤، مسلم ١٨٢٩.

[٤٢٠]) صحيح مسلم ٩٩٥.

[٤٢١]) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٣/ ٥٥٥.

[٤٢٢]) الإفصاح عن معاني الصحاح ٨/ ٥٦.

[٤٢٣]) سنن الترمذي ١٩٥٢.

ما يحتاج إليه من وظائف الدين؛ وهذا التعليم واجب على الأب وعلى سائر الأولياء قبل بلوغ الصبي والصبية؛ نص عليه الشافعي رحمه الله تعالى وأصحابه وعلى أدب الأمهات أيضا هذا التعليم، إذا لم يكن له مال فعلى من تلزمه نفقة لأنه يحتاج إليه والله أعلم؛ والنحل بالضم العطية والهبة ابتداء من غير عرض واستحقاق][٤٢٤]، وقال السعدي في بهجة قلوب الأبرار: [**والنحل هي العطايا والإحسان، فالآداب الحسنة خير للأولاد حالا ومآلا من إعطائهم الذهب والفضة، وأنواع المتاع الدنيوي، لأن بالآداب الحسنة والأخلاق الجميلة يرتفعون وبها يسعدون، وبها يؤدون ما عليهم من حقوق الله وحقوق العباد، وبها يجتنبون أنواع المضار، وبها يتم برهم لوالديهم]**، ومما ورد في التوجيه والتربية على المبادئ الإيمانية السليمة والقويمة؛ التي تنفع العبد في دنياه وعند لقاء ربه سبحانه؛ ما جاء في وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما بكلمات جامعات وهي وصية لكل أمته؛ فقال: " **يا غلامُ، إني أعلِّمُك كلماتٍ: احفَظِ اللهَ يحفَظْك، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، وإنِ اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيءٍ لم يضُروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفَ**"[٤٢٥]، قال ابن الملقن: [**وهو حديثٌ عَظِيمُ المَوْقع، وهو أصلٌ في رِعايَةِ حقوقِ الله، والتفويض لأمرِهِ]**[٤٢٦]، **وقال ابن حجر الهيتمي عند شرحه لهذا الحديث: [" إني أعلمك كلمات" ينفعك اللَّه بهنَّ؛ كما في رواية أخرى؛ أي: تعلَّمْهن وعلِّمْهن، فيه ذكر العالم للمتعلم أنه يريد أن يعلمه وينبهه على ذلك قبل فعله؛ ليكون أوقع في نفسه، فيشتد تشوقه إليه، وتُقبل نفسه عليه، فهو مقدمةٌ استرعى بها سمعه؛ ليفهم ما يسمع، ويقع منه بموقع، وجاء بها بصيغة القلة؛ ليؤذنه بأنها قليلة اللفظ فيسهل حفظها، وآذنه بعظيم خطرها، ورفعة محلها بتنوينها تنوين التعظيم، وتأهيلُهُ لهذه الوصايا الخطيرة القدر، الجامعة من الأحكام والحِكَم والمعارف**

[٤٢٤]) فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب ٩/ ٨.

[٤٢٥]) صحيح الترمذي ٢٥١٦.

[٤٢٦]) المعين على تفهم الأربعين ٢٤٨.

ما يفوق الحصر؛ دليلٌ أيُّ دليلٍ على أنه صلى اللَّه عليه وسلم عَلِمَ ما سيؤول إليه أمرُ ابن عباسٍ من العلم والمعرفة، وكمال الأخلاق والأحوال الباطنة والظاهرة][٤٢٧].

رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا.

***

[٤٢٧]) الفتح المبين بشرح الأربعين ٣٦٩.

المجلس (السَّادس والعشرون)

مكانة الجار في الإسلام

عَـن عبْـد اللهِ بـن عُمَـر وعائشَـة رضِـي اللهُ عنْهُمـا قَـالا: قـالَ رسُـول اللهِ صـلَّى اللهُ عليْـه وسلَّم:

"مَا زَال جِبْرِيلُ يُوصيْنِي بِالجَارِ، حتَّى ظَنَنتُ أنَّه سَيُورِّثُه"[٤٢٨].

فوائد:

١/ تكـرار وصـيَّة جبريْـل عليـه السَّـلام للنَّـبي صـلَّى للهُ عليْـهِ وسـلَّمَ بحـقِّ الجَـار حـتَّى ظـنَّ أنَّـه سَـيُوَرِّثه؛ دليـلٌ ظـاهر علـى أهميَّـة حقِّـه في الإسْـلام، بالإحسَـان إليْـه وعَـدَم إيذَائِـه، أيًا كـان ديْنُـه، أو قَـدْرُه، أو صِـفَتَه، أو مَكَانَتَـه، فقـد جـاءت النُّصـوص آمِـرَةً بالإحسَـان إليـه والنَّهـي عـن إيذَائـه؛ عُمُوْمـاً دُوْن تخصـيْص، وممَّـا ورَد في النَّهـي عـن إيذائـه؛ قـولُ النَّـبي صـلَّى اللهُ عليـهِ وسـلَّم: " **مـن كـان يـؤمن بالله واليـوم الآخـر فـلا يـؤذِ جـاره**"[٤٢٩]، وقولـه عليـه الصَّـلاة والسَّـلام: " **واللَّهِ لا يُـؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُـؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُـؤْمِنُ. قيـلَ: ومَـن يا رَسـولَ اللَّهِ؟ قـالَ: الـذي لا يَأْمَـنُ جـارُهُ بَوايِقَـهُ**"[٤٣٠]، وفي روايـة: " **قـالوا يا رسـولَ اللهِ ومـا بوائقُـهُ قـال شـرُّهُ**"[٤٣١]، قـال ابـن بطـال: [**ومعنـاه أنـه لا يـؤمن الإيمـان الكامـل، ولا يبلـغ أعلـى درجاتـه مـن كـان بهـذه الصـفة**][٤٣٢]، وقـال القاضي عياض: [**وهذا وعيد شديد وفيه من تعظيم حق الجار ما فيه**][٤٣٣].

---

[٤٢٨]) صحيح البخاري ٦٠١٥، صحيح مسلم ٢٦٢٤.
[٤٢٩]) صحيح البخاري ٦١٣٩، صحيح مسلم ٤٧.
[٤٣٠]) صحيح البخاري ٦٠١٦.
[٤٣١]) صحيح الترغيب ٢٥٥٠.
[٤٣٢]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ٢٢٢.
[٤٣٣]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ١/ ٢٨٣.

٢/ ومِـن الأمْـر بالإحسَـان إلى الجـار، قولُـه عليْـه الصَّـلاة والسَّـلام: " **مَـن كـانَ يُـؤْمِنُ باللَّهِ والْيَـومِ الآخِـرِ فَلْيُحْسِـنْ إلى جـارِهِ، ومَـن كـانَ يُـؤْمِنُ باللَّهِ والْيَـومِ الآخِـرِ فَلْيُكْـرِمْ ضَـيْفَهُ، ومَـن كـانَ يُـؤْمِنُ باللَّهِ والْيَـومِ الآخِـرِ فَلْيَقُـلْ خَـيْرًا، أوْ لِيَسْـكُتْ**"[٤٣٤]، قـال القاضـي عيـاض: [**معـنى ذلـك: أن مـن التـزم شـرائع الإسـلام لزمـه إكـرام جـاره وبِـرّه، وأمَـر أهـل الإيمـان بـذلك**][٤٣٥]، وقـال الصـنعاني: [**إنمـا وجـه الأمـر إلى مـن آمـن بالأمـرين لأنـه الـذي يمتثـل الأوامـر الشـرعية ويقبلهـا**][٤٣٦]، وقـال الحريملـي النجـدي عنـد شـرحه لهـذا الحـديث: [**هـذا الحـديث: مـن قواعـد الإسـلام، لأن جميـع آداب الخـير تتفـرع منـه؛ وآكـدها حـق الجـوار**][٤٣٧]، وممَّـا يؤكِّـد وجـوْب رعَايـة حـقّ الجَـار وعَـدم التَّهـاون فيْـه؛ أنَّ الله قَـرَن أمْـره بالإحسَـان إلى الجـار بعبَادتـه وعـدَم الإشْـراك بـه، فقـال الله تعـالى: ﴿ **وَاعْبُـدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْـرِكُوا بِـهِ شَـيْئًا وَبِالْوَالِـدَيْنِ إِحْسَـانًا وَبِـذِي الْقُـرْبَى وَالْيَتَـامَى وَالْمَسَـاكِينِ وَالْجَـارِ ذِي الْقُـرْبَى وَالْجَـارِ الْجُنُـبِ وَالصَّـاحِبِ بِالْجَنْـبِ وَابْـنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾[٤٣٨].

٣/ يكـون الإحسُـان إلى الجـار بمـا يصـرف عنـه مـن الشـر، ومـا ينـال مـن الخـير ؛ أي بعَـدَم إيـذَاءه أيًّاً كَـان ذلَـك الأذَى، ثمَّ بنَفْعِـه بمـا هُـو لَـه خَـيْر في أَمْـر دِيْنِـه ودُنْيَـاه، وبمختَلَـفِ أنْـواعِ الإحسَـان المقْـدُور عليْـه، قـال ابـن عثيمـين: [**فتجـب مراعـاة حقـوق الجـيران؛ فيجـب الإحسـان إلـيهم بقـدر الإمكـان، ويحـرم الاعتـداء علـيهم بأي عـدوان**][٤٣٩]،وبـذلك تتحقـق الخيريـة الـتي ذكرهـا النـبي صـلى الله عليـه وسـلم بقولـه: " **خـيرُ الأصـحَابِ عنـدَ اللهِ خـيرُهم لصَـاحبِه، وخـيرُ الجـيرانِ عنـدَ اللهِ خـيرُهم لجـارِهِ**"[٤٤٠]، قـال المنـاوي في شـرحه لهـذا الحـديث: [**فكـل مـن كَـانَ أكثـر خـيرا لصَـاحبه وجـاره فَهُـوَ أفضـل عِنْـد الله، وَالْعَكْـس بِالْعَكْـسِ**][٤٤١]، وقـال: [**فكـل مـن كـان**

[٤٣٤]) صحيح مسلم ٦٨.
[٤٣٥]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ١/ ٢٨٤.
[٤٣٦]) التنوير شرح الجامع الصغير ١٠/ ٣٧٣.
[٤٣٧]) تطريز رياض الصالحين ٢١٩.
[٤٣٨]) سورة النساء، الآية: ٣٦.
[٤٣٩]) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٣/ ١٨٠.
[٤٤٠]) صحيح الترمذي ١٩٤٤.
[٤٤١]) التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٥٢٥.

أكثر خيرا لصاحبه أو جاره فهو الأفضل عند الله تعالى، وفي إفهامه أن شرهم عند الله شرهم لصاحبه أو جاره][٤٤٢]، وقال الصنعاني: [**بمعنى أنه لا يفضل من الرجلين عنده إلا من كان لصاحبه ولجاره خيراً من غيره، وإن كان الآخر قد يفضل لأمر آخر، وفيه حث على الوفاء نحو الصاحب والجار، وفيه أن شر الأصحاب عنده تعالى شرهم لصاحبه ومثله في الجار]**[٤٤٣]، وإنَّ أعْظَمُ الإحسَان إلى الجار ما يكُون سبَباً في صَلاح حَاله ومَآله، ببَذْل كلِمَةِ النُّصْح والإرشَاد والوصِيَّة، وأنْ يكونَ لَهُ في الدِّينِ والخُلُقِ أُسْوَةً وقُدْوَةً، فذلِكَ سَببٌ لنَيْلِ صِفَة الخَيْرِيَّة في الدُّنْيا والآخِرة، وهو أرجى وأغلى ما يناله العبد من ربه سبحانه.

٤/ تكُون مكَانة الجَار وحقِّه الذي يجبُ على جَاره؛ بقَدْر صِلَتِهِ به، دِيْنَاً، ورحِمَاً، وقَرَابةً؛ فالجَار المسْلم يُقدَّم على غَيْره، والقريْب رحِمَاً يُقدَّم على البعيْد، والقريْب مكاناً يُقدَّم على مَن هُو أبْعَد منْه، وإنْ كَان لكلِّ واحدٍ منْهم حقاً من الحقُوق؛ إلَّا أنَّها تتفَاوت، فَجَارٌ لَه حقّ الجُوَار والإسْلام والقَرابة وهو المسْلم مِن ذَوِي القُربى، وجَار له حقّ الجُوار وحقّ الإسْلام وهو المسْلم من غيْر ذوِي القُربى، وجارٌ له حقّ الجُوار فقط وهو الجار غير المسْلم، كما أن القرِيْبُ يُقَدَّمُ علَى البَعِيْد على العموم، قال الطوفي: [**والجيران ثلاثة: كافر فله حق واحد، ومسلم أجنبي فله حقان بالجوار والإسلام، ومسلم قريب فله ثلاثة حقوق بالجوار والإسلام والقرابة]**[٤٤٤]، وقال الواحدي: [**﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾، قال عامة المفسرين: يعني القريب في النسب، الذي يبنك وبينه قرابة، وله حقوق؛ حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام، والجار الجنب: هو الذي ليس بينك وبينه قرابة، يقال: رجل جنب، إذا كان غريبا متباعدا عن أهله، وقوم أجناب، والجنابة: البعد]**[٤٤٥]، قال الماتريدي: [**خص اللَّه سبحانه وتعالى الْجَارِ الْجُنُبِ دون غيره من الجيران غير الملازقين، وكان ذلك دليلًا على أن الحقوق التي تلزم بالجوار إنما تلزم في الجيران الملازقين؛ لأنهم الجيران بالملك، يمس ملك بعضهم بعضًا، ويلصق به؛ كما في الرحم يمس أنفس بعضهم لبعض، ولهذا قال أبو حنيفة رضي اللَّه عنه: إنه إذا أوصى لجيرانه،**

---

[٤٤٢]) فيض القدير ٣/ ٤٦٩.

[٤٤٣]) التنوير شرح الجامع الصغير ٥/ ٥٤٢.

[٤٤٤]) التعيين في شرح الأربعين ١، ١٣٦، وورد في هذا التفصيل عدد من الأحاديث التي لا تصح كما حكى ذلك أهل العلم.

[٤٤٥]) التفسير البسيط ٦/ ٥٠٢.

فالوصية للملازقين دون غيرهم؛ لأنهم هم الذين يلزم لبعضهم على بعض حقوق يقومون بأدائها في حال حياتهم، فإذا ماتوا فأوصوا إنما أوصوا بأداء ما كان بينهم][٤٤٦].

٥/ من لطائف الكلام في حقوق الجار مما يحسن ذكره هنا ما قاله القشيري عند الحديث عن حقوق الجار: [**فإذا كان جار دارك مستوجبا للإحسان إليه ومراعاة حقه؛ فجار نفسك وهو قلبك أولى بألا تضيّعه ولا تغفل عنه، ولا تمكّن حلول الخواطر الرديئة به، وإذا كان جار نفسك هذا حكمه؛ فجار قلبك وهو روحك أولى أن تحامى على حقّها، ولا تمكّن لما يخالفها من مساكنتها ومجاورتها، وجار روحك وهو سرّك أولى أن ترعى حقّه، فلا تمكِّنه من الغيبة عن أوطان الشهود على دوام الساعات**][٤٤٧].

اللهُـمَّ اهْـدنا لأَحسَـن الأخْـلاق والأفعَـال والأقـوَال لا يهْـدِي لأحْسَـنِها إلَّا أنْـتَ، واصْـرف عنَّـا سَيِئَهَا لا يَصْرف سَيِئَهَا إلَّا أنْتَ.

***

[٤٤٦]) تفسير الما تريدي ٣/ ١٧٢.

[٤٤٧]) لطائف الإشارات ١/ ٣٣٢.

المجلس (السَّابع والعشرون)

الوالدان أحق الناس بحسن الصحبة

عـنْ أَبي هُريْـرة رضِـي اللهُ عنْـه قـالَ: جَـاءَ رَجُـلٌ إلى رَسُـولِ اللهِ صَـلَّى اللَّهُ عليـه وَسَـلَّمَ، فَقـالَ: يا رسُـول الله مَـن أَحَـقُّ النَّـاسِ بحُسْـنِ صَـحَابَتِي؟ قـالَ: "**أُمُّـكَ**" قـالَ: ثُمَّ مَـنْ؟ قـالَ: "**أُمُّـكَ**" قـالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: "**أُمُّكَ**" قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: "**أَبُوكَ**"[٤٤٨].

الفوائد:

١/ اسـتحقَّ الوالـدان أحقِّيَّـة حُسْـن الصُّـحبة لعظـيْم مـا قـدَّماه لولَـدِهما، وبالأخـصِّ مـا قدمَتْـه وتُقدِّمـه الأمُّ؛ فتكـرَّرت لأجْـل ذلـك الوصـيَّة النَّبويَّـة بِحُسْـن صُـحبتها، عِشْـرةً ومُلَاطفـة وإكرامـاً، كمـا ورد في الحـديث السـابق تأكيـد ذلـك ثـلاثاً؛ جـزاء مـا بَـذَلَت وضـحَّت لأجْـل ولـدها، اختيـاراً منْهـا؛ أو مقـدَّراً ومكتـوباً عليهـا فِعْلُـه؛ حمْـلاً ووضـعاً ورضَـاعةً وتربيـةً ورعَايـةً وتفقُّـداً وحِرْصـاً وشَـفَقةً ومتَابَعـةً لأحْوَالـه، وتضْـحيةً بنفْسـها لأجْلـه، حـتَّى في كِـبَرِ سِـنِّهِ وقوَّتـه مـع ضـعف بـدنها ورقتـه، قـال القاضـي عيـاض: [**تأكيـد حـق الأم وأمانـة مبرتهـا علـى مـبرة الأب لكثـرة تكلفهـا لـه مـن الحمـل؛ ومشـقة الوضـع؛ ومعـاناة الرضـاع والتربيـة**][٤٤٩]، وقـال ابـن بطـال: [**في هـذا الحـديث دليـل أن محبـة الأم والشـفقة عليهـا ينبغـي أن تكـون ثـلاث أميـال محبـة الأب، لأن عليـه السـلام كـرَّر الأم ثـلاث مـرات، وذكـر الأب في المـرة الرابعـة فقـط، وإذا تؤمـل هـذا المعـنى شـهد لـه العيـان، وذلـك أن صـعوبة الحمـل وصـعوبة الوضـع وصـعوبة الرضـاع والتربيـة تنفرد بها الأم، وتشقى بها دون الأب، فهذه ثلاث منازل يخلو منها الأب**][٤٥٠].

---

[٤٤٨]) صحيح البخاري ٥٩٧١، صحيح مسلم ٢٥٤٨.

[٤٤٩]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/ ٥.

[٤٥٠]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ١٨٩.

٢/ ويتْلو الأمَّ في أحقيَّة حُسْن الصُّحبة الأبُ؛ كما أشار إلى ذلك الحديثُ السَّابق ذكْرُه، وليس التَّرتيب استِنْقاصَا لقَدْرِ الأب؛ بل بيَاناً لقدر البذْل والعَطاء والتَّضحية المبذُولة مِن الوالدين؛ المسْتَحَقَّة بقَدْر ما تُقَابل به من الجزاء الحَسَن، فبقدر البذل يكون الجزاء، وقد قال ربُّنا سبحانه: ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إلا الإحْسَانُ**﴾[٤٥١]، وإن من أعظم الإحسان ما يتلقَّاه الوالد من والديه من أنواع الإحسان، قال الخولي عند ذكر الحديث السابق: [**هذا الحديث يدل على أن لكل من الأبوين حقا في المصاحبة الحسنة والعناية التامة بشؤونه، ولكن حق الأم فوق حق الأب بدرجات، إذ لم يذكر حقه إلا بعد أن أكَّد حق الأم تمام التأكيد، بذكرها ثلاث مرات**][٤٥٢]، وقال: [**وإنما علت منزلتها منزلته مع أنهما شريكان في تربية الولد هذا بماله ورعايته؛ وهذه بخدمته في طعامه وشرابه، ولباسه وفراشه و ... إلخ، لأن الأم عانت في سبيله ما لم يعانه الأب، فحملته تسعة أشهر وهْنَا على وَهْن، وضعفا إلى ضعف؛ ووضعته كرها؛ يكاد يخطفها الموت من هول ما تقاسي، وكذلك أرضعته سنتين، ساهرة على راحته، عاملة لمصلحته وإن برحت بها في سبيل ذلك الآلام، وبذلك نطق الوحي: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾، فتراه وصّى الإنسان بالإحسان إلي والديه؛ ولم يذكر من الأسباب إلا ما تعانيه الأم، إشارة إلى عظم حقها**][٤٥٣].

٣/ الولد البار بوالديه؛ الموفَّق لردِّ جميلهما؛ يجازيهما بفعْل الخيْر الذي بوِسْعِه؛ في حياتِهما وبعد مماتهما؛ حتَّى يغلب على ظنِّه أنَّه قد قام بالمقْدُور الممْكن تجاههما خَيْر قيَام، وإنْ كان كلُّ أحدٍ من الأولاد يَعْجَز عن ردِّ جميلِ البذل والعطاء والتَّضحية مِن الوالدين بما يكافئ بذلهما وتضحيتهما، وخاصَّة ما كان من الأم، حتَّى ولو اجتهد وحَرَص على ذلك، وقد ورد في الأثر: أنَّ رجلاً من أهل اليمن حَمَل

[٤٥١]) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.
[٤٥٢]) الأدب النبوي ١١٠.
[٤٥٣]) الأدب النبوي ١١١.

أمَّه على عُنُقِه، فجعل يطُوف بها حول البيت؛ ثمَّ قال لابن عمر: أتراني جزيتهُا؟ فقال ابن عمر رضي الله عنهما: [**لا، ولا بزفْرة واحدة من زفرات الولادة**][٤٥٤].

٤/ صُحْبَة الوالدين لا تساويها صُحْبَه؛ وبِرُّهما لا يسَاويه بِرٌّ بعْد طَاعَة اللهِ ورسولِهِ، يؤكِّد ذلك ما وَرَد مِن النُّصوص الشَّرعيَّة في بيَان عظيْم شأنهِما، وجلالة قَدْرِهِمَا، وأنْ قَرَن اللهُ أمر برّهمَا والإحسَان إليهمَا بالأمْر بعبَادتِه وعَدَم الإشْراك به، قال الله تعالى: ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾[٤٥٥]، وقال سبحانه: ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوالِدَينِ إِحسانًا**﴾[٤٥٦]، قال الشيخ العباد: [**والله تعالى يقرن الإحسان إلى الوالدين بحقه سبحانه وتعالى، ومع الأمر بعبادته كذلك؛ لأهمية البر بالوالدين، وخطورة عقوقهما، لأنهما السبب في وجودك، وهما اللذان تعبا من أجلك حتى بلغت مبلغ الرجال، فإحسانهما عليك عظيم، فإذا قابلت الإحسان بالإساءة فهذا يدل على شدة اللؤم، وعلى خبث الطبع**][٤٥٧].

٥/ عدم امتثال طاعة الوالدين في المعْروف من أسباب حرمَان الإنسان من الجنَّة، فقد ثبَت في الحديث عن النَّبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّه قال: " **رَغِمَ أنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُهُ قيلَ: مَنْ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: مَن أدْرَكَ والِدَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أحَدَهُما، أوْ كِلَيْهِما، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ**"[٤٥٨]، وقد عدَّ أهل العلم عقوق الأم والأب من كبائر الذنوب، استدلالا بما ورد من الأحاديث النبوية العديدة، منها ما سبق ذكره هنا، قال القاهري: [**عقوق الأمهات حرام وهو من الكبائر بإجماع العُلماء، وكذلك عقوق الآباء من الكبائر أيضًا، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على عد ذلك من الكبائر، والله أعلم**][٤٥٩].

---

[٤٥٤]) صحيح الأدب المفرد ٩.

[٤٥٥]) سورة النساء، الآية: ٣٦.

[٤٥٦]) سورة الإسراء، الآية:٢٣.

[٤٥٧]) شرح سنن أبي داوود للعباد (بتصرف يسير) ١٠/ ٣٣٨.

[٤٥٨]) صحيح مسلم ٢٥٥١.

[٤٥٩]) فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب ١٠/ ٤٨٠.

٦/ إن الـذي ينبغـي في صُـحْبَة الوالـدين أحْسَـنها وأكْمَلهـا وأجْمَلهـا، قـال الله عـز وجـل: ﴿ **وَقَضَـىٰ رَبُّـكَ أَلَّا تَعْبُـدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِـدَيْنِ إِحْسَـانًا**﴾[٤٦٠]، ويتَحقَّـق ذلـك بعَـدَم إيـذائِهما بأيِّ أمـرٍ كـان، مـادِّيًّا أو معنـويًّا، قـولاً أو فعـلاً، قليلاً أو كثيراً، صـغيراً أو كبـيراً، قـال الله تعـالى: ﴿ **إِمَّـا يَـبْلُغَنَّ عِنـدَكَ الْكِـبَرَ أَحَـدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَـا فَـلَا تَقُـل لَّهُمَـا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَـا**﴾[٤٦١]، بـل الواجِـبُ حُسْـن مخاطبتهمـا؛ وبـذْل جميْـل القـوْل وأكْرَمِـه وأحْسَـنِه لهُمـا، قـال ربُّنـا سـبحانه: ﴿ **وَقُـل لَّهُمَـا قَـوْلًا كَرِيمًـا**﴾[٤٦٢]، مـع التَّواضـع لهُمـا، والتَّخلُّـق بخُلُـق الرَّحمـة لهُمـا، وإكْرَامهمـا بكُـلِّ مـا يُطَيِّـبُ خَاطِرهُمـا مـن الأمُـور المادِّيَّـة والمعنويَّـة، قـال عـزَّ وجـلَّ: ﴿ **وَاخْفِـضْ لَهُمَـا جَنَـاحَ الـذُّلِّ مِـنَ الرَّحْمَـةِ**﴾[٤٦٣]، وتمـام ذلـك الـدُّعاء الصَّـادق والخـالص لهُمـا، كمـا قـال ربُّنـا سـبحانه: ﴿ **وَقُـل رَّبِّ ارْحَمْهُمَـا كَمَـا رَبَّيَـانِي صَـغِيرًا**﴾[٤٦٤]، قـال الخـولي بعـد ذكـر الآيـة السـابقة: [**فـامنع عنهمـا لسـان البـذاءة، ولـو بالهنـات الصـغيرة، وجنبهمـا أنـواع الأذى، وألـن لهمـا قولـك؛ واخفـض لهمـا جناحـك؛ وذلـل لطاعتهمـا نفسـك؛ وأذك في روحـك العطـف عليهمـا؛ والرحمـة بهمـا، ورطّـب لسـانك بالـدعاء لهمـا مـن خـالص قلبـك وقـرارة نفسـك، وقـل: ربّ ارحمهمـا كمـا ربيـاني صغيرا، ولا تنس زيادة العناية بالأم، عملا بإشارة الوحي؛ ومسايرة لمنطق الحديث**][٤٦٥].

رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا، رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا، رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا

***

[٤٦٠]) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
[٤٦١]) سورة الإسراء، الآية ٢٣.
[٤٦٢]) سورة الإسراء، الآية ٢٣.
[٤٦٣]) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.
[٤٦٤]) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.
[٤٦٥]) الأدب النبوي ١١١.

المجلس (الثَّامن والعشرون)

فضل عيادة مريض وزيارة الأخ في الله

عَـنْ أبي هُريـرة رضِـي اللهُ عنْـه قـالَ: قـالَ رسُـولُ اللهِ صـلَّى اللهُ عليْـه وسـلَّم: " **مَـن عـادَ مريضًـا، أو زارَ أخًـا لَـهُ في اللَّهِ، ناداهُ مُنـادٍ: بأن طِبـتَ وطـابَ مَمشـاكَ، وتبـوَّأتَ مِـنَ الجنَّـةِ منـزلًا**"[٤٦٦]، " وعـن عليٍّ بـنِ أبي طالـبٍ قـال: [**مـا مـن رجـلٍ يعـودُ مريضًـا ممسـيًا إلا خـرج معـه سـبعون ألـفِ ملـكٍ يسـتغفرون لـه حـتى يصـبحَ، وكـان لـه خريـفُ في الجنـةِ، ومـن أتاه مُصْـبِحًا خرج معه سبعون ألفِ ملكٍ يستغفرون له حتى يمسيَ، وكان له خريفُ في الجنةِ**][٤٦٧].

الفوائد:

١/ مِـن أحـب الأعمـال إلى الله إسْـعَاد الآخَـرين؛ بمـا يمكـن مـن الأمـور الماديـة أو المعنويـة، والاطمئْنـان علـيْهِم بـزيَارَتهم، أو التَّواصِـل بهِـم، وتفُقُّـد ظـروفهم وأحـوالهم، ومشـاركَتهم أفـراحهم وأتْـراحهم، ومواسَـاتهم عنْـد أحـزَانهم، والتَّخفيـف مِـن همُـومِهم بمـا يمْكـن؛ وإدخـال السـرور علـيهم، فقـد قـالَ عليْـه الصَّـلاة والسَّـلام: " **أَحَـبُّ النـاسِ إلى اللهِ أنفعُهـم للنـاسِ، وأَحَـبُّ الأعمـالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدخِلُه على مسلمٍ**"[٤٦٨].

كـلُّ ذلـك وغـيْره مـن معَـان الخـيْر الـتي يتعـدَّى أثـرُ فعْـل المرْءِ لهـا إلى الآخَـريْن، فيَسْـعَدُ بهـا لمـا وجَـدَ مِـن إسْـعَادِهِم؛ وقبـل ذلـك لأنـه جعـل كـل عملـه لله، ومـن أجلـه سـبحانه، ومـن ذلـك زيارة الأخ لأخيـه، قـال البـاجي: [**أن يكـون زيارة بعضـهم لـبعض مـن أجلـه وفي ذاتـه، وابتغـاء مرضـاته مـن محبـة لوجهـه، أو تعـاون علـى طاعتـه**][٤٦٩]، فينَـال المرء بـذلك حُـبَّ اللهِ تعَـالى جَـزَاء نَفْعِـهِ لهُـم وبذلـه وإحسـانه، وقَـد ورَد في حَـديْث معَـاذ بـن جبَـل رضِـي اللهُ عنْـه قـالَ:، سمِعـتُ رسـولَ اللهِ

[٤٦٦]) صحيح الترمذي ٢٠٠٨.
[٤٦٧]) صحيح الترغيب ٣٤٦٧.
[٤٦٨]) السلسة الصحيحة ٩٠٦.
[٤٦٩]) المنتقى شرح الموطأ ٧/ ٢٧٥.

صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ : " **قال اللهُ تبارك وتعالَى : وَجَبَتْ مَحَبَّتي للمُتحابِّينَ فيَّ، والمُتجالِسينَ فيَّ، والمُتزاوِرينَ فيَّ، والمُتباذِلينَ فيَّ**"[٤٧٠] ، قال المناوي عند شرحه لهذا الحديث: [**لِأَن قُلُوبهم لهت عَن كل شَيْء سواهُ فتعلقت بتوحيده، فألَّف بَينهم بِرُوحِهِ، وروح الْجَلَال أعظم شَأْنًا أَن يُوصف**][٤٧١]، وقال الصنعاني: [**قال الله تعالى: " وجبت محبتي" لزمت كما يلزم الواجب، " للمتحابين فيّ" الذين تحابوا في الله أي لأجله ولأجل نصرة دينه وإعلاء كلمته، " والمتجالسين فيّ" لأجل ذكري، " والمتباذلين فيّ" الذين يبذلون ما لديهم لبعض بعضا لأجل الله وما وعد به على ذلك، " والمتزاورين فيّ" الذين يزورون بعضهم بعضاً لأجل ما وعد الله على ذلك من الأجر، الله يحب اتصال العباد واعتضادهم وتساندهم على رضاه**][٤٧٢]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **أنَّ رَجُلًا زارَ أخًا له في قَرْيَةٍ أُخْرَى، فأرْصَدَ اللَّهُ له علَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أتَى عليه، قالَ: أيْنَ تُرِيدُ؟ قالَ: أُرِيدُ أخًا لي في هذِه القَرْيَةِ، قالَ: هلْ لكَ عليه مِن نِعْمَةٍ تَرُبُّها؟ قالَ: لا، غيرَ أنِّي أحْبَبْتُهُ في اللهِ عزَّ وجلَّ، قالَ: فإنِّي رَسولُ اللهِ إلَيْكَ بأنَّ اللَّهَ قدْ أحَبَّكَ كما أحْبَبْتَهُ فِيهِ**"[٤٧٣]، قال القاضي عياض في شرح هذا الحديث: [**فيه: محبة الله تعالى لعبيده، رحمتُه لهم، ورضاه عنهم، وإرادته لهم، وفعله بهم في ذلك، فعل المحب بحبيبه، ومراده له من الخير**][٤٧٤]، وقال ابن هبيرة: [**وقد دلَّ هذا الحديث على فضيلة زيارة الإخوان في الله عز وجل، وإنما فضلت لأنها تجمع تطيب قلب الأخ بقصده، ولا تخلو من ذكر الله وحمده، ويذكر كل منهما الآخر ويقويه، وديمومة كل منهما ببقاء من يعينه على سلوك طريق الآخرة، ويحثه عليها، ويؤنسه في وحدة سفره**][٤٧٥]، وقال القرطبي بعد ذكر الحديث السابق وغيره: [**وفي هذه الأحاديث ما يدلُّ على أن الحب في الله والتزاور فيه من أفضل**

---

[٤٧٠]) صحيح الترغيب ٤/٨١..

[٤٧١]) التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ١٨٦.

[٤٧٢]) التنوير شرح الجامع الصغير ٨/ ٩.

[٤٧٣]) صحيح مسلم ٢٥٦٧.

[٤٧٤]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/ ٣٥.

[٤٧٥]) الإفصاح عن معاني الصحاح ٨/ ١٤٣.

الأعمال، وأعظم القرب، إذا تجرد ذلك عن أغراض الدنيا وأهواء النفوس، وقد قال صلى الله عليه وسلم: " من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان"][٤٧٦].

٢/ الأعمَال الخالصَة لله، تُكسِبُ صَاحبها فضائل لا ينالُها غيْره، ويُوصَفُ بمحَامد الصِّفات عند الله ثمَّ عند خَلْقه، فيطِيْب حالُه ومآلُه، ويجْنِي الحَسَنَات في حِلِّه وتِرْحَاله، فحري بالمسلم أن يكون عمله خالصا لوجه الله، لا يرجو سواه، ولا يسعى لغاية دون رضاه، وقد أرشد إلى هذا ربنا سبْحَانه فقال: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾[٤٧٧]، فلا يقبل العمل إلا ما كان خالصا لوجه الله، وفْق ما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن رجب الحنبلي في بيان ذلك: [**وَقَالَ الْفُضَيْلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿ **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾[٤٧٨]، **قَالَ: أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ، وَقَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا، وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا، وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا، لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا وَصَوَابًا، قَالَ: وَالْخَالِصُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّوَابُ إِذَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا الَّذِي قَالَهُ الْفُضَيْلُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾[٤٧٩]][٤٨٠]، فبِقْدر إخْلاصِ العبد للهِ تعالى وقُرْبِه منه؛ يتَنوَّر طرِيْقُه، ويسْتقيْم لَهُ درْبُه، وتكُون عاقبَته خيْر عاقبَة، ومقَامه خيْر مقَام، فيحسُن ويطِيْب لَهُ بذلك لقَاء رَبِّه عز وجل، كما أشارت إلى ذلك الآية السابقة.

٣/ ينبغي مراعَاة أحوَال المزار، وظرُوف الزَّائر، وصفَة الزِّيارة، بما يناسِب الحالَ والزَّمانَ والمكَانَ، والنَّظر إلى تقدير حاجَة المزار إلى الزِّيارة، والمريْض إلى العيَادة، كوْنها في وقْتٍ دوْن وقْتٍ، وحالٍ دوْن

---

[٤٧٦]) المفهم ٦/ ٥٤٣.

[٤٧٧]) سورة البينة: ٥.

[٤٧٨]) سورة الملك، الآية: ٢.

[٤٧٩]) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

[٤٨٠]) جامع العلوم والحكم ١/ ٧٢.

حالٍ، ومكانٍ دوْن مكانٍ، واعتبَار قدْر وقتِها بيْن الطُّول والقِصَر، وما يكوْن في الزِّيارة مِن الدُّعاء للمُزَار، وتطْييْب خاطِرِه بمَا يُناسِب الحَال مِن قوْل أو فعْل، كلُّ ذلِك مِن حُسْن إدرَاك الآدَاب المتعلِّقة بالعلاقَات الأخويَّة والاجتمَاعيَّة وحتَّى النَّفسيَّة، التي تزيْد العلاقة والعشْرة حُسْناً وكمَالاً وجمَالاً، وبالذات حال زيارة المريض؛ كونه يعيش وضعا خاصا؛ يحتاج فيه إلى معاملة خاصة، ورعاية تناسب حاله؛ قال ابن حجر عن الزيارة: [**ومن آدابها: أن لا يطيل الجلوس حتى يضجر المريض، أو يشق على أهله، فإن اقتضت ذلك ضرورة فلا بأس**][٤٨١]، وقال عطية سالم: [**ذكر العلماء في آداب عيادة المريض أن على الزائر أن يغلب عند المريض جانب البشرى، وآمال العافية، وأن يرقيه، ويفسح له في الأجل، وألا يتبع نظره أثاث البيت الذي هو فيه؛ فإنه ربما تكون الحال متوسطة، أو دون ذلك، فيستضر صاحب البيت من أن تتأمل حالته بأنها رديئة أو قليلة أو غير ذلك، وألا يطيل الجلوس عنده، فقد يكون في حاجة إلى خدمة أهله فتحجبهم عنه، وقد جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يعود المريض بعد ثلاثة أيام؛ لأنه في أول يوم يمكن أن تكون وعكة خفيفة وتذهب، فليس هناك حاجة في أن تثقل عليه، أو تعطل نفسك، فتكون الزيارة بعد ثلاثة أيام**][٤٨٢].

اللهُمَّ اهْدِنا لأَحْسَن الأَفْعَال والأَقْوال لَا يَهْدِي لأَحْسَنِها إلَّا أَنْت.

***

[٤٨١]) فتح الباري لابن حجر ١٠/ ١١٣.

[٤٨٢]) شرح بلوغ المرام لعطية سالم ٥/ ١١٢.

المجلس (التَّاسع والعشرون)

فضل الحب في الله، وأهمية الاستعداد للقاء الله

عـن أنـس رضـي الله عنـه أَنَّ أَعرابيًّـا قَـالَ لرسُـول اللَّه صـلَّى اللهُ عليْـه وسـلَّم: مَـتَى السَّـاعَةُ؟ قَـالَ رسـولُ اللَّه صـلَّى اللهُ عليْـه وسـلَّم: **مَـا أَعْـدَدْتَ لَهَـا؟** قَـالَ: حُـبُّ اللَّهِ ورسـولِهِ، قَـالَ: **أَنْـتَ مَـعَ مَـنْ أَحْبَبْـتَ**"[٤٨٣]، وفي روايـةٍ: " **مَـا أَعْـدَدْتُ لَهَـا مِـنْ كَثِـيرِ صَـوْمٍ، وَلا صَـلاةٍ، وَلا صَـدَقَةٍ، وَلَكِـنِّي أُحِبُّ اللَّه وَرَسُولَهُ**"[٤٨٤].

الفوائد:

١/ لـيس علـى المسـلم حـرج لجهلـه معرفـةَ يـومَ موْتـه وخُـروج روحـهِ مِـن جسَـده، ولا معْرفَـة يـومَ قيَـام السَّـاعة وانتهَـاء الحيَـاة الـدُّنيا، فـذلك أمـر لا يعلمـه إلا الله تعـالى، كمـا قـال ربنـا سـبحانه: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ عِنـدَهُۥ عِلْـمُ ٱلسَّـاعَةِ وَيُنَـزِّلُ ٱلْغَيْـثَ وَيَعْلَـمُ مَـا فِى ٱلْأَرْحَـامِ ۖ وَمَـا تَـدْرِى نَفْـسٌ مَّـاذَا تَكْسِـبُ غَـدًا ۖ وَمَـا تَـدْرِى نَفْـسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُـوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِـيمٌ خَبِـيرٌۢ**﴾[٤٨٥]، فـإن كـان الأمـر كـذلك فـإن الـذي ينبغـي أن يعرفـه كـلُّ أحَـدٍ هُـو ضـرورة المبـادرة والاسـتعْداد للقَـاء اللهِ تعَـالى؛ بفعْـل الصَّـالحات واجتنَـاب المحرَّمـات، والانشـغال بأمـر الآخـرة، واستشـعار قـرب يـوم مغـادرة هـذه الحيـاة، لكـي يكـون ذلـك دافعـا وحـافزا علـى التشـمير في فعـل الطاعـات، واجتنـاب المعاصـي والمنكـرات، قـال ربُّنـا سـبحانه: ﴿ **فَمَـن كَـانَ يَرْجُـو لِقَـاءَ رَبِّـهِ فَلْيَعْمَـلْ عَمَـلًا صَـالِحًا وَلَا يُشْـرِكْ بِعِبَـادَةِ رَبِّـهِ أَحَـدًا**﴾[٤٨٦]، وقـالَ عبـد الله بـن عمـر رضـي الله عنـه: " **أخَـذَ رَسـولُ اللَّهِ صـلَّى اللهُ عليـه وسـلَّم بمَنْكِـبِي، فَقَـالَ: كُـنْ في الـدُّنْيَا كَأَنَّـكَ غَرِيـبٌ أوْ عَـابِرُ سَـبِيلٍ. وكـانَ ابـنُ عُمَـرَ يقـولُ: إذَا أمْسَـيْتَ فـلا تَنْتَظِـرِ الصَّـبَاحَ، وإذَا أصْـبَحْتَ فـلا تَنْتَظِـرِ المَسَـاءَ، وخُـذْ مِـن**

[٤٨٣]) صحيح البخاري٦١٦٧، صحيح مسلم ٢٦٣٩.
[٤٨٤]) صحيح البخاري ٧١٥٣، صحيح مسلم ٢٦٣٩
[٤٨٥]) سورة لقمان، الآية: ٣٤.
[٤٨٦]) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ"[٤٨٧]، قال القاضي عياض: [**وفائدة المبادرة بالعمل إمكانه قبل شغل البال، والحشد بالفتن، وقطعها عن العمل**][٤٨٨]، وقال ابن بطال في شرح حديث ابن عمر السابق: [**وهذا يدل على إيثار الزهد في الدنيا، وأخذ البلغة منها والكفاف، فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره؛ فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل، وقوله: " إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء": حض منه على أن يجعل الموت نصب عينيه، فيستعد له بالعمل الصالح، وحض له على تقصير الأمل، وترك الميل إلى غرور الدنيا، وقوله: "خذ من صحتك لمرضك": حض على اغتنام أيام صحته فيمهد، فيها لنفسه خوفًا من حلول مرض به يمنعه من العمل، وكذلك قوله: " ومن حياتك لموتك" تنبيه على اغتنام أيام حياته، ولا يمر عمره باطلاً في سهوٍ وغفلة، لأن من مات فقد انقطع عمله، وفاته أمله، وحضره على تفريطه ندمه، فما أجمع هذا الحديث لمعاني الخير وأشرفه**][٤٨٩]، وعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَال: "**بَادِرُوا بِالأَعمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيلِ الْمُظْلِمِ، يُصبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا ويمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا ويصْبحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**"[٤٩٠]، قال القرطبي عند ذكر هذا الحديث: [**ومقصودُ هذا الحديثِ: الأمرُ بالتمسُّك بالدِّين، والتشدُّدُ فيه عند الفتن، والتحذيرُ مِنَ الفتنِ، ومِنَ الإقبالِ على الدنيا وعلى مَطَامِعِهَا**][٤٩١].

٢/ ومَن أدْرَك ما يجِبُ عليْه قبْلَ أنْ يبَاغته الموْتُ؛ سَابَق ونَافَس في فعل العمَل الصَّالح؛ وجاهَد نفسَه على ذلك، مع مُلازَمة التَّوبة والإنَابة الصَّادقة المستَمرَّة، والإقبَال على الله سَائر الأحْوال، وقد حثَّ الله سبحانه على ذلك فقال: ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ**

---

[٤٨٧]) صحيح البخاري ٦٤١٦.

[٤٨٨]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ١/ ٤٠٥.

[٤٨٩]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/ ١٤٨.

[٤٩٠]) صحيح مسلم ١١٨.

[٤٩١]) المفهم ١/ ٣٢٦.

أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[٤٩٢]، قال التستري في تفسير هذه الآية: [**يعني: ارجعوا له بالدعاء والتضرع والمسألة، ﴿ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ يعني: فوضوا الأمور كلها إليه**][٤٩٣]، وقال الطبري في تفسيرها: [**وإنما يعاتب الله أولي الألباب، وإيّاهم أَمَر إنْ أسْرَف أحدهم على نفسه، أن لا يقنط من رحمة الله، وأن ينيب ولا يبطئ بالتوبة من ذلك الإسراف، والذنب الذي عمل، وقد ذكر الله في سورة آل عمران المؤمنين حين سألوا الله المغفرة، فقالوا: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾**[٤٩٤]**، فينبغي أن يعلم أنهم قد كانوا يصيبون الإسراف، فأمرهم بالتوبة من إسرافهم**][٤٩٥].

٣/ فإذا وفِّق المرءُ لإدْراك حقيْقة الاستِعْداد بالعَمَل الصَّالح والتَّوبة النَّصوح؛ وقَام بما يجِب خيْر قيَام؛ فقد تهيأ لإحْسَان الظَّن بربِّه؛ والشَّوق للقائه سبْحانه؛ في حيَاته وعنْد مجيء أجَله، لما يُبَشَّر به من الخير الذي كان عليه في حياته؛ وذلك من عاجِل بُشْرى المؤمِن، فقَد ورَد عن عُبادة بن الصَّامت رضي اللهُ عنْه أنَّه قالَ: قالَ رسُول اللهِ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: " **مَن أحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ**، قالَتْ عائِشَةُ أوْ بَعْضُ أزْواجِهِ: إنَّا لَنَكْرَهُ المِوْتَ، قالَ: **ليسَ ذاكِ، ولَكِنَّ المُؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ برِضْوانِ اللَّهِ وكَرامَتِهِ، فليسَ شَيءٌ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا أمامَهُ؛ فأحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ، وأَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، وإنَّ الكافِرَ إذا حُضِرَ بُشِّرَ بعَذابِ اللَّهِ وعُقُوبَتِهِ، فليسَ شَيءٌ أكْرَهَ إلَيْهِ ممَّا أمامَهُ؛ كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ، وكَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ**"[٤٩٦]، قال ابن عبد البر: [**الَّذِي أَقُولُ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْآثَارُ الْمَرْفُوعَةُ وَهِيَ الْمَلْجَأُ وَالْحُجَّةُ لِمَنْ لَجَأَ إِلَيْهَا؛ وَذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ عِنْدَ مُعَايَنَةِ الْإِنْسَانِ مَا يُعَانِيهِ عِنْدَ حُضُورِ أَجَلِهِ؛ فَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ لَمْ يُحِبَّ الْخُرُوجَ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا لِقَاءَ مَا عَايَنَ مِمَّا يَصِيرُ إِلَيْهِ، وَأَحَبَّ لَوْ بَقِيَ فِي الدُّنْيَا لِيَتُوبَ وَيَعْمَلَ صَالِحًا، وَإِنْ رَأَى مَا يُحِبُّ أَحَبَّ لَقَاءَ**

---

[٤٩٢]) سورة الزمر، الآية: ٥٤.

[٤٩٣]) تفسير التستري ١٣٤.

[٤٩٤]) سورة آل عمران، الآية: ١٤٧.

[٤٩٥]) تفسير الطبري ٢١/ ٣٠٦.

[٤٩٦]) صحيح البخاري ٦٥٠٧، صحيح مسلم ٢٦٨٤.

اللَّهِ وَالْإِسْرَاعَ إِلَى رَحْمَتِهِ، لِحُسْنِ مَا يُعَايِنُ مِنْ ذَلِكَ][٤٩٧]، وقال أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ: [**لَيْسَ وَجْهُهُ عِنْدِي كَرَاهَةَ الْمَوْتِ وَشِدَّتَهُ؛ لِأَنَّ هَذَا لَا يَكَادُ يَخْلُو عَنْهُ أَحَدٌ؛ وَلَكِنَّ الْمَذْمُومَ مِنْ ذَلِكَ إِيثَارُ الدُّنْيَا وَالرُّكُونُ إِلَيْهَا؛ وَكَرَاهِيَةُ أَنْ يَصِيرَ إِلَى اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ**][٤٩٨].

٤/ يتبيَّن من الحَديْث أهميَّة ومكَانة حبّ الله ورسُوله، وأنَّهما مقدَّمان على كلِّ حبٍّ، وأن ذلك الحب لا يتحقق إلا بحسن الانقياد، قال ابن بطال: [**علامة حب الله حب رسوله واتباع سبيله والاقتداء بسنته؛ لقوله تعالى: ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾**[٤٩٩] **، وقوله عليه السلام: " المرء مع من أحب"**[٥٠٠]] [٥٠١]، كما إنه ينتَفَى كَمَالُ إيمَانِ المرء بحبه الولد أو المال أو غير ذلك، أكثر من حُبّ اللهِ ورسُولِه، قال عليْه الصَّلاة والسَّلام: " **لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ مِن والِدِهِ وَوَلَدِهِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ**"[٥٠٢]، وقال عليه الصلاة والسلام عنْدما قالَ له عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن كُلِّ شَيْءٍ إلَّا مِن نَفْسِي، فَقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: " **لَا، والَّذي نَفْسِي بيَدِهِ، حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْكَ مِن نَفْسِكَ**"، فَقالَ له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ، واللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن نَفْسِي، فَقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: " **الآنَ يا عُمَرُ**"[٥٠٣]، وورَد في حدِيث النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم أنَّه قال: " **ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ**"[٥٠٤].

٥/ المرءُ مَع مَن أحبَّ، فالنَّفس تميْل إلى مَا يُوافقُها، والأرواحُ تتَلاقى مَع أشْكَالها وأضْرابها، وقد ورَد في الحديْث عَن عبْد الله بن مسْعُود رضيَ اللهُ عنْه قال: جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ

---

[٤٩٧]) الاستذكار ٣/ ٩٣.

[٤٩٨]) فتح الباري لابن حجر ١١/ ٣٦٠.

[٤٩٩]) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

[٥٠٠]) صحيح البخاري ٦١٦٩، صحيح مسلم ٢٦٤٠.

[٥٠١]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ٣٣٢.

[٥٠٢]) صحيح البخاري ١٥.

[٥٠٣]) صحيح البخاري ٦٦٣٢.

[٥٠٤]) صحيح البخاري ٢١، صحيح مسلم ٤٣.

فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، كيفَ تَقُولُ في رَجُلٍ أحَبَّ قَوْمًا ولَمْ يَلْحَقْ بهِمْ؟ فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: " **المَرْءُ مع مَن أحَبَّ**"[٥٠٥]، قال ابن بطال في شرح هذا الحديث: [**فدل هذا أن من أحب عبدًا في الله فإن الله جامع بينه وبينه في جنته، ومُدْخِله مدْخَله وإن قصر عن عمله، وهذا معنى قوله: " ولم يلحق بهم" يعنى في العمل والمنزلة، وبيان هذا المعنى والله أعلم أنه لما كان المحب للصالحين وإنما أحبهم من أجل طاعتهم لله؛ وكانت المحبة عملا من أعمال القلوب واعتقادًا لها؛ أثاب الله معتقد ذلك ثواب الصالحين، إذ النية هي الأصل والعمل تابع لها، والله يؤتي فضله من يشاء**][٥٠٦]، ومما يمكن الاستدلال به على تآلف القلوب مع ما يوافق طباعها وميولها ما ورد في الحديث عَن أَبي هُريرة رضِي اللهُ عنْه، عَن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قَالَ: " **النَّاسُ معَادِن كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، خِيَارُهُمْ في الجَاهِلِيَّةِ خِيارُهُمْ في الإِسْلامِ إِذَا فَقِهُوا، وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**"[٥٠٧]، قال النووي في شرح هذا الحديث: [**قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَاهُ جُمُوعٌ مُجْتَمَعَةٌ أَوْ أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَأَمَّا تَعَارُفُهَا فَهُوَ لِأَمْرٍ جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، وَقِيلَ إِنَّهَا مُوَافَقَةُ صِفَاتِهَا الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهَا وَتَنَاسُبُهَا فِي شِيَمِهَا، وَقِيلَ لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مُجْتَمِعَةً ثُمَّ فُرِّقَتْ فِي أَجْسَادِهَا، فَمَنْ وَافَقَ بِشِيَمِهِ أَلِفَهُ، وَمَنْ بَاعَدَهُ نَافَرَهُ وَخَالَفَهُ، وَقَالَ الخطابي وغيره تآلفها هو ما خلقها اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ السَّعَادَةِ أَوِ الشَّقَاوَةِ فِي الْمُبْتَدَأ، وَكَانَتِ الْأَرْوَاحُ قِسْمَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ، فَإِذَا تَلَاقَتِ الْأَجْسَادُ فِي الدُّنْيَا ائْتَلَفَتْ وَاخْتَلَفَتْ بِحَسَبِ مَا خُلِقَتْ عَلَيْهِ، فَيَمِيلُ الْأَخْيَارُ إِلَى الْأَخْيَارِ، وَالْأَشْرَارُ إلى الأشرار، والله أعلم**][٥٠٨]، وقال البيضاوي: [**مبدأ المحبة الحقيقية ما بين المتحابين من المناسبة والمجانسة، فإن الجنسية علة الضم، والمعتبر منها ما يكون بين النفوس، فإن أكثر أحوال البدن سيما ما يتوقف على الإدراك تابعة لأحوال النفس، فائضة عنها على البدن، ثم إن الأرواح البشرية التي هي النفوس الناطقة مجبولة على ضرايب مختلفة وشواكل متباينة، ويدل عليه ما يشاهده من تباعد أقدامهم في الرحمة والقساوة، والذكاء والبلادة، والعفة والفجور، والبخل والجود، إلى غير ذلك من الخواص والكيفيات النفسانية، وكل منها ينزع ويميل في عالم الخلق إلى ما يشاكله ويماثله في عالم الأمر، وينفر ويناوئ في**

[٥٠٥]) صحيح البخاري ٦١٦٩، صحيح مسلم ٢٦٤٠.
[٥٠٦]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ٣٣٢.
[٥٠٧]) صحيح مسلم ٢٦٣٨.
[٥٠٨]) شرح النووي على مسلم ١٦/ ١٨٥.

هذا العالم ما يخالفه وينافيه في ذلك العالم، فالمراد بالتعارف: ما بينها من التشابه والتناسب، وبالتنكير: ما بينها من التنافي والتباين، والله أعلم، وقوله: "مجندة" أي: مجموعة، كقولهم: ألف مؤلفة][٥٠٩].

اللهُمَّ ارزُقْنَا حُبَّكَ وحُبَّ مَن يُحِبُّكَ، وحُبَّ كُلّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنَا إلَى حُبِّكَ.

***

[٥٠٩]) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة ٣/ ٢٥٦.

المجلس (الثَّلاثون)

الوقوف بين يدي الله تعالى

عَنْ عَدِيّ بن حَاتم رضِي اللهُ عنْه قالَ: قالَ رسولُ الله صلَّى عليه وسلَّم: " **ما منْكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمُه ربُّه، ليس بينه وبينه تَرجمانٌ، فينظرُ أيْمَنَ منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظرُ أشأَمَ منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظرُ بين يدَيه، فلا يرى إلا النَّارَ تِلقاءَ وجهِه، فاتَّقوا النَّارَ، ولو بشِقِّ تمرةٍ**"[٥١٠].

الفوائد:

١/ يتأكَّد من الحديث الشريف حقيقة الوقوف بين يدي الله تعالى، وعظمة ذلك الموقف المهيب؛ الذي سيقفه كلُّ إنسان، لا يُستثنى منْ ذلك أحد، أيَّاً كانت مكانته وقدْره في الدنيا، غنيا كان أو فقيرا، عالما أو جاهلا، ذكرا أو أنثى، صاحب جاه وسلطان أو مِن عَوام الناس، كل واحد سيلقاه ربه فردا وحيدا، لا يصحبه سوى عمله، فما أعظمه من موقف، وما أجله من مقام، قال الله تعالى: ﴿ **وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**﴾[٥١١]، قال الطبري عند ذكر هذه الآية:[**وحده لا مال معه ولا ولد**][٥١٢]، وقال القشيري: [**لا خدم يصحبهم، ولا حشم يلحقهم، كل بنفسه مشتغل، وعن غيره منفرد**][٥١٣]، وقال النسفي: [**أي مفردا عن الأنصار والأموال، فلا يجزه عما يستحقه من عذاب الله حاجز، ولا ينفعه إلا ما قدمه من عمل صالح**][٥١٤].

---

[٥١٠]) صحيح البخاري ٧٥١٢، صحيح مسلم ١٠١٦.

[٥١١]) سورة مريم، الآية: ٩٥.

[٥١٢]) تفسير الطبري ١٨/ ٢٤٨.

[٥١٣]) تفسير القشيري ٢/ ٤٤٣.

[٥١٤]) التيسير في التفسير ١٠/ ٢٤٦.

٢/ من الحقائق التي يجب على المسلم استشعارها على الدوام أن الله سيسأله يوم القيامة عن أعماله التي اقترفتها جوارحه في الدنيا، صغيرها وكبيرها، حسنها وسيئها، ما قال وما فعل، وسيجازيه على كل ذلك، ويوفيه حسابه عليها، كي يجتهد في طاعة ربه؛ ويقوم بما يجب عليه تجاه خالقه سبحانه، قال الله تعالى: ﴿ **لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى**﴾[٥١٥]، قال الطبري في تفسير هذه الآية: [**لتثاب كل نفس امتحنها ربها بالعبادة في الدنيا بما تسعى، يقول: بما تعمل من خير وشرّ، وطاعة ومعصية**][٥١٦]، وقال سبحانه: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا، وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**﴾[٥١٧]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ، وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[٥١٨]، وقال تعالى: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾[٥١٩]، قال سهل التستري في تفسير هذه الآية: [**معشر المسلمين لقد أعقبتم الإقرار باللسان واليقين في القلب، أن الله واحد ليس كمثله شيء، وإن لكم يوماً يبعثكم فيه ويسألكم فيه عن مثاقيل الذر من أعمالكم، فإن كان خيراً أثابكم فيه، وإن كان شراً عاقبكم عليه إن شاء، فحققوه بالفعل**][٥٢٠]، وقال الطبري: [**وقوله:** ﴿ **لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ**﴾ **يقول: يومئذ يصدر الناس أشتاتا متفرّقين، عن اليمين وعن الشمال، ليروا أعمالهم، فيرى المحسن في الدنيا المطيع لله عمله وما أعد الله له يومئذ من الكرامة على طاعته إياه كانت في الدنيا، ويرى المسيء العاصي لله عمله وجزاء عمله، وما أعدّ الله له من الهوان والخزي في جهنم على معصيته إياه كانت في الدنيا وكفره به، وقوله:** ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ**﴾ **يقول: فمن عمل في الدنيا وزن ذرة من خير، يرى ثوابه**

---

[٥١٥]) سورة طه، الآية: ١٥.

[٥١٦]) تفسير الطبري ١٨/ ٢٩١.

[٥١٧]) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

[٥١٨]) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

[٥١٩]) سورة الزلزلة، الآية: ٧،٨.

[٥٢٠]) تفسير التستري ٢٠١.

هنالك ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ يقول: ومن كان عمل في الدنيا وزن ذرة من شر يرى جزاءه هنالك][٥٢١].

٣/ من أعظم ما وهب اللهُ به الإنسانَ عمْرَه الذي يكون فيه عمله، ومن خلاله ترتبط دنياه بآخرته، فهو رأس ماله، ووعاء أعماله، وبقدر عمل المرء فيه يكون الربح أو الخسارة، لذلك كان من أهمِّ ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة؛ لأهمية ارتباطه به وبعاقبته ومصيره الذي يؤول إليه، وقد قال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: " **لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسألَ عن أربعٍ : عن عُمرِهِ فيمَ أفناهُ، وعن علمِهِ ماذا عمِلَ بهِ، وعن مالِهِ مِن أينَ اكتسبَهُ، وفيمَ أنفقَهُ، وعن جسمِهِ فيمَ أبلاهُ**"[٥٢٢]، والمؤمن دائم الاعتبار والاتعاظ بمرور الليالي والأيام، والشهور والأعوام، عاملا فيها، مجتهدا في عمل الآخرة، يخشى فوات عمره دون حصول المقصود، وقد قال الله تعالى معاتبا الكافرين يوم القيامة: ﴿ **وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ، أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ، فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ**﴾[٥٢٣]، قال ابن كثير: [**أو ما عشتم في الدنيا أعمارا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم**][٥٢٤]، لذلك فإن الإيمان هو عامل اليقظة لدى المؤمنين، وبه صلاح دنياهم وآخرتهم، وقد ذكر ابن القيم ما سماه شاهد الإيمان، فقال: [**إذا قام بقلب العبد هذا الشاهد انخلع من الذنوب والمعاصي، واتباع الهوى، ولبس ثياب الخوف والحذر، وأخصب قلبه من مطر أجفانه، وهان عليه كل مصيبة في غير دينه وقلبه، وعلى حسب قوة هذا الشاهد يكون بُعده عن المعاصي والمخالفات، فيذيب هذا الشاهد من قلبه الفضلات والمواد المهلكة، وينضحها ثم يخرجها، فيجد القلب لذة العافية وسرورها**][٥٢٥].

---

[٥٢١]) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٤٩.
[٥٢٢]) صحيح الترغيب ٣٥٩٢.
[٥٢٣]) سورة فاطر، الآية: ٣٧.
[٥٢٤]) تفسير ابن كثير ٦/ ٤٩٠.
[٥٢٥]) مدارج السالكين ٤ / ١٤٩.

٤/ لا ينبغي للمسلم احتقار عمل الخير والمعروف أياً كان قدره، فقد قال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: " **لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعروفِ شيئًا، ولو أنْ تَلْقَى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ**"[٥٢٦]، وعليه معرفة قدر العمل وقيمته عند الله تعالى، فإذا كان عملاً يُقرِّبه من ربه ويبعده عن عذابه؛ فليسابق إليه وليكثر منه، أيا كان قدره ونوعه، فإنه لا يدري أي عمل سيشفع له ويكون سبباً في مغفرة الله له وإدخاله الجنة، وقد جاء في الحديث أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: **بَيْنا رَجُلٌ يَمْشِي، فاشْتَدَّ عليه العَطَشُ، فَنَزَلَ بئْرًا، فَشَرِبَ مِنْها، ثُمَّ خَرَجَ فإذا هو بكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فقالَ: لَقَدْ بَلَغَ هذا مِثْلُ الذي بَلَغَ بي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أمْسَكَهُ بفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ له، فَغَفَرَ له**، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، وإنَّ لنا في البَهائِمِ أجْرًا؟ قالَ: **في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجْرٌ**"[٥٢٧]، والأصل في صلاح الأعمال سلامة النية والصدق في إرادة فعلها؛ دون النظر إلى نوع العمل ما دام من أعمال البر، وقد قال عليه الصلاة والسلام: " **بيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ وجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ علَى الطَّرِيقِ فأخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ له فَغَفَرَ له**"[٥٢٨]، قال القرطبي في شرح هذا الحديث: [**و" قوله: فشكر الله له فغفر له" أي: أظهر لملائكته أو لمن شاء من خلقه الثناء عليه بما فعل من الإحسان لعبيده، وقد تقدَّم أن أصل الشكر: الظهور، أو يكون جازاه جزاء الشاكر، فسمى الجزاء شكرا، وعبَّر عنه بشَكَر كما قال في الرواية الأخرى: فأدخل الجنة، وكل ذلك إنما حصل لذلك الرجل بحسن نيته في تنحيته الأذى، ألا ترى قوله: والله لأنحين هذا عن المسلمين؛ لا يؤذيهم**][٥٢٩]، وقال ابن عبد البر: [**وفي هذا الحديث من الفقه: أنّ نزْعَ الأذى من الطُّرق من أعمال البرّ، وأن أعمالَ البرّ تُكفِّرُ السَّيئات، وتُوجِبُ الغُفرانَ والحسنات، ولا ينبغي للعاقل المؤمن أن يحتقِرَ شيئًا من أعمالِ البرّ، فربما غُفِر له بأقلِّها؛ ألا ترى إلى ما في هذا الحديث من أنَّ اللَّهَ شكَر له إذ نزَعَ غُصنَ الشَّوك عن الطريق فغفَر له ذنوبَه؟ وقد قال صلى اللَّه عليه وسلم: " الإيمانُ بضْعٌ وسبعونَ شعبةً، أعلاها لا إلهَ إلا اللَّه، وأدناها إماطةُ الأذى**

[٥٢٦]) صحيح مسلم ٢٦٢٦.
[٥٢٧]) صحيح البخاري ٢٣٦٣.
[٥٢٨]) صحيح البخاري ٦٥٢، صحيح مسلم ١٩١٤.
[٥٢٩]) المفهم ٦/ ٦٠٣.

عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان"، وقال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٥٣٠][٥٣١].

اللهُمَّ أعنَّا عَلى ذِكْرك وشُكرك وحُسْن عبادَتك.

***

[٥٣٠]) سورة الزلزلة، الآية: ٧،٨.

[٥٣١]) التمهيد لابن عبد البر ١٣/ ٥٣٩.

المجلس (الحادي والثَّلاثون)

تكريمُ الله لِعَبْده بأن جَعَل باب التَّوبة مفتوحاً

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم: " **إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا**"[٥٣٢].

الفوائد:

١/ حاجة الإنسان إلى التوبة والمغفرة من الله تعالى؛ والتوفيق للمسارعة في الطاعة؛ أشد وأكثر من حاجته للماء والهواء والغذاء، فهذه الأشياء تكون بها حياة الأبدان وصحَّتها واستقامة أمرها، أما التوبة والتوفيق للطاعة، ثم قبولها من الله تعالى؛ فبها حياة القلوب والأرواح، واستقامة طريق السير إلى الله تعالى، وتذليل سبل القرْب منه عز وجل، وبها نيل الفلاح في الدنيا والآخرة، قال ربنا سبحانه: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[٥٣٣]، وقال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إلى اللهِ، فإنِّي أَتُوبُ في اليَومِ إلَيْهِ مِئَةَ مَرَّةٍ** "[٥٣٤]، قال المناوي بعد ذكر هذا الحديث: " **توبوا إلى الله**": **[قياما بحق العبودية، وإعظاما لمنصب الربوبية]**، " **فإني أتوب إلى إليه كل يوم**": **[امتثالا لقول الله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾، أمرهم مع طاعتهم بالتوبة لئلا يحجبوا عنها بطاعتهم، وتوبة العوام من الذنوب، والخواص من غفلة القلوب، وخواص الخواص مما سوى المحبوب، فذنب كل عبد بحسبه، " مائة مرة"، ذكره للتكثير لا لتحديد ولا للغاية]**[٥٣٥]، قال السمرقندي عند ذكر الآية السابقة: [**يعني لكي تنجوا من عذابه وتنالوا**

---

[٥٣٢]) صحيح مسلم ٢٧٥٩.

[٥٣٣]) سورة النور، الآية: ٣١.

[٥٣٤]) صحيح مسلم ٢٧٠٢.

[٥٣٥]) التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٤٥٨، فيض القدير ٣/ ٢٧٤.

مـن رحمتـه، فبـين الله تعـالى أن التوبـة مفتـاح كـل خـير، وأن فـلاح المـؤمن في توبتـه][٥٣٦]، وقـال ابـن عثيمـين عنـد ذكـر نهايـة الآيـة السـابقة : **[﴿ لعلكـم تفلحـون﴾: دليـل علـى أن التوبـة مـن أسـباب الفـلاح، والفـلاح كمـا قـال أهـل العلـم بالتفسـير وباللغـة: كلمـة جامعـة يحصـل بهـا المطلـوب، ويـزول بهـا المرهـوب، فهـي كلمـة جامعـة لخـير الـدنيا والآخـرة، وكـل النـاس يطلـب خير الدنيا والآخرة، لكن منهم من يوفَّق ومنهم من لا يوفَّق]**[٥٣٧].

٢/ نادى الله عبـاده في أكثـر مـن مـوطن في كتابـه الكـريم، وحـثهم علـى اسـتباق الخـيرات، والمسـارعة والمسـابقة في الأعمـال الصـالحة، رحمـةً بهـم وإشـفاقاً علـيهم، وحبَّـاً في الخـير لهـم، قـال تعـالى: ﴿ **وَلِكُـلٍّ وِجْهَـةٌ هُـوَ مُوَلِّيهَـا، فَاسْـتَبِقُوا الْخَـيْرَاتِ**﴾[٥٣٨]، وقـال عـز وجـل: ﴿ **وَسَـارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِـرَةٍ مِّـن رَّبِّكُـمْ وَجَنَّـةٍ عَرْضُـهَا السَّـمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِـدَّتْ لِلْمُتَّقِـينَ**﴾[٥٣٩]، وقـال سـبحانه: ﴿ **سَـابِقُواْ إِلَىٰ مَغْفِـرَةٍ مِّـن رَّبِّكُـمْ وَجَنَّـةٍ عَرْضُـهَا كَعَـرْضِ ٱلسَّـمَاءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِـدَّتْ لِلَّـذِينَ ءَامَنُـواْ بِـٱللَّهِ وَرُسُـلِهِۦ، ذَٰلِـكَ فَضْـلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيـهِ مَـن يَشَـاءُ، وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْـلِ ٱلْعَظِـيمِ**﴾[٥٤٠]، قـال القـاهري: **[لمـا سمـع الصـحابة –رضـي الله عـنهم– قـول الله عـز وجـل: ﴿ فَاسْـتَبِقُوا الْخَـيْرَاتِ﴾، ﴿ سَـابِقُوا إِلَى مَغْفِـرَةٍ مِـنْ رَبِّكُـمْ وَجَنَّـةٍ عَرْضُـهَا كَعَـرْضِ السَّـمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فهمـوا مـن ذلـك أن المـراد أن يجتهـد كـل واحـد مـنهم أن يكـون هـو السـابق لغـيره إلى هـذه الكرامـة، والمسـارع إلى بلـوغ هـذه الدرجـة العاليـة، فكـان أحـدهم إذا رأى مـن يعمـل عمـلا يعجـز عنـه خشـى أن يكـون صـاحب ذلـك العمـل هـو السـابق لـه فيحـزن لفـوات سـبقه، فكـان تنافسـهم في درجـات الآخـرة واستباقهم في الدنيا]**[٥٤١].

٣/ عمـر الإنسـان كلـه باب مفتـوح للتوبـة والعـودة والإنابـة إلى الله تعـالى، في كـل وقـت وحـين مـن ليـل أو نهـار، مـالم تبلـغ الـروح الحلقـوم، وقبـل أن تطلـع الشـمس مـن مغربهـا، قـال أبـو

---

[٥٣٦]) تنبيه الغافلين ١١٣.

[٥٣٧]) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/ ٩٦.

[٥٣٨]) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

[٥٣٩]) سورة آل عمران، الآية، ١٣٣.

[٥٤٠]) سورة الحديد، الآية: ٢١.

[٥٤١]) فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب ٧/ ٤٥٢.

حامد الغزالي: [**باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح**][٥٤٢]، وتلك حجَّة من الله على عباده، بل من أعظم الحجج عليهم، فالموفق من وفَّقه الله تعالى، ولا يهلك على الله إلا هالك، قال نبيُّنا محمد صلى اللهُ عليه وسلم: " **مَن تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عليه**"[٥٤٣]، وقال عليه الصلاة والسلام كما في الحديث السابق: " **إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا**"[٥٤٤].

٤/ من قام بما يجب عليه استجابةً لأمر الله؛ وإيقاظاً لنفسه من الغفلة؛ وإنقاذاً لها من العذاب؛ فقد أفلح ونجى، ومن تهاون وسوَّف؛ وتمادى في غيِّه؛ فاتته رُخْصَة الله ومِنْحَته التي منَحَهَا لعباده بجعْل باب التوبة مفتوحاً؛ فالله قد أعذَر إليه وأمهَلَه إمهالاً طويلاً، كرامةً لعباده، ورحمةً بهم ،وفضلاً منه لهم، إمهالاً يكفي للاتِّعاظ والاعتبار، والاجتهاد في عمل الآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ، فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ**﴾[٥٤٥]، قال السخاوي عند ذكر هذه الآية: [**وهو يشمل كل من أدرك من عمره وقتا يمكنه فيه العمل، إلا أن التوبيخ على صاحب العمر الأطول أولى**][٥٤٦]، فالأمر يستدعي المسارعة في التوبة، والإقبال على الله تعالى بصدق، قبل أن يحين الأجل، ويفوت وقت العمل، قال ربنا سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ، فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا، وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ، وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ، أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾[٥٤٧].

---

[٥٤٢]) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٩.

[٥٤٣]) صحيح مسلم ٢٧٠٣.

[٥٤٤]) صحيح مسلم ٢٧٥٩.

[٥٤٥]) سورة فاطر، الآية:٣٧.

[٥٤٦]) تفسير القرآن العظيم للسخاوي ٢/ ١٦٦.

[٥٤٧]) سورة النساء، الآية: ١٧،١٨.

٥/ من عظيم كَرَم الله عز وجل على عبده، أنه عَلِم بمعصية عبْده ولم يؤاخذه بها عاجلا؛ بل أمْهَله طويلاً؛ لعلَّه يرجع ويتوب؛ ثم دلَّه على ما يجب عليه من أمر التوبة والإنابة؛ ليعوِّض ويصلح ما أفسد بإصلاحه؛ ويكفِّر عن الخطأ بالبر والإحسان، ثم هيَّأ له أسباب تلك التوبة والإقبال عليه ويسَّرها له، وجعل له ذلك التَّكريم كلَّما أخطأ؛ لعله يتوب ويرجع إلى الله ويستغفر، فلله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً؛ على فضله ومنِّه وكرمه، قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ، إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا، إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ**﴾[٥٤٨]، ومما يؤكِّد سعة رحمة الله وعبده بلطفه ما ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **إنَّ عَبْدًا أصابَ ذَنْبًا ورُبَّما قالَ أذْنَبَ ذَنْبًا فقالَ: رَبِّ أذْنَبْتُ ورُبَّما قالَ: أصَبْتُ فاغْفِرْ لِي، فقالَ رَبُّهُ: أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ ما شاءَ اللَّهُ ثُمَّ أصابَ ذَنْبًا، أوْ أذْنَبَ ذَنْبًا، فقالَ: رَبِّ أذْنَبْتُ أوْ أصَبْتُ آخَرَ، فاغْفِرْهُ فقالَ: أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ ما شاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أذْنَبَ ذَنْبًا، ورُبَّما قالَ: أصابَ ذَنْبًا، قالَ: قالَ: رَبِّ أصَبْتُ أوْ قالَ أذْنَبْتُ آخَرَ، فاغْفِرْهُ لِي، فقالَ: أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلاثًا، فَلْيَعْمَلْ ما شاءَ**"[٥٤٩]، قال ابن الدماميني في شرح هذا الحديث: [**ذكر في هذا الحديث مواقعةَ العبدِ للذنب واستغفارَه، ومغفرةَ الله له، ففيه دليلٌ على أن المصرَّ في مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له؛ لحسنته التي جاء بها، وهي اعتقادُه أن له رباً خالقاً له يعذبه ويغفر له، واستغفارُه إياه يدل على ذلك، ولا حسنةَ أعظمُ من التوحيدِ والإقرار بوجوده، والتضرعِ إليه في المغفرة، وليس مجردُ استغفاره توبةً يقدح في كونه مُصِرّاً؛ لأن الاستغفارَ ليس شيئاً غيرَ طلب المغفرة، وقد يَطْلُبُ الغفرانَ المصرُّ والتائبُ، ولا دليل في الحديث على أنه كان قد تابَ مما سألَ مغفرتَه**][٥٥٠].

٦/ الإنسان أمير نفسه، إن شاء أحسن إليها، وإن شاء أساء، إن شاء زكاها وحرَّرها بالطاعة، وإن شاء دسَّاها وأوبقها بالمعصية، قال الله تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ**

---

[٥٤٨]) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

[٥٤٩]) صحيح البخاري ٧٥٠٧، صحيح مسلم ٢٧٥٨.

[٥٥٠]) مصابيح الجامع ١٠/ ٢٤٣.

خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[٥٥١]، وقال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: " **كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا**"[٥٥٢]، قال النووي عند شرحه لهذا الحديث: [**وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا" فَمَعْنَاهُ: كُلُّ إِنْسَانٍ يَسْعَى بِنَفْسِهِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَبِيعُهَا لِلَّهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ فَيُعْتِقُهَا مِنَ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبِيعُهَا لِلشَّيْطَانِ وَالْهَوَى بِاتِّبَاعِهِمَا فَيُوبِقُهَا أَيْ يُهْلِكُهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ**][٥٥٣]، فالإنسان بحاجة إلى تفقد نفسه، والنظر في حالها، وما هي عليه من الطاعة أو المعصية، فإن علم منها الطاعة والإقبال عليها بصدق ورغبة؛ حَمِد اللهَ على ذلك، واجتهد في الإكثار منها، والتزود من كل الخيرات والقربات، وإن علم منها عكس ذلك، وأنها محبوسة في أهوائها ورغباتها الصارفة عن الطاعات؛ فليعجِّل بمداواتها، وإنقاذها مما هي فيه من الباطل، وتعويض ما فات من الإهمال والتضييع والتقصير في جنب الله تعالى، قبل أن يفوت الأوان، فلا ينفع حينئذ الندم، وتلك دعوة الله لكل من قَصَّر في حَقِّه سبحانه وفرَّط، قال الله عز وجل: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**﴾.[٥٥٤]

اللهُمَّ اغْفِر لنا إنَّك أنْت الغَفُور الرَّحيم، وتُب علينا إنَّك أنْت التَّواب الرَّحيم.

***

[٥٥١]) سورة الشمس، الآية: ٩، ١٠.

[٥٥٢]) صحيح مسلم ٢٢٣.

[٥٥٣]) شرح النووي على مسلم ٣/ ١٠٠.

[٥٥٤]) سورة الزمر، الآية: ٥٣-٥٦.

المجلس (الثَّاني والثَّلاثون)

أفْضَل أيَّام الدُّنْيا

عن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم:

" ما من أيَّامٍ العملُ الصَّالحُ فيهنَّ أحبُّ إلى اللهِ من هذه الأيَّامِ" يعني أيام العشر قالوا: يا رسولَ اللهِ ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ؟ قال: " ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ إلَّا رجل خرج بنفسِه ومالِه فلم يرجِعْ من ذلك بشيءٍ"[555].

الفوائد:

١/ يسَّر الله لعباده فعل الطَّاعات، ووهَبَهم مواسم الخيْرات، ومضاعفة الأجور والحسنات، التي تُمثِّل أسواقاً لجَنْي الأرباح، وإجراء الصَّفقات، فهو بيع وشراء، ولكن مع مالك الملك الغني القادر، الوهَّاب المعطي، الذي يُعطي على القليل كثيراً، بل ويضاعف ذلك أضعافاً مضاعفةً، كرَماً منْه وَجُوْداً، وتفضلا منه وإحسانا وإكراما؛ ففضله ورحمته سبحانه واسعة، وكرمه وجوده تعالى لا ينقطع، قال الله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ، وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ**﴾[556]، فما أعظم جُوْده سبحانه على عباده، وما أكرمه عليهم بأنواع الإكرام، قال القرطبي عند قوله سبحانه ﴿ **وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ**﴾: [**فإنه خبر من الله جل ثناؤه عن أن كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم، فإنه من عنده ابتداء وتفضلا منه عليهم، من غير استحقاق منهم ذلك عليه**][557]، وقال: [**والله يؤتي فضله من يشاء من خلقه، وهو ذو الفضل العظيم عليهم، بما بسط لهم من الرزق في الدنيا، ووهب لهم من النِّعم، وعرّفهم موضع الشكر، ثم جزاهم في الآخرة على الطاعة ما وصف أنه أعدّه**

[555]) صحيح البخاري ٩٦٩.
[556]) سورة الجمعة، الآية: ٤.
[557]) تفسير الطبري ٢/ ٤٧١.

لهم][٥٥٨]، وقال الماتريدي: [**والمفضَّل عند الخلق هو الذي يُعطِي ويَبذُل ما ليس عليه، لا ما عليه؛ لأَن من عليه شيء فأعطاه، أَو قضى ما عليه من الدَّيْن، لا يوصف بالإفضال؛ فدل أَنه استوجب ذلك الاختصاص، وذلك الفضل، لمَّا لم يكن عليه ذلك، ولو كان عليه لكان يقول: ذو العدل، لا ذو الفضل، وبالله التوفيق]**[٥٥٩]، وقال القشيري بعد ذكر قول الله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ، وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ**﴾[٥٦٠]: [**وفي ذلك ردّ على من يقول: إن الجنة مستحقّة على الطاعات، ويجب على الله إيصال العبد إليها، لأن الفضل لا يكون واجبا]**[٥٦١]،

٢/ الاجتهاد في الطَّاعات بأنواعها، وعدم الاقتصار على عملٍ دون عمل في هذه الأيام المباركة، والمبادرة إلى فعل ما يُقْدَرُ عليْه من عمل الخير بعد فعل الفرائض؛ قولاً أو فعلاً، هو الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم ويُرجى منه، وممّا أشار النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى فعله من الأعمال في هذه الأيَّام المباركة: التَّهليل والتَّكبير والتَّحميد، كما ورد في الحديث أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ قال: " **ما مِن أيَّامٍ أعظَمُ عِندَ اللهِ ولا أحَبُّ إليه مِن العَمَلِ فيهنَّ مِن هذه الأيَّامِ العَشرِ، فأكثِروا فيهنَّ مِن التَّهليلِ والتَّكبيرِ والتَّحميدِ**"[٥٦٢]، فالمشروع هو الإكثار من كلِّ أنواع الطاعات؛ ومن ذلك الذكر، خاصَّة الألفاظ المذكورة في هذا الحديث، وذلك من تعظيم أيام العشر المباركة، فمن أحسن فلنفسه، ومن زاد زاده الله من فضله، قال القاهري عند شرح هذا الحديث: [**أما استحباب الإكثار من الذكر فيها فقد دلَّ عليه قول الله عز وجل: ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴾**[٥٦٣]، **فإن الأيام المعلومات عند جمهور العلماء هي أيام العشر]**[٥٦٤].

---

[٥٥٨]) تفسير الطبري ٢٣/ ١٩٥.

[٥٥٩]) تفسير الماتريدي ١/ ٥٣٠.

[٥٦٠]) سورة الجمعة، الآية: ٤.

[٥٦١]) لطائف الإشارات ٣/ ٥٤٢.

[٥٦٢]) مسند أحمد ٥٤٤٦.

[٥٦٣]) سورة الحج، الآية: ٢٨.

[٥٦٤]) فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب ٦/ ١٣٧.

٣/ إذا كان للأعمال الصَّالحة في هذه الأيَّام العشر فضيلة على ما سواها من أيَّام السَّنة؛ وأجورها مضاعفة مقارنة بفعلها في غير هذه الأيَّام؛ فإنَّ التَّقصير في فعل ذلك الخير حِرْمَان وغبْن، وخَيْبَة ينَالها صاحبُها، وتضييع لنفحَات الله التي حثَّ على اغتنامها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ التي يُوفِّقُ اللهُ لها من شاء من عباده، فقد جاء في الحديث أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: " **افعلوا الخيرَ دهرَكم وتعرَّضوا لنفحاتِ رحمةِ اللهِ؛ فإنَّ للهِ نفحاتٍ من رحمتِه يصيبُ بها من يشاءُ من عبادِه**"[٥٦٥]، قال المناوي في شرح هذا الحديث: [**" وتعرّضوا لنفحات رَحْمَة الله" أَي عطاياه الَّتِي تهب من ريَاح رَحمته " فَإِن لله نفحات من خَزَائِن رَحمته، يُصِيب بهَا من يَشَاء من عباده" الْمُؤمنِينَ، فدوموا على الطّلب، فَعَسَى أَن تصادفوا نفحة مِنْهَا فتسعدوا سَعَادَة الْأَبَد**][٥٦٦]، وقال الصنعاني: [**" وتعرضوا لنفحات رحمة الله" جمع نفحة، وهي العطية من نفح الطيب إذا فاح وخرج منه رائحة، كذلك العطية تخرج من المعطي، وفيه الأمر بالتعرض لنيل الخير في كل حين من الأحيان، فإنه قد يوافق ساعة الإجابة " فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده" فتعرضوا لها لعلها تصيبكم**][٥٦٧].

٤/ كما أنَّ أجور فعل الأعمال الصَّالحة في العشر من ذي الحجَّة مضاعفة؛ فإنَّ الإثم كذلك أعظم، ووزر المعصية مضاعف، لاعتبار فضيلة الزَّمان، إضافة إلى أنَّ الله تعالى قال: ﴿ **فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ**﴾[٥٦٨]، أي في الأربعة الشُّهور المحرَّمة، وهي رجب وذي العقدة وذي الحجَّة ومحرَّم، والعشرة الأيَّام من ذي الحجَّة جزء منها، فتأخذ حكمها، بل هي آكدها، قال ابن بطال عند ذكر الآية السابقة: [**تعظيمًا للظلم فيهن؛ إذ الظلم في غيرهن محرم أيضًا، فدل تخصيصهن بالنهي عن الظلم؛ على أنها مزية على غيرها في إثم الظلم والقتل وغيره**][٥٦٩]، وقال ابن رجب الحنبلي: [**قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ**

---

[٥٦٥]) مجمع الزوائد ١٠/ ٢٣٤.

[٥٦٦]) التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ١٦٣.

[٥٦٧]) التنوير شرح الجامع الصغير ٢/ ٤٣٠.

[٥٦٨]) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

[٥٦٩]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٨/ ٥١٠.

الْآيَـةِ: ﴿ فَـلَا تَظْلِمُـوا فِـيهِنَّ أَنفُسَـكُمْ﴾[٥٧٠]، فِي كُلِّهِـنَّ، ثُمَّ اخْـتَصَّ مِـنْ ذَلِـكَ أَرْبَعَـةَ أَشْـهُرٍ، فَجَعَلَهُـنَّ حَرَمًـا، وَعَظَّـمَ حُرُمَـاتِهِنَّ، وَجَعَـلَ الـذَّنْبَ فِـيهِنَّ أَعْظَـمَ، وَالْعَمَـلَ الصَّـالِحَ وَالْأَجْـرَ أَعْظَـمَ، وَقَـالَ قَتَـادَةُ فِي هَـذِهِ الْآيَـةِ: اعْلَمُـوا أَنَّ الظُّلْـمَ فِي الْأَشْـهُرِ الْحُـرُمِ أَعْظَـمُ خَطِيئَـةً وَوِزْرًا فِيمَـا سِـوَى ذَلِـكَ، وَإِنْ كَـانَ الظُّلْـمُ فِي كُـلِّ حَـالٍ غَـيْرَ طَائِـلٍ، وَلَكِـنَّ اللَّهَ تَعَـالَى يُعَظِّـمُ مِـنْ أَمْـرِهِ مَا يَشَاءُ تَعَالَى رَبُّنَا][٥٧١].

اللهُـمَّ اعنّـا علـى ذكْـرك وشُـكْرك وحُسْـن عبادتـك، ووفِّقنـا لمـا تحـبّ وترضـى، واكتـب لنـا في هـذه الأيَّام المباركة خير ما كتبته لعبادك الصَّالحين.

***

[٥٧٠]) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

[٥٧١]) جامع العلوم والحكم ٢/ ٣١٧.

المجلس (الثَّالث والثلاثون)

الاستعانة بالله على طاعته

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللَّه صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ أخذَ بيدِهِ، وقالَ: " **يا مُعاذُ، واللَّهِ إنِّي لأحبُّكَ، فقالَ:**

" أوصيكَ يا معاذُ لا تدَعنَّ في دُبُرَ كلِّ صلاةٍ تقولُ: اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ"[٥٧٢].

الفوائد:

١/ برهان حبّ المسلم لأخيه المسلم بأن ينصح له في أمر دينه ودنياه، خاصَّة ما يهُمُّ أمر دينه، وأنْ يدلَّه على ما هو أنفع له عند ربه عز وجل، ويصرفه عن الوقوع في موجبات سخطه وعقابه، وقد أثنى الله على مَن أرشد عباده إليه في مواطن عديدة؛ منها قوله سبحانه: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[٥٧٣]، قال الشيخ عطية سالم عند ذكره لهذه الآية:[**ثم ذكر الله الدرجة العليا للدعاة إلى الله، وهم كل من استقام على دين الله، ولم تشغله نفسه عن إخوانه، بل تفرغ لهذا الصراط، يدعو من حاد عنه يمينا أو يسارا، فقال سبحانه:** ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾، **لا أحد أحسن قولا منه**][٥٧٤]، والإرشاد والدلالة والدعوة إلى الله تكون بكل ما هو خير للمدعو من الأمور النافعة الكثيرة في دين الله تعالى، قال ابن حجر

---

[٥٧٢]) صحيح الجامع ٧٩٦٩.

[٥٧٣]) سورة فصلت، الآية: ٢.

[٥٧٤]) شرح الأربعين النووية لعطية سالم ٤٧/ ١٠.

عند ذكر الآية السابقة: [**والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى، من جملتها تعليم القرآن؛ وهو أشرف الجميع**][٥٧٥].

٢/ قيام المسلم بأيّ عمل صالح هو بعون من الله تعالى وتيسير منه، فالإنسان ضعيف وعاجز، فقير إلى ربه عز وجل، محتاج إلى عونه وتوفيقه، لذلك كانت مشيئة محدودة؛ ومشيئة الله سبحانه مطلقة فوق كل مشيئة، وقدرته فوق كل قدرة، قال عز وجل: ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[٥٧٦]، وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ**﴾ [٥٧٧]، قال أبو عمر بن عبد البر: [**ليس لأحد مشيئة تنفُذُ إلا أن تتقدمها مشيئة الله تعالى، وإنما يجري الخلقُ فيما قد سبق من علم الله... وقد تظاهرت الآثار وتواترت الأخبار فيه عن السلف الأخيار، الطيبين الأبرار، وبالاستسلام والانقياد والإقرار، بأن علم الله سابق، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[٥٧٨]][٥٧٩]، فلزم على المسلم بذلك أن يلجأ إلى ربه، ويستعين به على طاعته، في كل أعماله وفي سائر أوقاته، ولايركن إلى نفسه وقدرته، بل يقول منادياً ربَّه كما يدعوه في كل صلاة: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[٥٨٠].

٣/ ما أسهل كثيرٍ من الأعمال الصالحة، وما أكثر مَن حُرِم من فعلها وصرف عنها، ومن ذلك ذِكْرُ اللهِ تعالى المطلق منه أو المقيَّد، عبادة خفيفة على اللسان، لا كُلْفَة لفعلها، ولا صعوبة في أداءها، مع ذلك يُحرَم من فِعْلِها الكثير من الناس، وهذا يدل على أن الأمر لا يقاس بالسهولة والصعوبة، ولا بالكثرة والقلة، وإنما بالعون والتيسير والتوفيق من الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿ **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**﴾[٥٨١]، فالأمر يتعلق بما سهَّله الله للعبد ويسَّره؛ حين علمَ

---

[٥٧٥]) فتح الباري ٩/ ٧٦.
[٥٧٦]) سورة التكوير، الآية: ٢٩.
[٥٧٧]) سورة الكهف، الآية: ٢٣.
[٥٧٨]) سورة فصلت، الآية: ٤٦.
[٥٧٩]) التمهيد لابن عبد البر ٤/ ١٩.
[٥٨٠]) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
[٥٨١]) سورة الليل، الآية: ٧.

أنه أهل لذلك الخير، فَوفَّقه لفعله، وأتمَّه له، قال الإمام الشافعي: [**هدى الله تعالى بكتابه ثم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من أنعم عليه، يعني من أنعم عليه بالسعادة والتوفيق للطاعة دون من حُرمها، فبين بهذا أن الدعوة عامَّة، والهداية التي هي: التوفيق للطاعة والعصمة عن المعصية خاصَّة، كما قال الله عز وجل: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**[٥٨٢]][٥٨٣].

٤/ من أعظم وأفضل وأهَمّ ما يدعو به الإنسانُ ربَّه سبحانه أن يوفِّقه ويعينه على طاعته، وصلاح أمر دينه، ومن ذلك الدعاء بما ورد في لفظ الحديث الجامع السابق: " **اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ**"[٥٨٤]، فحين يَصْلُح الأمر فيما بين الإنسان وربه سبحانه؛ فإن الله يُصْلِحُ لعبده ما بينه وبين خلقه، بل يُصْلِحُ كل أمْر دنياه وآخرته، وقد كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ في دعائه:" **اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي دِينِي الذي هو عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ الَّتي فِيهَا معاشِي، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتِي الَّتي فِيهَا معادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لي في كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لي مِن كُلِّ شَرٍّ**"[٥٨٥]، قال ابن هبيرة بعد ذكر هذا الدعاء النبوي العظيم: [**بدأ بالأهم وهو الدِّين، ثم وصَفَه بأنه عصمة الأمر في الدنيا من الهلكة، وفي الآخرة من النار**][٥٨٦]، فحَرِيٌّ بالمؤمن المسارعة والمسابقة في صلاح أمر دينه؛ لِيَنَال بذلك مغفرة الله وفضله الذي أعدَّه لعبادة المتقين، مستعينا به سبحانه على ذلك، قال الله عز وجل: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٥٨٧]، وأن يكون مُكْثِراً من الدعاء بالتوفيق والعون والتيسير الموصل إلى صلاح أمر دينه، ومجتهدا في أعمال الطاعة بأنواعها المختلفة؛ القولية منها والفعلية، وما يتعلق بالقلب وما يخص الجوارح، مع حرصه على حفظ عمله من كل ما يشوبه من المفسدات، ثم يسأل الله

---

[٥٨٢]) سورة يونس، الآية: ٢٥.

[٥٨٣]) تفسير الإمام الشافعي ٢/ ٩٦٨.

[٥٨٤]) صحيح الجامع ٧٩٦٩

[٥٨٥]) صحيح مسلم ٢٧٢٠.

[٥٨٦]) الإفصاح عن معاني الصحاح ٨/ ٨١.

[٥٨٧]) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

القبول بعد كل عمل طاعة، ويُكْثِر من الاستغفار في كل وقت وحين، خاصَّة الأوقات التي ورد في فضلها نص قرآني أو نبوي، كوقت السَّحَر وبعد الصلوات، وغير ذلك من الأوقات الفاضلة، ويكون ذلك دَيْدَنُه حتى يأتيه الموت، كما قال ربنا سبحانه: ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾[٥٨٨]، قال الطبري في تفسير هذه الآية: [**يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: واعبد ربك حتى يأتيك الموت، الذي هو مُوقَن به**][٥٨٩].

اللهمَّ أعنِّا على ذكْرك وشُكْرك وحُسْن عبَادَتك، وأصْلح لنَا ديْننا الذي هو عِصْمَة أمْرنا.

***

[٥٨٨]) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

[٥٨٩]) تفسير الطبري ١٤/ ١٥٤.

المجلس (الرَّابع والثَّلاثون)

فضل كلمة التوحيد، والثبات على الحق

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **المُسْلِمُ إذا سُئِلَ في القَبْرِ، يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، فَذلكَ قَوْلُهُ: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾**[590] "[591].

الفوائد:

١/ النطق بالشهادتين في الأذان والإقامة والصلاة وغير ذلك من الأحوال والمواطن تأكيد لحقِّ الله وحقِّ رسوله صلى الله عليه وسلم، وتجديد لإيمان العبد بخالقه سبحانه، وإرضاء لربه بهذه الطاعة التي هي اعتراف بوحدانيته وربوبيته وألوهيته، وإنكار لما يُعْبَدُ مِن دونه، واعتراف بصدق رسالة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وفي نطقهما ترويح عن نفس المسلم، واطمئنان لقلبه بذلك التسليم والاستسلام والانقياد، ثم نَيْل الفضل المترتب على ذلك في الآخرة، كما قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: " **مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ**"[592]، وقال عليه الصلاة والسلام: " **أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، و أنِّي رسولُ اللهِ، لا يلْقَى اللهَ بِهِما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فِيهِما إلَّا دخَلَ الجنةَ**"[593]، قال ابن هبيرة بعد ذكر مناسبة هذا الحديث: [**وفيه أيضا دليل على أنه يستحب تجديد الشهادة عند تجديد كل نعمة أو ظهور آية؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن على شك من**

[590]) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.
[591]) صحيح البخاري ٤٦٩٩، صحيح مسلم ٢٩.
[592]) صحيح مسلم ٢٩.
[593]) صحيح مسلم ٢٧.

أنه لا إله إلا الله وأنه رسول الله؛ لأنه شهد بالوحدانية ولنفسه بالرسالة عند تجدد هذه النعمة][٥٩٤].

٢/ الثبات على الحق كرامة الله لعباده الذين اجتهدوا في طاعته، وصبروا وصابروا حتى فارقت أرواحُهم أجسادَهم، فهو نتيجة وثمرة لما قدَّموا من أعمال صالحة، ومجاهدة للنفس على فعل الطاعة واجتناب المعصية، وصبر في الدنيا على مِحَنِهَا وابتلاءاتها وشدائدها، فاستحقوا بذلك تكريم الله تعالى وتثبيته لهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، كما قال سبحانه: ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾[٥٩٥]، قال السمرقندي:[**ويكون التثبيت في ثلاثة أحوال لمن كان مؤمنا مخلصا مطيعا لله تعالى، أحدهما: في حال معاينة ملك الموت، والثاني في حال سؤال منكر ونكير، والثالث: في حال سؤاله عند المحاسبة يوم القيامة**][٥٩٦].

٣/ لا يملك المرء من أمره شيئا، ولا يقدر على جلب أمر له إلا بإذن الله تعالى، فكلُّ فضلٍ وخيرٍ مِن أمْر الدنيا والآخرة بيد الله سبحانه، قال عز وجل: ﴿ **وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[٥٩٧]، فلا ينال أحدٌ شيئاً إلا بإذن الله تعالى وتوفيقه وتيسيره، فهو مالك الملك، وأمور الخلق كلها بيده، قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ**﴾[٥٩٨]، وكل نعمة فهي منه سبحانه، سواء الدينية منها أو الدنيوية، قال عز وجل: ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾[٥٩٩]، قال القشيري في تفسير هذه الآية: [**النّعمة ما يقرّب العبد من الحق، فأمّا ما لا يوجب النسيان والطغيان، والغفلة والعصيان فأولى أن يكون محبة، ويقال ما للعبد فيه نفع، أو يحصل به للشر منع؛ فهو على أصح القولين نعمة، سواء كان دينيا أو دنيويا، فالعبد مأمور بالشكر على كل حال، وأكثر الناس**

---

[٥٩٤]) الإفصاح عن معاني الصحاح ٨/ ٥٨.

[٥٩٥]) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

[٥٩٦]) تنبيه الغافلين للسمرقندي ٥٢.

[٥٩٧]) سورة الحديد، الآية: ٢٩.

[٥٩٨]) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

[٥٩٩]) سورة النحل، الآية: ٥٣.

يشكرون على نعم الإحسان، ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾[٦٠٠]، على كل حال][٦٠١]، وقال الرازي: **[إِنَّ النِّعْمَةَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: أَحَدُهَا: نِعْمَةٌ تَفَرَّدَ لله بِإِيجَادِهَا، نَحْوَ أَنْ خَلَقَ وَرَزَقَ، وَثَانِيهَا: نِعْمَةٌ وَصَلَتْ مِنْ جِهَةِ غَيْرِ اللَّهِ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ، وَفِي الْحَقِيقَةِ فَهِيَ أَيْضًا إِنَّمَا وَصَلَتْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ لِتِلْكَ النِّعْمَةِ، وَالْخَالِقُ لِذَلِكَ الْمُنْعِمِ، وَالْخَالِقُ لِدَاعِيَةِ الْإِنْعَامِ بِتِلْكَ النِّعْمَةِ فِي قَلْبِ ذَلِكَ الْمُنْعِمِ، إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَجْرَى تِلْكَ النِّعْمَةَ عَلَى يَدِ ذَلِكَ الْعَبْدِ كَانَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَشْكُورًا، وَلَكِنَّ الْمَشْكُورَ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾[٦٠٢]، فَبَدَأَ بِنَفْسِهِ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ إِنْعَامَ الْخَلْقِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِإِنْعَامِ اللَّهِ، وَثَالِثُهَا: نِعَمٌ وَصَلَتْ مِنَ اللَّهِ إِلَيْنَا بِسَبَبِ طَاعَتِنَا، وَهِيَ أَيْضًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وفقنا للطاعات وَأَعَانَنَا عَلَيْهَا وَهَدَانَا إِلَيْهَا وَأَزَاحَ الْأَعْذَارَ عَنَّا وَإِلَّا لَمَا وَصَلْنَا إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا، فَظَهَرَ بِهَذَا التَّقْرِيرِ أَنَّ جَمِيعَ النِّعَمِ فِي الْحَقِيقَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى]**[٦٠٣]، وعلى ذلك فإن من أعظم نِعَم الله تعالى نعمة الهداية، فهي منه عز وجل؛ وبيده التوفيق إلى الطاعة، والثبات عليها، ثم دخول الجنة؛ فضلا منه ورحمة؛ وقد قال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام يوماً لأصحابه: " **لَنْ يُدْخِلَ أحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ**، قالوا: ولا أنْتَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ **قالَ: لا، ولا أنا، إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بفَضْلٍ ورَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وقارِبُوا، ولا يَتَمَنَّيَنَّ أحَدُكُمُ المَوْتَ: إمَّا مُحْسِنًا، فَلَعَلَّهُ أنْ يَزْدادَ خَيْرًا، وإمَّا مُسِيئًا، فَلَعَلَّهُ أنْ يَسْتَعْتِبَ**"[٦٠٤].

اللهُمَّ يا مقلِّب القلُوب ثبِّت قلُوبنا على ديْنك.

***

[٦٠٠]) سورة سبأ، الآية: ١٣.

[٦٠١]) لطائف الإشارات ٢/ ٣٠١.

[٦٠٢]) سورة لقمان، الآية: ١٤.

[٦٠٣]) تفسير الرازي ١/ ٢٢٠

[٦٠٤]) صحيح البخاري ٥٦٧٣، صحيح مسلم ٢٨١٦.

المجلس (الخامس والثَّلاثون)

الحث على عمل الآخرة

عن أنس رضي الله عنه أنَّ النَّبي رسولُ الله صلَّى الله عليْه وسلَّم قال:

" **اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ**"[٦٠٥].

الفوائد:

١/ العيش بحقيقته؛ الموصوف بكمال صفاته؛ هو عيش الآخرة؛ أما عيش الدُّنيا فهو عيش قليل مؤقَّت مليء بالمنغِّصات، قال أبو حامد الغزالي عند ذكر الحديث السابق: [**ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" لا عيش إلا عيش الآخرة" وقال ذلك في الشدة تسلية النفس، وذلك في وقت حفر الخندق في شدة الضر، وقال ذلك مرة في السرور، منعا للنفس من الركون إلى سرور الدنيا، وذلك عند إحداق الناس به في حجة الوداع**][٦٠٦]، ويؤكد هذا الكلام قول الله تعالى: ﴿ **قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى**﴾[٦٠٧]، وقوله سبحانه: ﴿ **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ، وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[٦٠٨]، وقوله عز وجل: ﴿ **وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى**﴾[٦٠٩]، وقال نبيُّنا عليه الصَّلاة والسَّلام: " **واللهِ ما الدُّنيا في الآخرةِ إلا مثلَ ما يجعلُ أحدُكم إصبعَه في اليمِّ ، فلينظر بم يرجعُ**"[٦١٠]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: " **لو كانتِ الدُّنيا تعدلُ عندَ اللهِ**

---

[٦٠٥]) صحيح البخاري ٦٤١٣، صحيح مسلم ١٨٠٥.

[٦٠٦]) إحياء علوم الدين ٤/ ١٠٣.

[٦٠٧]) سورة النساء، الآية:٧٧.

[٦٠٨]) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

[٦٠٩]) سورة الضحى، الآية: ٤.

[٦١٠]) صحيح مسلم ٢٨٥٨.

جناحَ بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها شربةَ ماءٍ"[٦١١]، قال الشيرازي: [**يعني: لو كان للدنيا وقعٌ وقَدْرٌ عند الله بقدر جناح بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها شربة؛ لأن الكافر عدو، ولا يُعطى العدو إلا من الشيء الخسيس الذي لا يلتفت إليه من حقارته**][٦١٢]، وقال القاهري: [**وحسبك بها هوانا أن الله تعالى قد صغرها، وحقرها، وذمّها، وأبغضها، وأبغض أهلها ومحبيها، ولم يرض لعاقل فيها إلا بالتزود منها، والتأهب للارتحال عنها**][٦١٣]، فمتاع الآخرة كثير ومتاع الدُّنيا قليل، ومتاع الآخرة دائم ومتاع الدُّنيا منقطع، ومتاع الآخرة لا يصاحبه كدٌّ ولا نكَد ومتاع الدُّنيا يشوبه الكدُّ والنَّكد والتَّعب، ومتاع الآخرة لا يصاحبه همٌّ ولا غمٌّ ومتاع الدُّنيا تلازمه الهموم والغموم بأنواعها، ومتاع الآخرة لا يعتري صاحبه مرضٌ ولا وجعٌ ومتاع الدُّنيا تُلازم صاحبه الأمراض والأوجاع والأسقام بأنواعها، فالنُّصوص السابقة وغيرها ممَّا لم يذكر هنا تُزهِّد في أمر الدُّنيا، وتحُثُّ على عدم التَّعلُّق بها، وعلى الاقبال على الآخرة، والاجتهاد في طاعة الله ورسوله صلَّى الله عليه وسلَّم، التي هي سبب لنيل كل نعيم في الدنيا بالحياة الطيبة، الموصوفة بكمال الصفات؛ من السعادة والطمأنينة وراحة البال وحسن الظن بالله تعالى، والآخرة بما وعد الله به المؤمنين من النعيم المقيم الدائم الأبدي، الذي لا يعلم قَدْره وكيفيته إلا الله تعالى.

٢/ التَّزهيد في أمر الدُّنيا بعدم العمل لها، أو التَّواكل وعدم السَّعي فيها، أمر مذموم ومخالف لهدي الإسلام، فحياة الخلق لا تقوم إلا بالحركة والعمل والجدِّ والاجتهاد في جلب الأرزاق، بل هو نوع من العبادة التي يتقرب بها العبد إلى ربِّه سبحانه، لأنَّه سعيٌ لجلب رزقه ونفع خلقه، وقد ورد في حديث كَعْبِ بْنِ عُجْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – رَجُلٌ فرأى أَصْحَابَ رَسُوْلِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ فَقَالُوا : يَا رَسُوْلَ اللهِ! لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " **إِنْ كَانَ خَرَجَ يِسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَاراً فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعفَّهَا فَهُوَ فِي**

---

[٦١١]) السلسلة الصحيحة ٩٤٣.

[٦١٢]) المفاتيح في شرح المصابيح ٥/ ٢٨٣.

[٦١٣]) فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب ١٢/ ٦٨٣.

سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ"[٦١٤]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام في الحثّ على العمل من أجل كسب الرِّزق: " **ما أكلَ أحدٌ طعامًا قطُّ، خيرًا من أنْ يأكلَ من عمَلِ يدِهِ وإنَّ نبيَّ اللهِ داودَ كان يأكلُ من عمَلِ يدِهِ**"[٦١٥]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام في فضيلة اجتماع المال مع الصلاح: " **نِعْمَ المالُ الصَّالحُ للمَرءِ الصَّالحِ**"[٦١٦]، قال الشيرازي: [**ومَن أدى حقوق المال، ولا يحتقر الناس، ولا يفخر عليهم، ولا يشتغل بجمع المال بحيث تفوت عنه طاعةٌ، ويُحسن إلى الناس، فمالُه خيرٌ له، كما قال – صلى الله عليه وسلم –: "نعم المال الصالح للرجل الصالح"، فإذا عرفت هذا؛ فقد عرفت أن الخير والشر لا يحصلان للرجل من عين المال، بل نفسُ الرجل هي التي تصرف المال فيما فيه خير له، أو فيما فيه شرٌّ له**][٦١٧]، وقال القاهري: [**وهو الذي يأخذه بحقه ويضع في حقه، فهذا يوصله ماله إلى الله تعالى، فمن أخذ من المال بحق ما يقويه على طاعة الله تعالى ويستعين به عليها كان أخذه طاعة ونفقته طاعة، فما أخذ من الدنيا بنية التقوي على طلب الآخرة فهو داخل في قسم إرادة الآخرة والسعي لها في إرادة الدنيا والسعي لها، قال بعض العارفين: كل ما أصبت من الدنيا ما تريد به الدنيا فهو مذموم، وكل ما أصبت منها تريد به الآخرة فليس من الدنيا**][٦١٨].

٣/ أن يكون الهمّ الأكبر لدى المسلم هو الآخرة، ويكون اعتقاده بأنَّ الدُّنيا رحلة عابرة، وتُتَّخذ مَمَراً لا مَقَرَّاً، وتكون وسيلة لعمل الآخرة، فتلك حقيقة الانتفاع بالنُّصوص القرآنيَّة والنَّبويَّة التي وردت في التَّزهيد في أمر الدُّنيا التي سبق ذكرها وغيرها، قال المحاسبي: [**وأطيب العيش القناعة، والعلم خشية الله؛ وهي إيثار الآخرة على الدنيا، ومعرفة الطريق إلى الله**][٦١٩]، ومن ذلك قول الله تعالى حكاية عن قارون الذي هو من قوم موسى: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ،**

---

[٦١٤]) صحيح الترغيب ١٦٩٢.

[٦١٥]) صحيح البخاري ٢٠٧٢.

[٦١٦]) صحيح الأدب المفرد ٢٢٩.

[٦١٧]) المفاتيح في شرح المصابيح ٥/ ٢٧٨.

[٦١٨]) فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب ١٢/ ٥٥٨.

[٦١٩]) آداب النفوس للمحاسبي١٥٣.

وَلَا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ، إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ﴾[٦٢٠]، وقد جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّه قال: " أخَذَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بمَنْكِبِي، فَقَالَ: " **كُنْ في الدُّنْيَا كَأنَّكَ غَرِيبٌ أوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**"، وكانَ ابنُ عُمَرَ يقولُ: [**إذَا أمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وإذَا أصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**][٦٢١]، قال ابن بطال بعد ذكر هذا الحديث: [**وهذا يدل على إيثار الزهد في الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف، فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره، فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل**][٦٢٢].

اللهُمَّ أصْلِح لنَا دِيْنَنا الذي هُو عِصْمَة أمْرِنا، وأصْلِح لنَا دُنْيَانَا التي فيْهَا مَعَاشنَا، وأصْلِح لنَا آخِرَتنَا التي إليْها معَادُنا، واجْعَل الحَيَاة زِيَادَة لنَا في كُلِّ خَيْر، واجْعل المَوْتَ راحَةً لنَا مِنْ كُلِّ شَرّ.

***

[٦٢٠]) سورة القصص، الآية: ٧٧.

[٦٢١]) صحيح البخاري ٦٤١٦.

[٦٢٢]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/ ١٤٨.

المجلس (السَّادس والثَّلاثون)

الغِنَى غِنَى النَّفس

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" **ليسَ الغنى عن كثرةِ العَرَضِ ولَكنَّ الغِنى غنى النَّفسِ**"[٦٢٣].

فوائد:

١/ جَمْعُ الإنسَان لمتاع الدُّنيا والتَّزوُّد منْه أمر مشروْع لا حَرَج فيه، بل صاحبه ممدوح بفعله ذلك، فالإسلام يأمر بالسَّعي والحركة في الأرض لجلب الرزق والمنافع؛ والتَّوكل على الله لتحقيق ذلك، قال الله تعالى: ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ**﴾[٦٢٤]، وقال سبحانه: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾[٦٢٥]، وقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: " **لَوْ أنَّكم كنتُم توَكلونَ علَى اللهِ حقَّ توَكلِه لرزقتُم كما يرزقُ الطَّيرُ؛ تغدو خماصًا وتروحُ بطانًا**"[٦٢٦]، قال المنذري: [**الأسوة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في اختيار العمل وإيجاد حرفة**][٦٢٧]، قال السلمان: [**ومن محاسن الدين الإسلامي الحث على العمل، وكسب الرزق، وترك الكسل، وسؤال الناس إلا عند الضرورة، فالإسلام دين سعي وعمل واجتهاد، لا دين كسل وعجز وتوان، دين يحافظ على العزة الإنسانية، والكرامة الشخصية، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ**

[٦٢٣]) صحيح البخاري ٦٤٤٦، صحيح مسلم ١٠٥١.
[٦٢٤]) سورة الجمعة، الآية:١٠.
[٦٢٥]) سورة تبارك، الآية: ١٥.
[٦٢٦]) صحيح الترمذي ٢٣٤٤.
[٦٢٧]) الترغيب والترهيب ٢/ ٥٢٥.

تَعْمَلُونَ﴾[٦٢٨]، وقال: ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ** ﴾[٦٢٩]، **ويحث على الجمع بين العمل للدين والدنيا، فيقول جل وعلا:** ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾[٦٣٠] **ويقول:** ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾[٦٣١]][٦٣٢].

٢/ لقد رغَّب النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم أصحابه في أمر السعي في الأرض وحثَّهم عليه؛ لكنه غَرَس في قلوبهم غِنَى النَّفس والرِّضى والقناعة بما كتَبَ الله لهم ويسَّر لهم من الأرزاق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **انْظُرُوا إِلَى مَنْ هو أَسفَل مِنْكُمْ وَلا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوقَكُم؛ فهُوَ أَجْدَرُ أَن لا تَزْدَرُوا نعمةَ اللَّه عَلَيْكُمْ**"[٦٣٣]، وجاء في وصية النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم لأبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: " **يا أبا هريرةَ! كُنْ وَرِعًا تَكُنْ من أَعْبَدِ الناسِ، وارْضَ بما قسم اللهُ لكَ تَكُن من أَغْنَى الناسِ، وأَحِبَّ للمسلمينَ والمؤمنينَ ما تُحِبُّ لنفسِكَ وأهلِ بيتِكَ، واكْرَهْ لهم ما تَكْرَهُ لنفسِكَ وأهلِ بيتِكَ تَكُنْ مؤمنًا، وجاوِرْ مَن جاوَرْتَ بإحسانٍ تَكُنْ مُسْلِمًا، وإياكَ وكثرةَ الضَّحِكِ؛ فإنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ فسادُ القلبِ**"[٦٣٤]، فالقناعة والرضى مبدأ عظيم جليل القَدْر،؛ لا يُجِيْدُه إلا من أكرمه الله ووفَّقه؛ وكتب له بذلك الفلاح، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **قَدْ أَفْلَحَ مَن أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بما آتَاهُ**"[٦٣٥]، قال ابن المقفع: [**أصل الورع القناعة**][٦٣٦]، وقال المحاسبي: [**وأطيب العيش القناعة**][٦٣٧]، وقال أبو حاتم الدارمي: [**ولو لم**

---

[٦٢٨]) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.
[٦٢٩]) سورة النجم، الآية: ٣٩-٤٠.
[٦٣٠]) سورة القصص، الآية: ٧٧.
[٦٣١]) سورة الجمعة، الآية: ١٠.
[٦٣٢]) موارد الظمآن لدروس الزمان ٦/ ٤٠٣.
[٦٣٣]) صحيح مسلم ٢٩٦٣.
[٦٣٤]) صحيح الجامع ٧٨٣٣.
[٦٣٥]) صحيح مسلم ١٩٥٤.
[٦٣٦]) الأدب الصغير والأدب الكبير ٤٥.
[٦٣٧]) آداب النفوس ١٥٣.

يكن في القناعة خصلة تحمد إلا الراحة؛ وعدم الدخول في مواضع السوء لطلب الفضل؛ لكان الواجب على العاقل ألا يفارق القناعة على حالة من الأحوال، والقناعة تكون بالقلب؛ فمن غني قلبه غنيت يداه، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه]. [٦٣٨]

٣/ وإنما المذموم هو الحرْص الذي تنهزم أمامه نفسُ المرء؛ فيُقدِّم هواه على رضى ربه، ويحرص على كسْب متاع الدُّنيا دون النَّظر إلى مشروعية كَسْبه، ولا كيفية جمْعه، ولا طريقة التعامل معه، وقد يكون هذا حاله على الدَّوام، مع أنه قد يملك الكثير من متاع الدنيا، وربما فاق كثيراً من أهل زمانه، لكنه لم يكن غنياً بكثرة غَرَضِه ذلك؛ بل هو فقير النفس به؛ تَمَكّن حرصه من قلبه حتى صار مُنْقَاداً لرغباته، متَّبِعاً لشهواته، عبدا لمشتهاه، لا يهُمُّه سوى جمع المزيد على أي حال، قال القشيري: [**سمعت الأستاذ أبا علي الداق يقول: أنت عند من أنت في رِقِّه وأسْرِه، فإن كنت في أسْرِ نفسك فأنت عبد نفسك، وإن كنت عبد دنياك فأنت عبد دنياك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تَعِسَ عبدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وإذَا شِيكَ فلا انْتَقَشَ"**[٦٣٩]] [٦٤٠]، وقال أبو حامد الغزالي بعد ذكر هذا الحديث:[**فبين أن محبهما عابد لهما، ومن عبد حجرا فهو عابد صنم، بل كان من كان عبدا لغير الله فهو عابد صنم، أي قَطَعَهُ عن اللهِ تعالى، وعن أداء حقِّه، فهو كعابد صنم، وهو شِرْك؛ إلا أن الشرك شركان: شرك خفي لا يوجب الخلود في النار؛ وقلَّما ينْفَكَ عنه المؤمنون، فإنه أخفى من دبيب النمل، وشرك جلي يوجب الخلود في النار، نعوذ بالله من الجميع**][٦٤١].

اللهُمَّ اكْفِنَا بحَلالِك عنْ حَرامِك، وأَغْنِنا بفَضْلِك عَمَّن سُواك.

***

[٦٣٨]) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ١٥٠- ١٥١.

[٦٣٩]) صحيح البخاري ٢٨٨٧.

[٦٤٠]) الرسالة القشيرية ٢/ ٣٤٨.

[٦٤١]) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٣٥.

المجلس (السَّابع والثَّلاثون)

نقل الكلام دوْن تثَبُّت

عن أبي هريرة رضي اللهُ عنْه أن النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال:

" **بحَسْبِ المَرْءِ مِنَ الكَذِبِ أنْ يُحَدِّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ** "[٦٤٢].

الفوائد:

١/ النَّاقل لكلِّ ما يسْمَع لا يَسْلَم من الوقوع في الخطأ؛ أو العجَلة التي يعْقُبها النَّدم، فما كلّ ما يُقال يصحّ نقله، وما كلّ سامع لما سَمِع يصحّ فهمه، فربَّما نقَل المرءُ كلاماً على غير حقيقته، أو نَقَله في غير أوَانِه، أو في غير الموْطِن المناسِب له، أو نقَلَه لمن ليس أهلاً لسَمَاعه، وربّما فهِم السَّامع من صاحب الكلام الأول كلاماً على غير ما يُراد، أو عكس ما يراد، أو قد يزيد فيقول أكثر ممَّا سمع، وأمر ثان وهو التنبيه على أنه ليس كل ما يسمعه الشخص يصح نقله، ويستثنى من ذلك ما كان واجبا؛ وغلب على ظن السامع أن في نقله المصلحة، فقد يكون النقل ضارا على الناقل للكلام أو المنقول عنه أو المنقول له، وأمر ثالث وهو أن على السامع الذي يريد نقل ما سمع أن ينقله دون زيادة ولا نقصان، ليصل للمَعْنِيّ به كما أراده المتكلم الأول، فلعل الذي يصله الكلام أوعى من السامع، وأعني بالسامع الذي سمع الكلام من قائله فلم يعي ذلك الكلام كما وعاه المنقول له، وفي مثل هذا أشار النبي عليه الصَّلاة والسَّلام بقوله: " **فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**"[٦٤٣]، قال ابن حجر: [**والمراد ربَّ مُبلَّغ عنِّي أوعى أي أفْهَمُ لما أقول من سَامِع منِّي**][٦٤٤]، ولهذا فالناقل الجيد هو الذي ينقل الكلام كما سمع، دون زيادة ولا نقصان.

---

[٦٤٢]) صحيح مسلم ٥.

[٦٤٣]) صحيح البخاري ١٧٤١.

[٦٤٤]) فتح الباري لابن حجر ١/ ١٥٨.

٢/ جاء المنهج القرآني بالحثّ على التثبّت والتَّحري وعدم العجلة في الأمر، والتنبيه على أهمية التأنِّي في تعامل الناس مع بعضهم، وهو أمر ذو شأن لا يجهل عاقل سليم الفطرة ذلك، قال الله تعالى في الحث على التثبت من الكلام المسموع: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾[٦٤٥]، كما ورد التأكيد على نبذ القول الذي يؤول إلى الضرر وقلة النفع، فقد جاء في حديث المغيرة بن شعبة أن النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: " **وكَرِهَ لَكُمْ قيلَ وقالَ**"[٦٤٦]، وقال عليه الصلاة والسلام: [**مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ**][٦٤٧]، قال ابن بطال: [**يعني من كان يؤمن بالله واليوم الآخر الإيمان التام فإنه ستبعثه قوة إيمانه على محاسبة نفسه في الدنيا، والصمت عما يعود عليه ندامة يوم القيامة**][٦٤٨].

٣/ كما ذمّ القرآن الذين يتسرَّعون في نشر وإذاعة ما يصلهم من الأخبار دون التثبُّت منها؛ أو التَّحري من صحَّتها، وإحالة الأمر لمن هو أعلم وأقْدَر على فهمه واستيعابه، والأخذ بالتَّصرف الأنسب له، سواء كان ظاهر ما يصلهم خيراً أو شراً، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[٦٤٩] سورة النساء ٨٣، وعن أبي قلابة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : " **بئسَ مطيَّةُ الرَّجلِ زعموا**"[٦٥٠]، أي ينقل عن الناس دون التحقق والتثبت من ذلك، قال البستي: [**أصل هذا أن الرجل إذا أراد الظعن في حاجة؛ والمسير إلى بلد؛ ركب مطيته وسار حتى يبلغ حاجته، فشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما يقدمه الرجل أمام كلامه ويتوصل به إلى حاجته من قولهم زعموا بالمطية التي يتوصل بها إلى الموضع**

[٦٤٥]) سورة الحجرات، الآية: ٦.
[٦٤٦]) صحيح البخاري ١٤٧٧، صحيح مسلم ٥٩٣.
[٦٤٧]) صحيح البخاري ٦١٣٤.
[٦٤٨]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/ ١٨٥.
[٦٤٩]) سورة النساء، الآية: ٨٣.
[٦٥٠]) صحيح أبي داوود ٤٩٧٢.

الذي يؤمُّه ويقصده، وإنما يقال زعموا في حديث لا سند له ولا ثبت فيه، وإنما هو شيء يحكى عن الألسن على سبيل البلاغ، فذم صلى الله عليه وسلم من الحديث ما كان هذا سبيله، وأمر بالثبت فيه والتوثق لما يحكيه من ذلك، فلا يرويه حتى يكون معزياً إلى ثبت ومروياً عن ثقة، وقد قيل الراوية أحد الكاذبين][٦٥١].

٤/ من نقَلَ مالا ينبغي فقد أسَاء إلى المنْقُول عنْه، والنَّاقل إليه، وإلى نفسه أولاً؛ فربَّما تحدَّث في أمرٍ كان السُّكوت عنه أولى؛ عند الله وعند خلقه، وقد يقلِّده فيه آخرون فيحمل وِزْرَ الجميع، وقد قال نبيُّنا محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم: " **مَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَن عَمِلَ بهَا بَعْدَهُ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شَيءٌ، وَمَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كانَ عليه وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَن عَمِلَ بهَا مِن بَعْدِهِ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ**"[٦٥٢]، قال القاضي عياض في شرحه لهذا الحديث: [**في هذا الأخذ بالمآل والسبب؛ لمَّا كان هو سببها واقتدى فاعلها به في خيره أو شره كتب له مثل أجر العامل بذلك أو وزره، وإن لم يكن له في ذلك عمل، كما جاء في خبر ابن آدم القاتل لأخيه أن عليه كفلاً من كل نفس قتلت، " لأنه أول مَنْ سن القتل"**[٦٥٣]، **وقد يكون له نية في أن يعمل بها مَن بعده؛ فيكون بهذا جزاؤه على نيته أو وزره]**[٦٥٤]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: " **مَن دَعا إلى هُدًى، كانَ له مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن أُجُورِهِمْ شيئًا، ومَن دَعا إلى ضَلالَةٍ، كانَ عليه مِنَ الإثْمِ مِثْلُ آثامِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن آثامِهِمْ شيئًا**"[٦٥٥]، قال البيضاوي: [**أفعال العباد وإن كانت غير موجبة ولا مقتضية للثواب والعقاب بذواتها، إلا أنه تعالى أجرى عادته يربط الثواب والعقاب بها ارتباط المسببات بالأسباب، وفعل العبد: ما له تأثير في صدوره بوجه، فكما يترتب الثواب والعقاب على ما يباشره ويزاوله يترتب كل منهما على ما هو سبب من فعله؛ كالإرشاد**

---

[٦٥١]) معالم السنن ٤/ ١٣٠.

[٦٥٢]) صحيح مسلم ١٠١٧.

[٦٥٣]) صحيح البخاري ٣٣٣٥، صحيح مسلم ١٦٧٧.

[٦٥٤]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/ ١٧١.

[٦٥٥]) صحيح مسلم ٢٦٧٤.

إليه والحث عليه، ولما كانت الجهة التي بها استوجب المسبب الأجر والجزاء غير الجهة التي استوجب بها المباشر لم ينقص أجره من أجره شيئا][٦٥٦].

٥/ وأشدُّ ممن سَبَق هو الذي يختَلِق الكَذب لأيِّ غَرَض من الأغراض ثم ينْشره بين النَّاس، أو يقول ما ليس له به علم في أيّ أمر من الأمور، مع عِلْمِه بأنَّه كاذب فيما يقول، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[٦٥٧]، وقال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: " **إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن رِضْوانِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بها دَرَجاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَهْوِي بها في جَهَنَّمَ**"[٦٥٨]، ومِن أنواع افتراءه الكذب التَّحدُّث مع النَّاس بالكلام المختلق منه أو من غيره، بغرض إضحاكهم أو تسليتهم، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: " **ويلٌ للذي يحدِّثُ بالحديثِ ليُضحكَ به القومَ فيكذبُ ويلٌ له ويلٌ له** "[٦٥٩]، قال الصنعاني: [**الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ الْكَذِبِ لِإِضْحَاكِ الْقَوْمِ، وَهَذَا تَحْرِيمٌ خَاصٌّ، وَيُحَرَّمُ عَلَى السَّامِعِينَ سَمَاعُهُ إذَا عَلِمُوهُ كَذِبًا؛ لِأَنَّهُ إقْرَارٌ عَلَى الْمُنْكَرِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِمْ النَّكِيرُ أَوْ الْقِيَامُ مِنْ الْمَوْقِفِ، وَقَدْ عُدَّ الْكَذِبُ مِنْ الْكَبَائِرِ، قَالَ الرُّوَيَانِيُّ مِنْ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّهُ كَبِيرَةٌ، وَمَنْ كَذِبَ قَصْدًا رُدَّتْ شَهَادَتُهُ، وَإِنْ لَمْ يَضُرَّ بِالْغَيْرِ؛ لِأَنَّ الْكَذِبَ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ**][٦٦٠].

اللهُمَّ اجْعَلنا مع الصَّادقين، واهْدِنا لأَحْسَن الأفْعَال والأقْوَال، لا يَهْدِي لأَحْسَنْها إلَّا أنْت، واصْرف عنَّا سيِّئَها لا يصْرف سيِّئَها إلا أنْت.

***

[٦٥٦]) تحفة الأبرار بشرح مصابيح السنة ١/ ١٣٣.
[٦٥٧]) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.
[٦٥٨]) صحيح البخاري ٦٤٧٨.
[٦٥٩]) صحيح الترمذي ٢٣١٥.
[٦٦٠]) سبل السلام ٢/ ٦٨٣.

المجلس (الثَّامن والثَّلاثون)

خطورة النَّمِيْمَة وأثرهَا علَى الفَرْد والمجْتَمَع

عَنْ حذَيفة بن اليَمَان رضي اللهُ عنه قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: " **لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ**"[٦٦١].

الفوائد:

١/ حثّ الإسلام على الاخُوَّة والألفة بين المسلمين؛ ودعا إلى تقوية علاقات النَّاس ببعضهم؛ والالتزام بالمعاملات الحسنة المبيَّنة في القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة على صاحبها أفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام، من ذلك قول الله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾[٦٦٢]، قال القاضي عياض: [**أمر بالاجتماع والألفة، وهي إحدى دعائم الشريعة، ونهى عن الفرقة والاختلاف**][٦٦٣]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " **لا تَباغَضُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللَّهِ إخْوانًا، ولا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخاهُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أيَّامٍ**"[٦٦٤]، كما منع مِن كلِّ فعلٍ أو قولٍ يسَاعد في تمزيق المجتمع؛ ومن ذلك السَّعي بين النَّاس بالنَّميمة للإفساد بينهم؛ والتي تُعَدُّ مِن أعظم أسباب هدم المجتمعات والبيوت؛ ومنها الإفساد بين الزَّوجين؛ والإفساد بين العلماء وطلاب العلم، وقد ورد في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ: " **أَلا أُنَبِّئُكُمْ ما العَضْهُ؟ هي النَّمِيمَةُ القالَةُ بيْنَ النَّاسِ** "[٦٦٥]، قال ابن عثيمين: [**والعضة من القطع والتمزيق، ومنه قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾[٦٦٦]، يعني قِطَعا وأجزاء، يؤمنون ببعضه ويكفرون**

---

[٦٦١]) صحيح مسلم ١٠٥.

[٦٦٢]) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

[٦٦٣]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٥/ ٥٦٨.

[٦٦٤]) صحيح البخاري ٦٠٦٥، صحيح مسلم ٢٥٥٩.

[٦٦٥]) صحيح مسلم ٢٦٠٦.

[٦٦٦]) سورة الحجر، الآية: ٩١.

ببعضه، فما هي الأداة المفرقة للأمة الإسلامية الممزقة لهم، قال هي النميمة، أن ينقل الإنسان كلام الناس بعضهم في بعض، من أجل الإفساد بينهم، وهي من كبائر الذنوب][٦٦٧].

٢/ ولتأكيد خطورة النَّميمة وأثرها السَّلبي الكبير على حياة النَّاس، وبيان حال المتلبِّس بها، وبيان قدْره ومكانته في الدنيا والآخرة؛ [**نهى الله تعالى أن يطاع مثل هذا الرجل، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾**[٦٦٨]**، وقال بعض أهل العلم من نمَّ إليك الحديث نمَّه منك، يعني من نقل كلام الناس إليك فإنه ينقل كلامك أنت، فاحذره ولا تطعه ولا تلتفت إليه]**[٦٦٩]، وقد حذَّر النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم منْه ومن فعله؛ وبيَّن ما يؤول إليه أمره، من ذلك ما ورَد في الحديث السَّابق أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام قال: " **لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ** "[٦٧٠]، وفي رواية " **لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ**"[٦٧١]، وروي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه قال: مرَّ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على قبرينِ فقال: " **إنَّهما ليُعذَّبانِ وما يُعذَّبانِ في كبيرٍ، ثمَّ قال: بلى؛ أمَّا أحدُهما فكان يسعى بالنَّميمةِ، وأمَّا الآخَرُ فكان لا يستنزِهُ مِن بولِه** "[٦٧٢].

٣/ النَّميمة لا تنْشأ إلا عن ضعفِ إيمانٍ، وقلبٍ مشُوْب بالغلِّ والحقْد والحسَد، فالنَّمام لا يرضى لغيره أن يكون على خير حال، أو أنْ تتيسَّر له أمور نافعة في دنياه، أو أنْ يملك علاقات طيِّبة مع غيره؛ سواء في مكان عمله، أو في أهله وعشيرته، أو مع أبناء مجتمعه، لذلك يجد راحته في الإفساد بين الصَّديقين، أو التَّفريق بين الزَّوجين، أو التَّحريش بين العامِلِيْن في مؤسَّسة من المؤسَّسات، فما أسوأ وأقبح هذا الخلق، وما أسوأ وأقبح مَن تَخَلَّق به، حين لا يهنأ له بال إلا بإيذاء غيره، وإدخال الحزن عليه، وإفساد علاقة شخص بمن يسْعد بصحبته أو

---

[٦٦٧]) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٦/ ١٤٧.

[٦٦٨]) سورة ن، الآية: ٩ – ١٠.

[٦٦٩]) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٦/ ١٤٧.

[٦٧٠]) صحيح مسلم ١٠٥.

[٦٧١]) صحيح البخاري ٦٠٥٦، صحيح مسلم ١٠٥.

[٦٧٢]) صحيح البخاري ١٣٧٨، صحيح مسلم ٢٩٢.

العيش معه فيما هو مشروع له، لهذا توعَّد الله مَن هذا حاله فقال سبحانه: ﴿ **وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ**﴾[٦٧٣]، قال بن عباس رضي اللهُ عنهما: [**هم المشَّاءون بالنَّميمة، المفرِّقون بين الأحبَّة**][٦٧٤]، وقال عليه الصلاة والسلام: "**إنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الوَجْهَيْنِ، الذي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بوَجْهٍ، وهَؤُلَاءِ بوَجْهٍ**"[٦٧٥]، قال القرطبي: [**يعني به الذي يدخل بين الناس بالشر والفساد، ويواجه كل طائفة بما يتوجه به عندها مما يرضيها من الشر، فإن رفع حديث أحدهما إلى الآخر على جهة الشر فهو ذو الوجهين النمام**][٦٧٦].

اللهُمَّ اهْدنَا لأَحسَن الأخْلاق والأفعَال والأقْوال لا يهْدي لأَحسنِها إلا أنْت، واصْرف عنَّا سيِّئَها لا يصرف سيِّئَها إلَّا أنْت.

***

[٦٧٣]) سورة الهمزة، الآية: ١.

[٦٧٤]) تفسير البغوي ٨/ ٥٢٦.

[٦٧٥]) صحيح البخاري٧١٧٩، صحيح مسلم٢٥٢٦.

[٦٧٦]) المفهم ٦/ ٥٨٩.

المجلس (التَّاسع والثَّلاثون)

الظَّنُّ أكذبُ الحَديْث

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" **إيَّاكُم والظَّن فإنَّ الظَّنَّ أكذبُ الحَديْثِ**"[٦٧٧].

الفوائد:

١/ ما من أمْر يُصلِح ويُؤلِّف بين الأفراد والجماعات إلَّا حثَّ الإسلام عليه، وأثنى على فاعِلِه، قال الله تعالى: ﴿ **لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[٦٧٨] قال الطبري: [**وهو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين بما أباح الله الإصلاح بينهما، ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة، على ما أذن الله وأمر به**][٦٧٩]، وما من أمْر فيه دعوة إلى الفرقة والخلاف والنّزاع إلا نهى عنه، وذمَّ فاعِلَه، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ، وَاصْبِرُوا، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[٦٨٠]، وقال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: " **لا تَباغَضُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللَّهِ إخْوانًا، ولا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخاهُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أيَّامٍ** "[٦٨١]، فالعبودية لله ورابط الأخوة لا يجتمعان مع دعوات الفرقة والخلاف، قال ابن عبد البر: [**لأن كتاب الله يأمرنا بالائتلاف، وينهى عن الفرقة والاختلاف**][٦٨٢]، وقد جاء تنبيه النبي عليه الصلاة والسلام السابق وغيره من

---

[٦٧٧]) صحيح البخاري ٦٠٦٦، صحيح مسلم ٢٥٦٣.

[٦٧٨]) سورة النساء، الآية: ١١٤.

[٦٧٩]) تفسير الطبري ٧/ ٤٨١.

[٦٨٠]) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

[٦٨١]) صحيح البخاري ٦٠٦٥، صحيح مسلم ٢٥٦٩.

[٦٨٢]) الاستذكار لابن عبد البر ٨/ ٥٧٧.

التوجيهات على ذلك الأمر، وهو نبذ الافتراق؛ لأجل أن لا يغفل المسلم عنه، وليعلَم مكانة الأخوة وأهميتها، ويدرك قُبح الفرقة وفساد القلوب تجاه الغير.

٢/ المسلم الصادق يحمل قلباً نظيفاً، سليماً من الحقد والحسد والغلّ؛ يبني قراراته وتصرفاته على علم وبينة ويقين وحسن ظن بالآخرين؛ فيَسْلَم بذلك في نفسه، ويُسْلِم غيرَه من الشّر والأذى، ويَسْعد حَالُه، ويرتاح ضميرُه، ويُرضِي ربَّه، ويَقْتدي بنبيِّه صلى الله عليه وسلم فيؤجر على ذلك، وقد سئل عليه الصلاة والسلام أيّ الناس أفضلُ!؟ فقال: " **كلُّ مخمومِ القلب صدوقُ اللسان، قالوا صدوقُ اللسان نعرفه، فما مخموم القلب! قال هو التّقي النّقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غلّ ولا حسد**"[٦٨٣]، قال البويطي: [**صدوق اللسان: أي طاهر اللسان وصافيْه من الكذب، ومخموم القلب هو التقي بامتثال مأموراته واجتناب منهياته، النقي: أي الصافي اللسان من الكذب والنميمة وغيرها كالشتم، ولا إثم فيه: أي في قلبه ولا في لسانه ولا في سائر جوارحه، ولا بغي: أي لا ظلم للناس عنده، ولا غل: لهم، ولا حسد: لهم عنده**][٦٨٤].

٣/ ليعلم من ابْتُلي بالظن بالآخرين أنه مُلَابِسٌ لصفة من أقبح الصفات، فليعجِّل بنبذها، وليجعل مكانها حسن الظن وسلامة القلب، ليلقى ربه بقلب سليم؛ فيسْلَم حالُه ومآلُه، فقد جعل الله لمن وقع فيما لا ينبغي من الأفعال والأقوال فرْصَة وفسْحَة، ليستدرك حاله، ويستغفر مما مضى، ويتوب إلى الله ممّا أساء، فباب التوبة مفتوح لكل من يلجه، وفضل الله واسع لكل من يأتيه سبحانه، فإن أقبل ونصح مع نفسه أصلح الله حاضره وغفر ماضيه، كما قال عليه الصلاة والسلام: " **من أحسن فيما بقي غُفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقي أُخِذ بما مضى وما بقي**"[٦٨٥]، [**أي إذا أساء الإنسان ولا يدري كم بقي له حتى يلقاه الله سبحانه وتعالى فأحسن فيما بقي غفر الله له ما سبق، ومن أساء فيما بقي أُخِذ بما مضى وما بقي: أي أُخِذ بالاثنين، لذلك على الإنسان أن يُحْسِن العمل، لأنه لا يدري متى**

[٦٨٣]) صحيح ابن ماجة ٣٤١٦.
[٦٨٤]) شرح سنن ابن ماجة ٢٦/ ٢٤.
[٦٨٥]) صحيح الترغيب ٣١٥٦.

يموت، فلعل الباقي أنفاس يسيرة قليلة، فالمحسن هو الذي يكسب المكسب العظيم بأن يُغْفر له جميع السيئات الماضية][٦٨٦]، وهذه نعمة من أعظم النعم وأجلها وأرفعها قدرا، تستحق حمد الله عليها على الدوام، ثم العمل بمقتضى ذلك، وهو أن يشمِّر الإنسان في طاعة ربه، ويُعَوِّض ما فاته منها، ويجعل بدل الإساءة إحسانا، وبدل الإهمال والتضييع تشميرا واجتهادا، وبدل الغفلة يقظة وانتباها؛ يستغل من خلال ذلك كل مواطن الخيرات والبركات وتنزل الرحمات، فلعل الله يعلم صدق نيته، وحسن عبادته، وحقيقة ندمه على ما قصَّر؛ ثم اجتهاده بعد ذلك التقصير؛ فيبدِّل سيئاته حسنات، ويُعْظِم له الأجور والحسنات، ويكرمه بجنته ورضوانه، قال ربنا سبحانه: ﴿ **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾[٦٨٧]، وقال تعالى: ﴿ **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا** ﴾[٦٨٨].

اللهُمَّ أصْلِح فسَاد قُلُوْبنا، ووفِّقنا لِما تُحبُّ وتَرضَى.

***

[٦٨٦]) شرح الترغيب والترهيب ٤٤/ ٢.

[٦٨٧]) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

[٦٨٨]) سورة مريم، الآية: ٦٠.

المجلس (الأربعون)

حُبُّ الخيْر للغَير

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" **لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**"[٦٨٩].

الفوائد:

١/ يُحبَّ كل إنسان لنفسه ما يجد به سعادته وراحته من الأمور، وهو خير جُبلت النفوس على حُبِّه، ولذلك أنواع لا حصر لها، فكل نفع للنفس مشروع فهو خير، وقد حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم على أن يحب المؤمن لغيره ما أحبَّه لنفسه ورَضِيَه لها، وإن ذلك دليل صدق إيمانه، قال عليه الصلاة والسلام: " **والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيدِهِ لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ من الخيرِ**"[٦٩٠]، قال ابن بطال: [**لا يؤمن أحدكم الإيمان التام حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**][٦٩١]، وقال ابن هبيرة: [**في الحديث من الفقه أن المؤمن مع المؤمن كالنفس الواحدة، فينبغي له أن يحب له ما يحب لنفسه؛ من حيث أنهما نفس واحدة، ومصداقه قول النبي صلى الله عليه وسلم: " تَرَى المُؤْمِنِينَ في تَراحُمِهِمْ وتَوادِّهِمْ وتَعاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إذا اشْتَكَى عُضْوًا تَداعَى له سائِرُ جَسَدِهِ بالسَّهَرِ والحُمَّى**"[٦٩٢]][٦٩٣].

٢/ كما أن كراهية حبّ الخير للغير لا يكون إلا عن جَهل الكاره لفضيلة حُبِّ الخير لهم، وتلك صفة يتَّصف بها مَن يحمل في نفسه حِسْداً أو حِقْداً أو كَرَاهيةً لغيره، أو غُرورا أو

---

[٦٨٩]) صحيح البخاري ١٣، صحيح مسلم ٤٥.

[٦٩٠]) صحيح النسائي ٥٠٣٢.

[٦٩١]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/ ٦٥.

[٦٩٢]) صحيح البخاري ٦٠١١.

[٦٩٣]) الإفصاح عن معاني الصحاح ٥/ ١٦٣.

كِبْرا قد غلب على نفسه، أو إيثارا بالخير لنفسه دون سواها، وكل ذلك ينافي معاني الإسلام السَّامية التي تحمل صاحبَها على تمثُّل أنواع الخير، لينال بها كمال وحقيقة الإسلام السمحة، وقد جاء في وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه: " **وأَحِبَّ للنَّاسِ ما تُحِبُّ لنفسِكَ تكُنْ مُسلِمًا**"[٦٩٤]، ولو تدبَّ ذر العاقلُ الأمرَ لوجد أن كل واحد بحاجة إلى حب الخير لغيره؛ لأن ذلك يعود على الجميع بالمصلحة، قال الطوفي: [**إذا أحب كل واحد من الناس لباقيهم ما يحب لنفسه أحسن إليهم، ولم يؤذهم، لأنه هو يحب لنفسه أن يُحسَنَ إليه، ولا يُؤْذَى، وإذا أَحْسَنَ إليهم ولم يُؤْذِهم أَحبُّوْه، فتسري بذلك المحبة بين الناس، وبسريان المحبة بينهم يسري الخير**][٦٩٥].

٣/ أعظم فعل خير يُحبُّه المسلم لغيره هو دعوته إلى الله تعالى، وإرشاده إلى طريق الحق، وأن يسلك به سبيل الصالحين، ويجنِّبه سُبُل الغواية والضلال، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ**﴾[٦٩٦]، وقال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: " **إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ وملائِكتَهُ، وأهلَ السمواتِ والأرضِ، حتى النملةَ في جُحْرِها، وحتى الحوتَ، ليُصَلُّونَ على معلِّمِ الناسِ الخيرَ**"[٦٩٧]، وقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه يوم خيبر: " **فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ**"، قال القرطبي بعد ذكر هذا الحديث: [**و(الهداية): الدلالة والإرشاد، و(النعم): هي الإبل، و(حمرها): هي خيارها حُسْناً وقوَّةً ونفاسَةً، لأنها أفضل عند العرب، ويعني به والله أعلم: أن ثواب تعليم رجل واحد وإرشاده للخير أعظم من ثواب هذه الإبل النفيسة لو كانت لك فتصدَّقت بها، لأن ثواب تلك الصدقة ينقطع بموتها، وثواب العلم والهدى لا ينقطع إلى يوم القيامة، كما قال صلى الله عليه وسلم: "إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ**

[٦٩٤]) صحيح الجامع ٧٨٣٣.
[٦٩٥]) التعيين في شرح الأربعين ١/ ١٢٤.
[٦٩٦]) سورة فصلت، الآية: ٣٣.
[٦٩٧]) صحيح الجامع ٤٢١٣.

انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له"[٦٩٨]] [٦٩٩].

اللهُمَّ آت نفوسنا تقواها، زكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليُّها ومولاها، اللهم اجعلنا هداةً مهتَدين، غير ضالِّين ولا مُضلِّين.

***

[٦٩٨]) صحيح مسلم ١٦٣١.

[٦٩٩]) المفهم ٦/ ٢٧٦.

المجلس (الحادي والأربعون)

فضل ذكر الله

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" **مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ والذي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ**"[٧٠٠].

الفوائد:

١/ بذكر الله تعالى يحْيَا القلب ويطمئن، ويجد راحته وسكينته وحياته، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[٧٠١]، قال الطبري عند ذكر هذه الآية: [**وتسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله**][٧٠٢]، وقال الزجاج: [**أي إذا ذُكِر الله بوحدانيته آمنوا به غير شاكين**][٧٠٣]، وقال القشيري: [**قوم اطمأنت قلوبهم بذكرهم الله، وفي الذِّكر وجدوا سلوتهم، وبالذِّكر وصَلُوا إلى صفوتهم، وقوم اطمأنت قلوبهم بذكر الله فذَكَرَهُم اللهُ سبحانه بلطفه، وأثبت الطمأنينة في قلوبهم على وجه التخصيص لهم**][٧٠٤]، فإذا تمكّن ذكرُ الله من قلب المرء وظهرت عليه آثاره؛ زاد هدى وصلاحا واطمئنانا، وتلك حياته، وكلما زاد المرءُ لله ذكراً واهتدى لما يرضي ربه سبحانه؛ زاد الله بقلبه خيرا من فضله بما تقوم به حياته، قال الله عز وجل: ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾[٧٠٥]، قال الطبري: [**زادهم الله بذلك إيمانا إلى إيمانهم، وبيانا لحقيقة ما جئتهم به من عند الله إلى البيان الذي كان عندهم**][٧٠٦]، وقال الزجاج: [**فالمعنى أنه آتاهم**

---

[٧٠٠]) صحيح البخاري ٦٤٠٧، صحيح مسلم ٧٧٩.

[٧٠١]) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

[٧٠٢]) تفسير الطبري ١٦/ ٤٣٢.

[٧٠٣]) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ١٤٧.

[٧٠٤]) لطائف الإشارات ٢/ ٢٢٩.

[٧٠٥]) سورة محمد، الآية: ١٧.

[٧٠٦]) تفسير الطبري ٢٢/ ١٧٠.

ثـواب تقـواهم وزادهـم هـدى علـى هـدايتهم][٧٠٧]،وقـال النسـفي: [**زادهـم بصـيرة وعلمـا أو شرح صدورهم، وآتاهم جزاء تقواهم، أو بيَّن لهم ما يتقون**][٧٠٨].

٢/ ذِكْـرُ الله هدايـة للقلـب وحياتـه، والغفلـة عـن الله ضـلالة للقلـب وموتـه، وذلـك حَـال مَـن عَـرَف الطريـق إلى الله وهُـدي إلى صـراط الله المسـتقيم، وحـال مـن ضـلَّ الطريـق وعـاش حيـاة الظلمـات، قـال الله تعـالى: ﴿ **أَوَمَـن كَـانَ مَيتًـا فَأَحيَينَـهُ وَجَعَلنَـا لَـهُ نُـورًا يَمشَـي بِـهِ فِي النَّـاسِ كَمَـن مَّثَلُـهُ فِي الظُّلُمَـاتِ لَـيسَ بِخَـارِجٍ منهَـا**﴾[٧٠٩]،قـال الزجـاج عنـد هـذه الآيـة: [**فجعـل المهتـدي حيًّـا، وأنـه حـين كـان في الضـلالة كـان ميتـا**][٧١٠]، والمرء بِيَـدِهِ الخْتِيَـار أحَـدَ الحَـالَيْن، والسَّـيْر بأَحَـد الطَّـرِيْقَين، قـال الله عـز وجـل: ﴿ **إِنَّا هَـدَيْنَاهُ السَّـبِيلَ إِمَّـا شَـاكِرًا وَإِمَّـا كَفُـورًا**﴾[٧١١]، وقـال سـبحانه: ﴿ **وَهَـدَيْنَاهُ النَّجْـدَيْنِ**﴾[٧١٢]، فمَـن اختـار طريـق الهُـدى أفلـح ونَجَـح، ومَـن اختـار طريـق الضـلال خـاب وخَسِـر، قـال الله تعـالى: ﴿ **قَـدْ أَفْلَـحَ مَـنْ زَكَّاهَـا، وَقَـدْ خَـابَ مَـنْ دَسَّـاهَا**﴾[٧١٣]، وقـد كـان مـن دعـاء النـبي صـلى الله عليـه وسـلم: " **اللَّهُـمَّ آتِ نَفْسِـي تَقْوَاهَـا، وَزَكِّهَـا أَنْـتَ خَـيْرُ مَن زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**"[٧١٤].

٣/ فالقلـب بِـلا ذِكْـر كالجَسـد بـلا روح، يحيـا بهـا وبـدونها يمـوت، قـال الشـيرازي عنـد ذكـر حـديث النـبي صـلى الله عليـه وسـلم السـابق " **مَثَـلُ الـذي يَـذْكُرُ رَبَّـهُ والـذي لا يَـذْكُرُ رَبَّـهُ، مَثَـلُ الحَـيِّ والمَيِّـتِ**"[٧١٥]: [**يعـني الحـي تحصـل منـه طاعـة، والميـت لا تحصـل منـه طاعـة، فالـذاكر ربـه هـو الحـي علـى الحقيقـة، لأن الحـي مَـن لـه تلـذُّذ وحيـاة، والتلـذُّذ الحقيقـي هـو ذكـر الله تعـالى وطاعتـه، لأن الـذكر يُحْيِـي القلـوب ويوجـب لـه الجنـة، ولقـاء الله ورضـاه، وهـذه الأشـياء هـي**

---

[٧٠٧]) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١٧٤.
[٧٠٨]) تفسير النسفي ٣/ ٣٢٦.
[٧٠٩]) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.
[٧١٠]) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٢٣٠.
[٧١١]) سورة الإنسان: الآية: ٣.
[٧١٢]) سورة البلد، الآية:١٠.
[٧١٣]) سورة الشمس، الآية: ٩-١٠.
[٧١٤]) صحيح مسلم ٢٧٢٢.
[٧١٥]) صحيح البخاري ٦٤٠٧، صحيح مسلم ٧٧٩.

الحياة الحقيقية، ومن خلا من الذكر فهو ميت، لأنه خال عما يحيي قلبه، وعما يوجب له الحياة الأبدية، وهو ذكر الله وطاعته][٧١٦]، وقال الكرماني: [**شبَّه الذاكرَ بالحيِّ الذي تَزَيَّن ظاهرُه بنور الحياة، وبالتصرف فيما يريد، وباطنُة مُنَوَّر بنور العلم والفقه، كذلك الذاكر مُزَيَّن ظاهرُه بنور العلم والطاعة، وباطنُه بنور العلم والمعرفة، وغيرُ الذاكرِ كالميت، لأنه عاطلٌ ظاهرُه، وباطلٌ باطنُه]**[٧١٧]، وقد حثّ الله تعالى على الإكثار مِن ذكر الله تعالى، تعظيما له سبحانه، ولأن به حياة قلوب عباده كما سبق بيان ذلك، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾[٧١٨]، وقال سبحانه: ﴿ **وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾[٧١٩]، وقال نبينا عليه الصلاة والسلام: " **ألا أنبِّئُكُم بخيرِ أعمالِكُم، وأزكاها عندَ مليكِكُم، وأرفعِها في درجاتِكُم، وخيرٌ لَكُم مِن إنفاقِ الذَّهبِ والورِقِ، وخيرٌ لَكُم من أن تلقَوا عدوَّكُم فتضرِبوا أعناقَهُم ويضربوا أعناقَكُم ؟ قالوا : بلَى، قالَ : ذِكْرُ اللَّهِ تَعالى" قالَ معاذُ بنُ جبلٍ : ما شَيءٌ أنجى مِن عذابِ اللَّهِ من ذِكْرِ اللَّهِ**"[٧٢٠].

اللهم احي قلوبنا بذكْرك، واهدنا وسددنا.

***

[٧١٦]) المفاتيح في شرح المصابيح ٣/ ١٣٣.
[٧١٧]) شرح المصابيح لابن الملك ٣/ ٨٣.
[٧١٨]) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.
[٧١٩]) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.
[٧٢٠]) صحيح الترمذي ٣٣٧٧.

المجلس (الثَّاني والأربعون)

فضل عمل النوافل

عن أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" **مـن صـلَّى في اليـومِ والليلـةِ اثنـتي عشـرةَ ركعـةً تطوُّعًـا، بـنى اللهُ لـه بيتًـا في الجنَّـةِ: أربعًـا قبـلَ الظُّهـرِ، وركعتَـين بعـدها، وركعتَـين بعـد المغـربِ، وركعتَـينِ بعـد العشـاءِ، وركعتَـينِ قبـلَ صـلاةِ الغَداةِ**"[٧٢١].

الفوائد:

١/ يُكْرِم اللهُ تعالى عبدَه المسلم الذي يتقرب إليه بعمل النافلة بمحبته سبحانه له جزاء فعله ذلك، ثم يكرمه بما يجني من ثمارها المتعددة في الدنيا والآخرة، أما ثمارها في الدنيا فمن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **إنَّ اللَّهَ قـالَ: مَـن عـادَى لي وَلِيًّـا فقَـدْ آذَنْتُـهُ بالحَـرْبِ، ومـا تَقَـرَّبَ إلَيَّ عَبْـدِي بشَـيءٍ أحَـبَّ إلَيَّ ممَّـا افْتَرَضْـتُ عليـه، ومـا يَـزالُ عَبْـدِي يَتَقَـرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِـلِ حـتَّى أُحِبَّـهُ، فـإذا أحْبَبْتُـهُ، كُنْـتُ سَمْعَـهُ الَّـذي يَسْـمَعُ بـه، وبَصَـرَهُ الَّـذي يُبْصِـرُ بـه، ويَـدَهُ الَّـتي يَـبْطِشُ بها، ورِجْلَـهُ الَّـتي يَمْشِـي بها، وإنْ سَـأَلَني لَأُعْطِيَنَّـهُ، ولَـئِنِ اسْـتَعاذَني لَأُعِيذَنَّـهُ**"[٧٢٢]، وقال الشيرازي: [**مـن أدى فـرائض الله تعـالى يحبـه الله، ومـن أدى الفـرائض والنوافـل يزيـد حـب الله لـه، فبقـدر مـا زاد مـن النوافـل يزيـد حـب الله لـه، حـتى صـار عبـدا مخلصـا مرضـيا لله تعـالى، فـإذا صـار مرضـيا محبـوبا لله، يكـون الله سمعـه الـذي يسـمع بـه....إلى آخـر الكلمـات**][٧٢٣]، وقال ابن هبيرة عند ذكر الحديث السابق: [**فإنـه يشـير إلى ألا تقـدم نافلـة علـى فريضـة، وإنمـا تسـمى النافلـة نافلـة إذا قضـيت الفريضـة،**

[٧٢١]) صحيح مسلم ٧٢٨، صحيح سنن الترمذي ٤١٤.

[٧٢٢]) صحيح البخاري ٦٥٠٢.

[٧٢٣]) المفاتيح في شرح المصابيح ٣/ ١٣٦.

وإلا فلا يتناولها اسم نافلة، لأن التقرب بالنوافل يكون تلو أداء الفرائض، بدليل أنه ذكرت بعد ذكر الفرائض، يعني إذا أدام العبد التقرب بالنوافل أفضى ذلك إلى أن يحبه الله][٧٢٤]، وأما ثمارها في الآخرة فمما ورد في ذلك حديث النبي عليه الصلاة والسلام السابق: " **من صلَّى في اليومِ و الليلةِ اثنتي عشرةَ ركعةً تطوُّعًا، بنى اللهُ له بيتًا في الجنَّةِ**"[٧٢٥]، وغير ذلك من النصوص الواردة في ذلك.

٢/ ومن فضائل عمل النافلة جَبْر ما نقص من فريضة الصلاة أو غيرها من الفرائض عند الحساب يوم القيامة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " **إنَّ أولَ ما يُحاسَبُ به العبدُ يومَ القيامةِ من عملِه صلاتُه، فإن صلحَتْ فقد أفلح وأنجح، وإن فسدَتْ فقد خاب وخسر، وإن انتقَص من فريضتِه قال اللهُ تعالى: انظروا هل لعبدي من تَطَوُّعٍ يُكْمِل به ما انتقص من الفريضةِ؟ ثم يكون سائرُ عملِه على ذلك**"[٧٢٦]، قال ابن حجر: [**فإن مِن جملة ما شُرعت له النوافل جبر الفرائض، فتبين أن المراد من التقرب بالنوافل أن تقع ممن أدى الفرائض لا من أخلَّ بها، كما قال بعض الأكابر: من شَغَلَه الفرضُ عن النفل هو معذور، ومن شغله النفلُ عن الفرض فهو مغرور**][٧٢٧].

٣/ كلما زاد العبد في العبادات والطاعات زاده الله من فضله وأكرمه وأسعده، فالجزاء من جنس العمل، ومما ورد في مثل ذلك الحث على الإكثار من عبادة الدعاء، فقد جاء في جواب النبي صلى الله عليه وسلم لأحد أصحابه في الإكثار من ذلك قوله: " **ما من مسلِمٍ يَدعو، ليسَ بإثمٍ ولا بِقطيعةِ رَحِمٍ إلَّا أَعطَاه إحدَى ثلاثٍ: إمَّا أن يُعَجِّلَ لهُ دَعوَتَهُ، و إمَّا أن يَدَّخِرَها لهُ في الآخرةِ ، وإمَّا أن يَدْفَعَ عنهُ من السُّوءِ مِثْلَها قال: إذًا نُكثِرَ، قالَ: اللهُ أَكثَرُ**"[٧٢٨]، فدلَّ ذلك على أنَّ مَن أكْثَر في العمل أكْثَر اللهُ له من العطاء، وفَضْلُ الله واسع لا

---

[٧٢٤]) الإفصاح عن معاني الصحاح ٧/ ٣٠٣.

[٧٢٥]) صحيح مسلم ٧٢٨.

[٧٢٦]) صحيح الترغيب ٥٤٠.

[٧٢٧]) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١/ ٣٤٣.

[٧٢٨]) صحيح الأدب المفرد ٥٤٧.

يحدُّه زمان ولا مكان، فكل عمل صالح يُكْثِر منه الإنسان يكون سببا لنيل الفضل من الله تعالى، لعموم النصوص الكثيرة الواردة في الحث على طاعة الله والتقرب إليه، قال الشنقيطي عند قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق " **انظروا هل لعبدي من تطوُّعٍ يكمل به ما انتقص من الفريضةِ** "[٧٢٩]: [**وفيه الحث على الإكثار من التطوع وبيان فضله، لأنه يكون وسيلة إتمام الفرائض، وأن ذلك لا يخُصَّ تطوع الصلاة**][٧٣٠].

اللهُمَّ زِدْنا ولا تُنْقِصْنا وأكْرِمْنا ولا تُهِنَّا ووفِّقْنا لِما تُحِبُّ وتَرْضَى.

***

[٧٢٩]) صحيح الترغيب ٥٤٠.

[٧٣٠]) شرح سنن النسائي ٤/ ١٠٤٥.

المجلس (الثَّالث والأربعون)

فضْل العبادة زمن الفِتَن

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" **الْعِبادَةُ في الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إلَيَّ**"[٧٣١].

الفوائد:

١/ حين يَعْبُد المرءُ ربَّه في وقت مَوْج الفِتن بأنواعها؛ ومن ذلك الشَّهوات والشُّبهات؛ يكون قد آثَر طاعةَ ربِّه على طاعة واتِّباع هواه، وآثَر إرادة الله على ميول نفسه نحو أيّ باطل ورغبة وشهوة محرمة في أصلها أو لكونها مُؤْثَرة على طاعة الله، فتكون منزلته بذلك كمنزلة من هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ينال عليها ثواباً كثواب من هاجر إليه على الحقيقة، كما في الحديث السابق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " **الْعِبادَةُ في الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إلَيَّ**"[٧٣٢]، قال ابن الجوزي: [**الهرج القتال والاختلاط، وإذا عمَّت الفتن اشتغلت القلوب، وإذا تعبَّد حينئذ متعبِّد دلَّ على قوة اشتغال قلبه بالله عزَّ وجلَّ فيكثر أجره**][٧٣٣]، وقال القرطبي: [**فالمتمسِّك بالعبادة في ذلك الوقت والمنقطع إليه؛ المنعزل عن الناس؛ أجره كأجر المهاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه يناسبه من حيث أن المهاجر قد فر بدينه عمن يصد عنه، إلى الاعتصام بالنبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك هو المنقطع عن العبادة، فرَّ من الناس بدينه إلى الاعتصام بعبادة ربه، فهو على التحقيق قد هاجر إلى ربه، وفَرَّ من جميع خلقه**][٧٣٤].

---

[٧٣١]) صحيح مسلم ٢٩٤٨.

[٧٣٢]) صحيح مسلم ٢٩٤٨.

[٧٣٣]) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٢/ ٤٢.

[٧٣٤]) المفهم ٧/ ٣٠٩.

٢/ ولا يُوفَّق لذلك الخير إلا من رضِيَه اللهُ له ووفَّقه وأعانه وثبَّته، فالعبادة زمن الفتن ليست كالعبادة في غيره من الأزمان، لانشغال الناس بأنواع الفتن الحسية والمعنوية التي تصرفهم عن عبادة ربهم، فيفلح بها القليل لتغلُّبهم على الفتن، وهو من أعظم تثبيت الله للعبد؛ أن يثبِّته حال اشتداد الفتن، في وقت يُصْرَف فيه عن العبادة الكثير من الناس، لانشغالهم بأهواء أنفسهم، واتباعهم لرغباتهم العاجلة، فيضاعف بذلك أجر من انشغل بطاعة ربه، قال النووي: [**وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها، ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا أفراد**][٧٣٥]، والموفق من وفقه الله تعالى، ومن ثبته على طاعته على كل حال، وفي كل حال، قال ربنا سبحانه: ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾ [٧٣٦].

٣/ هجْر المرء لما نهى الله عنه انتصار منه على نفسه؛ وانقياد لأمر الله تعالى بامتثال ما شرَّع وقضى؛ وتجنُّب مالم يأذن به من المحرَّمات الحسِّيَّة والمعنوية، لذلك استحق أن يوصف بوصف المهاجر، كما قال نبيُّنا محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام: " **المسلمُ من سَلِمَ المسلمونَ من لسانهِ ويدهِ، والمهاجرُ من هجر ما نهى اللهُ عنه** "[٧٣٧]، قال ابن بطال في بيان حقيقة لفظ المهاجر: [**يعني المهاجر التَّام الهجرة؛ مَن هجَر المحارم**][٧٣٨]، وقال الشيرازي: [**المهاجر في هذا الحديث هو المهاجر الكامل، لأنه هاجر جميع ما نهى الله تعالى عنه**][٧٣٩]، وقال الفاكهاني في الحديث فائدتان: [**فائدة ترجع للمهاجرين؛ لكي لا يتَّكل على نفس الهجرة، فبيَّن لهم عليه الصلاة والسلام أن الهجرة التامة الكاملة هي هجران الفواحش، ففيه حضّ على التزام الطاعات، وعدم الاغترار بالهجرة، وحث على الجد في الفضائل، وألا يعتمدوا على الهجرة ويتركوا العمل، والفائدة الثانية: ترجع إلى من لم يهاجر، ففيه ترجية لهم، وإيناس وتبيين أن سبل الطاعات باقية، وأعمال الخير متلاحقة، وأن اسم الهجرة باق لهم؛**

---

[٧٣٥]) شرح النووي على مسلم ١٨/ ٨٨.

[٧٣٦]) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

[٧٣٧]) صحيح البخاري ٦٤٨٤، صحيح مسلم ٤٠.

[٧٣٨]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/ ١٩٥.

[٧٣٩]) المفاتيح في شرح المصابيح ١/ ٦٦.

مقـول علـيهم؛ عنـد هجـران المحـارم][٧٤٠]، وفي هـذا بيـان لفضـل الهجـرة بنوعيهـا، وفضـل المتصـفين بهمـا أو بأحـدهما، ولا شـك أن أكمـل الأصـناف مَـن جمـع بـين النـوعين، فهَجَـر بـلاده وأرضـه؛ طاعةً لمولاه، وإعلاء لكلمته، وفرارا بدينه، كما أنه هَجَر ما نهى عنه ربه من الأقوال والأفعال.

اللهُمَّ أرِنَا الحَقَّ حَقًّاً وارْزُقْنَا اتِّبَاعَه، وأَرِنَا البَاطِل بَاطِلَاً وارْزُقْنَا اجْتَنَابَهُ.

***

[٧٤٠]) رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام ١/ ٣١.

المجلس (الرَّابع والأربعون)

فضل التَّنفيس عن المعسرين

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ:

" **مَن سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عن مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عنْه**"[٧٤١].

الفوائد:

١/ إعانة العباد؛ وتفريج همومهم؛ وتنفيس كروبهم؛ وتيسير أمورهم؛ أيا كان نوع العمل المبذول لهم؛ شكلا أو وصفا أو قدرا؛ من أفضل الأعمال الصالحة التي يقوم بها المسلم ابتغاء وجه ربه؛ لما يترتَّب عليها من فضل عند الله تعالى؛ ممَّا يدلّ على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: " **من نفَّسَ عن مسلمٍ كُربةً مِن كُربِ الدُّنيا نفَّسَ اللَّهُ عنهُ كربةً مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ، ومن يسَّرَ على مُعسرٍ في الدُّنيا يسَّرَ اللَّهُ عليهِ في الدُّنيا والآخرةِ، ومن سَترَ على مُسلمٍ في الدُّنيا سترَ اللَّهُ علَيهِ في الدُّنيا والآخرةِ، واللَّهُ في عونِ العَبدِ، ما كانَ العَبدُ في عونِ أخيهِ**"[٧٤٢]، قال ابن دقيق العيد: [**هذا الحديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب، فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة، أو غير ذلك، ومعنى تنفيس الكربة أي إزالتها**][٧٤٣]، وقال ابن الأمير عند ذكر الحديث السابق: [**التيسير على المعسر هو أيضا من تفريج الكرب؛ وإنما خصه لأنه أبلغ؛ وهو إنظاره لغريمه في الدَّين أو إبراؤه له منه أو غير ذلك، فإن الله ييسِّر عليه أموره، ويسهِّلها له لتسهيله لأخيه فيما عنده له، والتيسير لأمور الآخرة، بأن يهوِّن عليه المشاقّ فيها، ويُرجِّحُ وزن الحسنات، ويُلقي في قلوب من لهم عنده حق يجب**

[٧٤١]) صحيح مسلم ١٥٦٣.

[٧٤٢]) صحيح مسلم ٢٦٩٩.

[٧٤٣]) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ١١٩.

استيفاؤه منه بالآخرة المسامحة وغير ذلك، ويؤخذ منه أن من عسَّر على مُعْسِر عُسِّرَ عليه][٧٤٤]، وفي هذا حث على فعل الخير المتعدِّي، وهو ما ينتقل أثره إلى الغير، لما يعود على فاعله من خير في الدنيا والآخرة.

٢/ فالمرء ينال من الخير بقدر ونوع سعيه في الحياة؛ ونوع ما قدَّم؛ والجزاء من جنس العمل، ومن تجاوز عن العباد تجاوز الله عنه، ومن أحسَن إليهم أحسَن الله إليه، ومن سهَّل عليهم سهَّل الله عليه، وذلك من واسع كرَم الله وفضْله وجُوْده؛ قال المباركفوري عند قول النبي صلى الله عليه وسلم " **نفَّس الله عنه كربه من كرب يوم القيامة**": [**لما كان الخلق كلهم عيال الله، وتنفيس الكرب إحسان، فجزاه الله جزاء وفاقا، لقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾**[٧٤٥]]**[٧٤٦]**، وورد في الحديث الشَّريف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **كان رجلٌ يداينُ الناسَ، فكان يقولُ لفتَاهُ: إذا أتيتَ مُعْسِرًا فتجاوزْ عنه، لعلَّ اللهَ أنْ يتجاوَزَ عنَّا، فلَقِيَ اللهَ، فتجاوَزَ عنْهُ**"[٧٤٧]، وقال صلى الله عليه وسلم: " **مَن أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عنْه، أَظَلَّهُ اللَّهُ في ظِلِّهِ**"[٧٤٨].

٣/ السَّماحة وتسهيل معاملة الخلْق تعدُّ من تمام وكمال صفات السَّاعين في نفع العباد؛ التي يكسب بها الإنسان خيرا في الدنيا والآخرة، وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لأهل السماحة بقوله: " **رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إذا باعَ، وإذا اشْتَرَى، وإذا اقْتَضَى**"[٧٤٩]، قال ابن بطال عند ذكر هذا الحديث: [**فيه الحضُّ على السماحة وحسن المعاملة، واستعمال معالي الأخلاق ومكارمها، وترك المشاحَّة، والرِّقَّة في البيع، وذلك سبب إلى وجود البركة فيه، لأنَّ النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام لا يحضُّ أمَّته إلا على ما فيه النفع لهم في الدنيا والآخرة، فأمَّا فضل ذلك في الآخرة فقد دعا عليه السلام بالرحمة لمن فعل ذلك، فمن أحبَّ أن**

---

[٧٤٤]) سبل السلام ٢/ ٦٣٨.
[٧٤٥]) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.
[٧٤٦]) تحفة الأحوذي ٨/ ٢١٥.
[٧٤٧]) صحيح البخاري ٣٤٨٠، ١٥٦٢.
[٧٤٨]) صحيح مسلم ٣٠٠٦.
[٧٤٩]) صحيح البخاري ٢٠٧٦.

تناله بركة دعوة النبي عليه السلام فليقتد بهذا الحديث ويعمل به][٧٥٠]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام مبيِّنا فضل الإنسان السمح السهل ومكانته عند الله تعالى: " **أَلَا أُخْبِرُكم بِمَن يَحْرُمُ على النَّارِ، وبِمَن تَحْرُمُ عليه النَّارُ؟ على كلِّ قريبٍ هيِّنٍ سهْلٍ**"[٧٥١]، قال حطيبة عند ذكر هذا الحديث: [**كأنه يقول: المؤمن يكون على هذه الصفة الجميلة، يكون هيِّنا، والهيِّن هو الإنسان السَّهل البسيط في معاملته، والذي لا يُصعِّب الأمور ولا يعقِّدها، فهو سهل في المعاملة، ولَيِّن في المعاملة، أي ليس عنيفا ولا صعبا ولا صخَّابا، بل هو إنسان قريب سهل التَّناول، وكل مرادفات الحديث مرادفات لمعنى واحد]**[٧٥٢].

اللهُمَّ انفَعْنا؛ وانْفَع بنَا؛ وتجَاوَز عنَّا؛ يَا أرحَم الرَّاحِمِيْن.

***

[٧٥٠]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٧/ ٢١٠.

[٧٥١]) صحيح الترغيب ١٧٤٤.

[٧٥٢]) شرح الترغيب والترهيب للمنذري ٢٧/ ٤.

المجلس (الخامس والأربعون)

فضل الدعوة إلى الله تعالى

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لِعَلِيٍ رضي الله عنه:

" **فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ**"[٧٥٣].

الفوائد:

١/ هداية الناس إلى الخير؛ وإرشادهم إلى طريق الحق؛ توفيق واصطفاء وسداد من الله للدَّاعين إليه، ومن فضل الله عليهم أن لهم من الأجر مثل أجور مَن كانوا سببا في هدايتهم دون نقصان، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **مَن دعا إلى هُدًى كان له مِن الأجرِ مِثْلُ أجورِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن أجورِهم شيئًا، ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه مِن الإثمِ مِثْلُ آثامِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن آثامِهم شيئًا**"[٧٥٤]، قال البيضاوي: [**أفعال العباد وإن كانت غير موجبة ولا مقتضية للثواب والعقاب بذواتها؛ إلا أنه تعالى أجرى عادته يربط الثواب والعقاب بها؛ ارتباط المسببات بالأسباب، وفعل العبد: ما له تأثير في صدوره بوجه، فكما يترتب الثواب والعقاب على ما يباشره ويزاوله؛ يترتب كل منهما على ما هو سبب من فعله؛ كالإرشاد إليه والحث عليه، ولما كانت الجهة التي بها استوجب المسبب الأجر والجزاء غير الجهة التي استوجب بها المباشر لم ينقص أجره من أجره شيئا**][٧٥٥].

---

[٧٥٣]) صحيح البخاري ٣٧٠١، صحيح مسلم ٢٤٠٦.

[٧٥٤]) صحيح مسلم ٢٦٧٤.

[٧٥٥]) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة ١/ ١٣٣.

٢/ أسباب الهداية كثيرة ومتنوعة، قد يكون سببها سماع كلمة طيّبة، أو قراءة حديث شريف، أو تلاوة آية كريمة، أو نصيحة نافعة من أخ ناصح، أو دعوة صادقة من مرشد مُخْلِص، أو موقف مؤثِّر يُنتفع به، أو غير ذلك، وسائر ما سبق وغيره توفيق من الله تعالى؛ حين يأذن سبحانه بالهداية والصلاح، وإنه لا ينبغي للمرء أن يحتقر شيئا من الأسباب أياً كان، فإنه لا يدري من أين يأتيه الخير والتوفيق، سواء المبلِّغ أو المبلَّغ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً**"[٧٥٦]، قال العُبَاد: [**وأما قوله صلى الله عليه وسلم: " بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" فمعناه أن الإنسان لا يتساهل في شيء، بل الإنسان يبلِّغ ولو كان ما عنده إلا شيء يسير، فإنه يبلِّغ ما عنده، ولكن لا بد من التحقق بأن ما يدعو إليه هو على بصيرة فيه، كما قال الله عز وجل ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ، عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[٧٥٧]، فالشيء الذي لا يعرفه ولا يعقله يتركه، ولا يدخل نفسه في أمور لا يدركها ولا يعقلها، فإن ذلك يكون من القول على الله بغير علم**][٧٥٨].

٣/ ليست الدعوة إلى الله حكْرا على أحد؛ ما دام المرء قد أدرك كيفيَّتها؛ وقدَّر وقتها وزمنها؛ عالما كان، أو معلما، أو خطيبا، أو تاجرا، أو طبيبا، أو غير أولئك، فالله قد أثنى على من دعا إليه بقوله سبحانه: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[٧٥٩]، ولم تستثن الآية أحدا من الناس أن يكون أحد الداعين إلى الله تعالى، ولكن المطلوب أن يدعو المرء إلى ربه على بصيرة من أمره، كما قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ، عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[٧٦٠]، قال العباد: [**يشترط في الآمر بالمعروف أن يكون له علم يعلم به أن ما يأمر به معروف، وأن ما ينهى عنه منكر؛ لأنه إن كان جاهلاً بذلك، فقد يأمر بما ليس بمعروف، وينهى عما ليس بمنكر، ولاسيما في هذا الزمن الذي عم فيه الجهل، وصار فيه**

---

[٧٥٦]) صحيح البخاري ٣٤٦١،

[٧٥٧]) سورة يوسف، الآية: ١٠٨

[٧٥٨]) شرح سنن أبي داوود ٩٥/ ٢٥.

[٧٥٩]) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

[٧٦٠]) سورة يوسف، الآية: ١٠٨

الحق منكراً، والمنكر معروفاً، والله تعالى يقول: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ، عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، فدل على أن الداعي إلى الله لابد أن يكون على بصيرة، وهي الدليل الواضح الذي لا لبس في الحق معه، وينبغي أن تكون دعوته إلى الله بالحكمة، وحسن الأسلوب واللطافة مع إيضاح الحق؛ لقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[٧٦١]، فإن كانت دعوته إلى الله بقسوة وعنف وخرق، فإنها تضر أكثر مما تنفع][٧٦٢].

اللهُمَّ اهْدِنا واهْد بنَا، واجعَلْنا سبَباً لمن اهتدَى.

***

[٧٦١]) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

[٧٦٢]) شرح الأربعين النووية للعباد ٣٠/ ٦.

المجلس (السَّادس والأربعون)

فضْل حَمْد الله تعَالى وشُكْره على نِعَمِهِ

عـن أنـس بـن مالـك رضـي الله عنـه قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: " **إنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ يَأْكُلَ الأكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**"[٧٦٣].

الفوائد:

١/ نعَم الله كثيرة؛ مَن قَصَد عدَّها فلن يحصِيْها، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ، وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا، إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾[٧٦٤]، والنعم دينية ودنيوية، وبعضها أعظم من بعض، قدرا وكيفا، قال عطية سالم: [**إنعام الله سبحانه وتعالى على الخلق لا حصر له، قال تعالى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾، وفي سورة الفاتحة ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: بالهداية والاستقامة، لأن النعم تكون دنيوية، ودينية بالهداية والتوفيق والقبول**][٧٦٥]، وحمْد الله على نِعَمه التي وهَب؛ وشكْره عليها؛ يُمثِّل اعترافا بفضله سبحانه المستحِق للشكر والثناء؛ وضد ذلك الكفر والجحود؛ قال الله تعالى: ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ**﴾[٧٦٦]، والشكر دليل على أهمية صلاح القلب والجوارح وخطورة فسادها؛ وبصلاحها يكون الشكر والثناء، أو يكون نقيض ذلك، ومن الشكر إظهار العبد نعمةَ الله عليه، فإنه سبحانه يحب ذلك، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " **إنَّ اللَّهَ يُحبَّ أن يَرى أثرَ نعمتِه علَى عبدِه**"[٧٦٧]، قال عطية سالم: [**فإذا أنعم الله على عبد نعمة، سواء أكانت في البدن، أم كانت في العقل والعلم، أم كانت في المال، أم كانت في الجاه، أم كانت في أي مجال من مجالات النعم فإن الله يحب أن يرى أثر هذه النعمة على**

---

[٧٦٣]) صحيح مسلم ٢٧٣٤.

[٧٦٤]) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

[٧٦٥]) شرح بلوغ المرام ١١٠/ ١١.

[٧٦٦]) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

[٧٦٧]) صحيح الترمذي ٢٨١٩.

عبده، فلا ينعم عليك ثم أنت تخفيها، فلو شاء لأعطاها لغيرك، فإذا أخفيتها كأنك تخفي نعمة الله عليك، لكن بيّن أثرها؛ لأن من شكر النعمة أن تظهرها اعترافاً منك بالمنعم عليك، فإذا أعطاك الله مالاً يجب أن يظهر آثار المال عليك، بأن تكرم الجيران، وتعطي المحتاج، ويظهر هذا العطاء بنعم الله على ما تنفقه، وكذلك على نفسك، وابدأ بنفسك أولاً، فأول ما ينبغي إظهار نعمة المال على صاحبه، ثم على من يليه من أصحاب الحقوق علية، وفي الحديث: "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول" [٧٦٨]، ثم وسِّع الدائرة حتى يظهر أثر هذه النعمة] [٧٦٩].

٢/ أعظم نعَم الله على عبده بعد نعمة الهداية للإسلام أن يرضى عنه، فإن رضي عنه أصبح له ولياً؛ فيهَبْه من الخير ما يرجو؛ وما تكون به سعادته في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ، ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[٧٧٠]، ومن إكرام الله لأوليائه الدفاع عنهم ونصرتهم وتأييدهم، ومحبته لهم، لقربهم منه، واستمرارهم على فعل ما يحب، قال نبينا عليه الصلاة والسلام: " **إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَن عَادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**"[٧٧١]، **قال أحمد فريد: [فهذا الحديث كما قيل فيه: هو أشرف حديث في شأن الولي، فقد بدأ الحديث بإعلان الحرب من الله عز وجل على من عادى ولياً من أولياء الله عز وجل، فقال: " إنَّ اللَّهَ قَالَ: مَن عَادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ" ، أي: فقد أعلمته بأنني محارب له، حيث إنه كان محارباً لي بمعاداته ولياً من أوليائي، فأولياء**

[٧٦٨]) لفظ الأمام مسلم: " كَفَى بالمَرْءِ إثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ " ٩٩٦.

[٧٦٩]) شرح بلوغ المرام ١١٠/ ١١.

[٧٧٠]) سورة يونس، الآية: ٦٢-٦٣-٦٤.

[٧٧١]) صحيح البخاري ٦٥٠٢.

الله عز وجل تجب موالاتهم، وتحرم معاداتهم، وأعداء الله عز وجل تجب معاداتهم، وتحرم موالاتهم][٧٧٢].

٣/ شكر الله على النعَم سبب لأن يبارك الله فيها؛ ويحفظها لصاحبها؛ ويعطي منها ومن غيرها المزيد؛ والعكس بالعكس؛ فالجزاء من جنس العمل، قال الله عز وجل: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ، وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾[٧٧٣]، قال الطبري: [**ولا تجحدوا إحساني إليكم، فأسلبكم نعمتي التي أنعمت عليكم، ولكن اشكروا لي عليها وأزيدكم فأتم نعمتي عليكم، وأهديكم لما هديت له من رضيت عنه من عبادي، فإني وعدت خلقي أن من شكر لي زدته، ومن كفرني حرمته وسلبته ما أعطيته**][٧٧٤]، وقال المراغي: [**وهذا تحذير من الله لهذه الأمة حتى لا تقع فيما وقعت فيه الأمم السابقة، إذ كفرت بأنعم الله فلم تستعمل العقل والحواس فيما خلقت لأجله، فسلبها ما كان قد وهبها تأديبا لها ولغيرها، وقد امتثل المسلمون هذه الأوامر حينا من الدهر ثم تركوها بالتدريج فحلّ بهم ما ترى من النكال والوبال، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ، وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾**][٧٧٥].

٤/ فحفْظ المرء نعمة الله عليه يكون بدوام شكر الله عليها؛ قولا وعملا، وأعظم ما يفعله العبد تجاه ربه ويتقرب به؛ إليه شكرا له واعترافا بفضله؛ أن يقوم بما افترضه عليه؛ كما جاء في الحديث القدسي السابق أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه سبحانه: " **وما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ**"[٧٧٦].

اللهُمَّ لكَ الحَمْد علَى مَا قَضَيْت ولَك الشُّكْر علَى مَا أعْطَيْت.

---

[٧٧٢]) مجالس رمضانية ١٠/ ٢.

[٧٧٣]) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

[٧٧٤]) تفسير الطبري ٢/ ٦٩٦.

[٧٧٥]) تفسير المراغي ١/ ٣٥٠.

[٧٧٦]) صحيح البخاري ٦٥٠٢.

المجلس (السَّابع والأربعون)

السجود لله تعالى والدعاء فيه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" **أَقْرَبُ ما يَكونُ العَبْدُ مِن رَبِّهِ، وهو ساجِدٌ، فأَكْثِرُوا الدُّعاءَ**"[٧٧٧].

الفوائد:

١/ العاقل يستغِلُّ المواطن والأوقات الفاضلة؛ التي بيَّنها القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ فيما يعود عليه وعلى غيره بالنفع في الدنيا والآخرة، ومن ذلك الإكثار من السجود، والحرص على أن يكون مُكْثِرا كذلك من الدعاء حال سجوده، سواء في صلاة الفرض أو النفل، فهو مَوْطِنٌ أقرب ما يكون فيه العبد من ربه عز وجل، كما في الحديث السابق عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " **أَقْرَبُ ما يَكونُ العَبْدُ مِن رَبِّهِ، وهو ساجِدٌ، فأَكْثِرُوا الدُّعاءَ**"[٧٧٨]، قال ابن حجر: [**والأمر بإكثار الدّعاء في السّجود يشمل الحثّ على تكثير الطّلب لكل حاجة، كما جاء في حديث أنس: " ليسأل أحدكم ربّه حاجته كلّها حتّى شسع نعله**"[٧٧٩]، **ويشمل التّكرار للسّؤال الواحد**][٧٨٠].

٢/ ويزيد الأمر فضلا حين يكون سجود المرء في جوف الليل خاصة في الثلث الأخير منه؛ فهو وقتُ تَنَزُّل الرَّحَمَات، ويُعَدُّ من أرجى أوقات إجابة الدعاء؛ كما ورد في الحديث النبوي الشريف؛ أنَّه قِيلَ يا رسولَ اللهِ: أيُّ الدعاءِ أسمَعُ؟ قال: " **جَوفَ الليلِ الآخِرِ**"[٧٨١]، كما أنه وقت ينزل فيه ربنا تعالى إلى السماء الدنيا نزولا يليق بجلاله سبحانه؛ وينادى عباده ليعْرِض كل واحد حاجته وسؤله، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى

---

[٧٧٧]) صحيح مسلم ٤٨٢.

[٧٧٨]) صحيح مسلم ٤٨٢.

[٧٧٩]) سنن الترمذي ٣٦٠٤.

[٧٨٠]) فتح السلام شرح عمدة الأحكام ٣/ ٩٥.

[٧٨١]) صحيح أبي داوود ١٢٧٧.

الله عليه وسلم أنه قال: " **يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْأَلُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَستَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له؟**"[٧٨٢].

٣/ وينبغي أن يكون الإكثار من السجود لله طاعة وخضوعا وتذللاً له سبحانه؛ وانقياداً لأمره عز وجل؛ مع استغلال ذلك في طرح ما في النفس من هموم وغموم وحاجات وعرضها بين يدي الله سبحانه؛ ثم سؤاله عز وجل من خَيْري الدنيا والآخرة، ففي ذلك رفع للدرجات، وحطّ للخطايا، وتذلل بين يدي خالق الأرض والسماوات، وهو أمر من أعظم أسباب الرفعة في الدنيا والآخرة، فقد ورد عن ثوبان رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له:" **عَلَيْكَ بكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فإنَّكَ لا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بهَا دَرَجَةً، وحَطَّ عَنْكَ بهَا خَطِيئَةً**"[٧٨٣]، قال النووي عند ذكر هذا الحديث: [**فِيهِ الْحَثّ عَلَى كَثْرَة السُّجُود وَالتَّرْغِيب، وَالْمُرَاد بِهِ السُّجُود فِي الصَّلاة، وَفِيهِ دَلِيل لِمَنْ يَقُول تَكْثِير السُّجُود أَفْضَل مِنْ إِطَالَة الْقِيَام، وَسَبَب الْحَثّ عَلَيْهِ الْحَدِيث " أَقْرَب مَا يَكُون الْعَبْد مِنْ رَبّه وَهُوَ سَاجِد**"[٧٨٤] **وَهُوَ مُوَافِق لِقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾[٧٨٥]، وَلأَنَّ السُّجُود غَايَة التَّوَاضُع وَالْعُبُودِيَّة لِلَّهِ تَعَالَى، وَفِيهِ تَمْكِين أَعَزّ أَعْضَاء الإِنْسَان وَأَعْلَاهَا وَهُوَ وَجْهه مِنْ التُّرَاب الَّذِي يُدَاس وَيُمْتَهَن**][٧٨٦].

٤/ كما يُشرع للمرء أن يدعو ربه في سجوده بأجلِّ وأعظم ما يمكن من الأمور، وأن يحرص على التنويع في حاجاته، ومما ورد في الأمر حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ كانَ يقولُ في سُجُودِهِ: **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ، وجِلَّهُ، وأَوَّلَهُ وآخِرَهُ وعَلانِيَتَهُ وسِرَّهُ**"[٧٨٧]، ومن الدعاء المأثور المتنوع ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله

[٧٨٢]) صحيح البخاري ١١٤٥، صحيح مسلم ٧٥٨.
[٧٨٣]) صحيح مسلم ٤٨٨.
[٧٨٤]) صحيح مسلم ٤٨٢.
[٧٨٥]) سورة العلق ١٩.
[٧٨٦]) شرح النووي على مسلم ٤/ ٢٠٦.
[٧٨٧]) صحيح مسلم ٤٨٣.

عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كانَ يقولُ في دعائِهِ: " **ربِّ أعنِّي ولا تُعِنْ عليَّ، وانصُرني ولا تنصُرْ عليَّ، وامكُر لي ولا تَمكُر عليَّ، واهدِني ويسِّرِ الهدى لي، وانصُرني على من بغَى عليَّ، ربِّ اجعَلني لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مُطيعًا، إليكَ مُخبتًا، إليكَ أوَّاهًا مُنيبًا، ربِّ تقبَّل تَوبَتي، واغسِل حَوبَتي، وأجِب دعوَتي، واهدِ قلبي، وسدِّد لساني، وثبِّت حجَّتي واسلُلْ سَخيمةَ قلبي**"[٧٨٨]، كما لا يغفل الداعي عن الثناء على الله تعالى سائر أحواله، فهو من كمال الدعاء، وأحرى للإجابه والقبول، فالله هو المستحق للثناء الجميل، وبيده الأمر والنهي، وهو على كل شيء قدير، فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالَتْ: [**افْتَقَدْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَظَنَنْتُ أنَّه ذَهَبَ إلى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَتَحَسَّسْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ، فَإِذَا هو رَاكِعٌ، أوْ سَاجِدٌ يقولُ: " سُبْحَانَكَ وبِحَمْدِكَ لا إلَهَ إلَّا أنْتَ"**][٧٨٩].

اللهمَّ أعنَّا على ذِكْرك وشُكْرك وحُسْن عبَادَتِك.

***

[٧٨٨]) صحيح ابن ماجة ٣١٠٣.

[٧٨٩]) صحيح مسلم ٤٨٥.

المجلس (الثَّامن والأربعون)

فضل قول: لا حول ولا قوة إلا بالله

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" **أَلَا أَدُلُّكَ علَى كَنْزٍ مِن كُنُوزِ الجَنَّةِ؟" قُلتُ: بَلَى يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: "لا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ"**[٧٩٠].

الفوائد:

١/ الاستسلام لله تعالى؛ وتفويض الأمر إليه؛ والاستعانة به؛ والتوكل عليه؛ واليقين بما عنده سبحانه؛ أعظم العبادات القلبية التي يمتلئ بها قلب المؤمن العارف بالله تعالى، ومن الدلالة على عِظَمِها أنَّ مَن مات مُسَلِّما أمْره لله تعالى؛ ومُفوِّضا أمْره له سبحانه؛ فقد مات على الفطرة؛ بل ينال أعظم مراتبها، فقد ورد في الحديث الشريف عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: " **إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ علَى شِقِّكَ الأيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أسْلَمْتُ وجْهِي إلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أمْرِي إلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْكَ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إلَيْكَ، لا مَلْجَأَ ولَا مَنْجَا مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بكِتَابِكَ الذي أنْزَلْتَ، وبِنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ، فإنْ مُتَّ مِن لَيْلَتِكَ، فأنْتَ علَى الفِطْرَةِ، واجْعَلْهُنَّ آخِرَ ما تَتَكَلَّمُ بهِ**"[٧٩١]، وتبين من الحديث أن استشعار تلك المعاني التي أشار إليها اللفظ النبوي يكون سببا لنيل قائلها رتبة عظيمة؛ وهي إن مات بعد قولها فقد مات على الفطرة، وأما غيره فتكون رتبته أقل، بحسب ما يقول أو يفعل من أنواع الخير، قال القرطبي في بيان قوله عليه الصلاة والسلام " على الفطرة": [**على دين الإسلام، كما قال في الحديث الآخر: " من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة"**[٧٩٢]، **قلت: هكذا قال الشيوخ في هذا الحديث،**

---

[٧٩٠]) صحيح البخاري ٦٣٨٤، صحيح مسلم ٢٧٠٤.

[٧٩١]) صحيح البخاري ٦٣١١، صحيح مسلم ٢٧١٠.

[٧٩٢]) صحيح أبي داود ٣١١٦.

وفيه نظر؛ لأنَّه: إذا كان قائل هذه الكلمات المقتضية للمعاني التي ذكرناها من التوحيد والتسليم، والرضا إلى أن يموت على الفطرة، كما يموت من قال: لا إله إلا الله، ولم يخطر له شيء من تلك الأمور، فأين فائدة تلك الكلمات العظيمة، وتلك المقامات الشريفة؟ فالجواب: أن كلا منهما وإن مات على فطرة الإسلام فبين الفطرتين ما بين الحالتين، ففطرة الطائفة الأولى: فطرة المقربين والصديقين، وفطرة الثانية: فطرة أصحاب اليمين][٧٩٣].

٢/ عظيم الجزاء بعظيم العمل، ومن ينال كنزا على عمله ليس كمن ينال ما هو دونه من الأثمان، كما أن الكنز عند الناس عظيم القدر وغال الثمن، فكيف إذا كان كنزا من كنوز الجنة، والجنة هي أغلى السِّلَع وبها أرفع الأثمان، كما قال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: " **ألا إن سلعةَ اللهِ غاليةٌ ألا إن سلعةَ اللهِ الجنةُ**"[٧٩٤]، وقد دلَّ حديث الكنز السابق على عظمة تلك الكلمة التي تحمل أغلى المعاني فهي من جوامع الكَلِم وأدقّ الألفاظ؛ كما تدل عِظَم ثواب من قالها وكرَّرها في ليل أو نهار؛ وفي شِدَّة أو رَخاء، قال القاضي عياض عند ذكر الحديث السابق" **أَلَا أَدُلُّكَ علَى كَنْزٍ مِن كُنُوزِ الجَنَّةِ؟" قُلتُ: بَلَى يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: "لا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ**"[٧٩٥]، : [**هذه كلمة استسلام وتفويض واعتراف بالعجز، وأن العبد لا يملك مع الله شيئاً، ولا يملك من دونه لا حول ولا استطاعة إلا بالله، قال ابن مسعود: معناه: لا حول عن المعصية إلا بعصمة الله ولا قوة على الطاعة إلا بعون الله، ومعنى "كنز من الجنة ": أي أجر مدخر وثواب مخبأ ظاهره لقائلها، وقيل: بل لمن اتصف بذلك، وتبرأ من حوله وقوته، وفوض أمره إلى الله تعالى، ولمن قالها عن صدق نيته وتحقيق ضميره**][٧٩٦]، وقال النووي في الحديث عن ذلك الكنز: [**قَالَ الْعُلَمَاءُ سبب ذلك أنها كلمة استسلام وَتَفْوِيضٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاعْتِرَافٍ بِالْإِذْعَانِ لَهُ وأنه لا صانع غيره ولا راد لأمره وأن العبد لا يملك شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ وَمَعْنَى الْكَنْزِ هُنَا أَنَّهُ ثَوَابٌ مُدَّخَرٌ فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ ثَوَابٌ نَفِيسٌ كَمَا أَنَّ**

---

[٧٩٣]) المفهم ٧/ ٣٨.

[٧٩٤]) صحيح سنن الترمذي ٢٤٥٠.

[٧٩٥]) صحيح البخاري ٦٣٨٤، صحيح مسلم ٢٧٠٤.

[٧٩٦]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/ ٢٠٠.

الْكَنْـزَ أَنْفَـسُ أَمْـوَالِكُمْ قَـالَ أَهْـلُ اللُّغَـةِ الْحَـوْلُ الْحَرَكَـةُ وَالْحِيلَـةُ أَيْ لَا حَرَكَـةَ وَلَا اسْـتِطَاعَةَ وَلَا حِيلَـةَ إِلَّا بِمَشِـيئَةِ اللَّهِ تَعَـالَى وَقِيـلَ مَعْنَـاهُ لَا حَـوْلَ فِي دَفْـعِ شَـرٍّ وَلَا قُـوَّةَ فِي تَحْصِـيلِ خَـيْرٍ إِلَّا بِاللَّهِ وَقِيلَ لَا حَوْلَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إلا بعصمته ولا قوة على طاعته إلا بمعونته][٧٩٧].

٣/ مـن فـوَّض أمـره لله؛ واعتمـد عليـه؛ واسـتعان بـه؛ وتوكَّـل عليـه؛ وأحسـن الظـن بـه؛ كفـاه الله وحمـاه ووقـاه؛ مـن كـل الشـرور وأهلهـا، وغـيَّر حالـه إلى أحسـن حـال، وقـد ورد في الحـديث العديـد مـن النصـوص الدالـة علـى ذلـك، ومنهـا مـا ورد عـن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم في فضـل الاعتمـاد علـى الله والتوكـل عليـه: " **مـن قـال إذا خـرج مـن بيتـه: بسـمِ اللهِ، توكَّلـتُ علـى اللهِ، لا حـولَ و لا قـوةَ إلا باللهِ، يُقـالُ لـه: كُفِيـتَ و وُقِيـتَ، وتنحَّـى عنـه الشـيطانُ**"[٧٩٨]، وكـذلك ممـا ورد في الـدعوة إلى حسـن الظـن بالله تعـالى، قـول نبينـا محمـد عليـه الصـلاة والسـلام: " **يقـولُ اللَّهُ تَعـالَى: أنا عِنْـدَ ظَـنِّ عَبْـدِي بي**"[٧٩٩]، وفي روايـة: " **فلـيظُنّ بي مـا شـاء**"[٨٠٠]، فظـاهر اللفـظ أن الإنسـان ينالـه ظنـه في ربـه سـبحانه، فمـن ظـن بربـه الخـير نالـه مـا ظـنَّ ورَجَـى وتمـنَّى، قـال المنـاوي: [**أي أنا قـادر علـى أن أعمـل بـه مـا ظـن أني أعاملـه؛ أو أنا عنـد علمـه وإيمانـه بمـا وعـدت مـن قبـول حسـناته، والعفـو عـن زلاتـه، وإجابـة دعواتـه عـاجلا وآجـلا، أو المـراد أنا عنـد أملـه ورجائـه**][٨٠١]، قَـالَ النَّـوَوِيُّ: [**قَـدْ تَتَبَّعْـتُ الْأَحَادِيـثَ الصَّـحِيحَةَ فِي الْخَـوْفِ وَالرَّجَـاءِ فَوَجَـدْتُ أَحَادِيـثَ الرَّجَـاءِ أَضْـعَافَ أَحَادِيـثِ الْخَـوْفِ مَـعَ ظُهُـورِ الرَّجَـاءِ فِيهَـا، قُلْـتُ: لَـوْ لَمْ يَكُـنْ إِلَّا حَـدِيثٌ وَاحِـدٌ وَهُـوَ سَـبَقَتْ أَوْ غَلَبَـتْ رَحْمَـتِي عَلَـى غَضَـبِي لَكَفَـى دَلِـيلًا عَلَـى تَـرْجِيحِ الرَّجَـاءِ وَيُعَضِّـدُهُ آيَـةُ: ﴿ وَرَحْمَـتِي وَسِـعَتْ كُـلَّ شَـيْءٍ﴾[٨٠٢]، بَـلْ هُـوَ أَمْـرٌ مُشَـاهَدٌ فِي عَـالَمِ الْوُجُـودِ مِـنْ غَلَبَـةِ آثَارِ الرَّجَـاءِ عَلَـى آثَارِ الْخَـوْفِ، وَاتَّفَـقَ الصُّـوفِيَّةُ عَلَـى أَنَّ الْعِبَـادَةَ عَلَـى وَجْـهِ**

[٧٩٧]) شرح النووي على مسلم ١٧/ ٢٦.
[٧٩٨]) صحيح الجامع ٦٤١٩.
[٧٩٩]) صحيح البخاري ٧٤٠٥، صحيح مسلم ٢٦٧٥.
[٨٠٠]) صحيح الجامع ٤٣١٦.
[٨٠١]) فيض القدير ٤/ ٤٩٠.
[٨٠٢]) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

الرَّجَاءِ أَفْضَلُ مِنَ الطَّاعَةِ عَلَى طَرِيقِ الْخَوْفِ، وَأَنَّ الْأَوَّلَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ، وَالثَّانِي طَاعَةُ الْعَبِيدِ، وَلِذَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: " أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا"[٨٠٣].

٤/ لا يقدر على تبديل الحال من الأسوأ إلى الأحسن؛ ومن الشر إلى الخير؛ ومن الأصعب إلى الأسهل؛ أو عكس تلك الأحوال؛ إلا الذي بيده مقاليد العباد سبحانه وتعالى؛ كما قال عز وجل: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[٨٠٤] ، فهو المغيِّر لأحوال عباده بإرادة الحكيم القادر سبحانه، قال الطبري: [﴿ **بيدك الخير**﴾، **أي: كل ذلك بيدك وإليك، لا يقدر على ذلك أحد، لأنك على كل شيء قديرٌ، دون سائر خلقك، ودون من اتخذه المشركون من أهل الكتاب والأمِّيين من العرب إلهًا وربًّا يعبدونه من دونك، كالمسيح والأنداد التي اتخذها الأميون ربًّا**][٨٠٥].

٥/ ويغيِّر الله الأحوال حين تتغيَّر وتتبدَّل ما في النفوس من المعاني القلبية التي هي أساس الصلاح أو الفساد؛ كما قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[٨٠٦]، وقال عز وجل: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[٨٠٧]، وقال سبحانه: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾[٨٠٨]، قال الطبري: [**إن الله لا يغير ما بقوم من عافية ونعمة فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من ذلك بظلم بعضهم بعضا، واعتداء بعضهم على بعض، فتحل بهم حينئذ عقوبته وتغييره**][٨٠٩]، وقال الماوردي عند قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ**

---

[٨٠٣]) صحيح البخاري ٤٨٣٦، صحيح مسلم ٢٨١٩.

[٨٠٤]) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

[٨٠٥]) تفسير الطبري ٦/ ٣٠١.

[٨٠٦]) سورة الرعد، الآية: ١١.

[٨٠٧]) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

[٨٠٨]) سورة النحل، الآية: ١١٢.

[٨٠٩]) تفسير الطبري ١٣/ ٤٧١.

لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٨١٠]: **[يحتمل وجهين، أحدهما: أن الله لا يغير ما بقوم من نعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من معصية، الثاني: لا يغير ما بهم من نعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة]**[٨١١].

اللهُمَّ يا مُحَوِّل الحَوْل والأحْوَال حَوِّل حَالَنا وأمَّتَنا إلى أحْسَنِ حَال.

***

[٨١٠]) سورة الرعد، الآية: ١١.

[٨١١]) تفسير الماوردي ٣/ ٩٩.

المجلس (التَّاسع والأربعون)

فضل دعاء المسلم لأخيه في ظهر الغيب

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" **دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لأَخِيهِ بظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ؛ كُلَّما دَعَا لأَخِيهِ بخَيْرٍ قالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بهِ: آمِينَ؛ وَلَكَ بمِثْلٍ**"[٨١٢].

الفوائد:

١/ أكرم الله كل مَن دعا لأخيه بظهر الغيب بدعاء الملَك له بالمثل؛ وهذا من فضله سبحانه عليه، لأنه نصح لأخيه المسلم وصدق في حب الخير له؛ فدعا له بظهر الغيب؛ ولم يقتصر على طلب حاجته أو يستأثر بالدعاء لنفسه ويَغْفل عن غيره، قال القاضي عياض بعد ذكر الحديث السابق: [**فيه أنّ الداعي لأخيه بظهر الغيب له من الأجر بمثل ما دعا به؛ لأنه وإن دعا لغيره فقد عمل عملين صالحين، أحدهما: ذكر الله تعالى مخلصًا له، وفازعًا إليه بلسانه وقلبه، والثاني: محبته الخير لأخيه المسلم ودعاؤه له، وهو عمل خير لمسلم يؤجر عليه، وقد نص فيه أنها مستجابة كما نَصّ في الحديث**][٨١٣]، وهو في الحقيقة تصرُّف لا يكون إلا ممَّن لازمته مكارم الأخلاق؛ ومنها: إيثار الغير بالخير على النفس، والنصح معه بمنحه ما ينفعه، وحب الخير له، واستشعار أحوال الآخرين، ومشاركتهم همومهم وظروفهم وأحوالهم، قال الحسينان: [**والذي يدعو لأخيه المسلم بظهر الغيب يَشعر برقي في المشاعر والأحاسيس؛ فإن هذا الداعي لا يفكر فقط في نفسه أثناء الدعاء بل يفكر في جميع إخوانه المسلمين**][٨١٤]، وكل ذلك يمثِّل برهاناً من براهين الإيمان؛ كما قال رسول الله صلى الله

---

[٨١٢]) صحيح مسلم ٢٧٣٢.

[٨١٣]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/ ٢٢٨.

[٨١٤]) هكذا كان الصالحون ٧٩.

عليه وسلم: " **لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**"[٨١٥]، وبرهاناً من براهين الفلاح كما قال الله تعالى: ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[٨١٦]، وحقًّا من حقوق المسلم على أخيه المسلم؛ وهي التي ورد ذكرها في حديث النبي صلى الله عليه وسلم؛ ومنها: " **وإذا استنصحك فانصَح له**"[٨١٧]، إلى غير ذلك من الصفات الحميدة، التي تمثل آثارا لحسن تعامل المسلم مع إخوانه المسلمين، قال القرطبي في حديث دعاء الملك " **وَلَكَ بِمِثْلٍ**"" السابق: [**المسلم هنا: هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده، الذي يحب للناس ما يحب لنفسه؛ لأنَّ هذا هو الذي يحمله حاله وشفقته على أخيه المسلم أن يدعو له بظهر الغيب، أي: في حال غيبته عنه، وإنما خص حالة الغيبة بالذكر لبعدها عن الرياء، والأغراض المفسدة أو المنقصة؛ فإنه في حال الغيبة يتمحّض الإخلاص، ويصح قصد وجه الله تعالى بذلك، فيوافقه الملك في الدعاء، ويبشره على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بأن له مثل ما دعا به لأخيه، والأخوة هنا: هي الأخوة الدينية**][٨١٨].

٢/ ينال المرء من الخير بحسب نيَّته، ومِن أَعْظَم ما يدلُّ على ذلك ما ورد من ألفاظ الحديث، ومنها: أنْ دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة؛ ثم تأمين الملَك الموكَّل على دعوته بقوله آمين؛ وهو تكريم له على فِعْله الذي يُظْهِر صدق أُخُوَّته لإخوانه؛ المستَحق بسببه الإِكْرام؛ ثم قول الملَك: ولك بالمثل، أي أن يكون لك بقدر ما دعوت لأخيك من أنواع الخير؛ كما في نفس الحديث السابق: " **كُلَّما دَعَا لأَخِيهِ بخَيْرٍ**"[٨١٩]، قال ابن الأمير في حديث " **ولك بمثل**" السابق: [**أي بمثل ما دعوت لأخيك، وهذا دعاء من الملك للداعي، ولا**

---

[٨١٥]) صحيح البخاري ١٣، صحيح مسلم ٤٥.

[٨١٦]) سورة الحشر، الآية: ٩.

[٨١٧]) صحيح مسلم ٢١٦٢.

[٨١٨]) المفهم ٧/ ٦١.

[٨١٩]) صحيح مسلم ٢٧٣٢.

يكـون إلا عـن أمـر الله فاسـتجابته معلومـة واسـتجابة الـداعي لأخيـه مظنونـة، فيتخـرج مـن هذا أنه ينبغي للعبد أن يجعل دعاءه لأخيه جميعه وأنه أفضل][٨٢٠].

٣/ مـن دعـا لأخيـه بظهـر الغيـب فدعوتـه صـادقة، لا مجاملـة بهـا ولا محـاباة ولا حيلـة ولا احتيـال، بـل هـي نابعـة مـن قلـب مُحِـبّ؛ وأخ صـادق؛ قـال الخزنـدار: [**ومـا يعـبر عـن صـدق الأخـوة وحقيقـة الألفـة: مـا تقدمـه لأخيـك مـن دعـوات صـالحات، حيـث لا يسـمعك ولا يـراك، وحيـث لا شـبهة للـرياء أو المداهنـة**][٨٢١]، وهـذا الـدعوات يحتاجهـا كـل مسـلم؛ فكـم مـن محنـة رفعـت بـدعوة؛ وكـم مـن مـرض زال بـدعاء مـن قلـب صـادق، وكـم مـن بـلاء صـرَفه الله بتضـرُّع مـن مُحِـب، فـلا ينبغـي أن يبخـل أحـدٌ علـى أحَـد، فـالنفع للـداعي قبـل مـن يـدعو لـه، ومَـن تمـنَّى لإخوانه أمراً؛ عامَله الله بقَصْده.

اللهُمَّ إنا نسْألك حُبَّك وحُبَّ من يُحِبُّكَ وحُبَّ كُلَّ عَمْلٍ يُقَرِبُنا إلى حُبُّك.

***

[٨٢٠]) التنوير شرح الجامع الصغير ٩/ ٤٨٣.

[٨٢١]) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا ١٦٧.

المجلس (الخمسون)

فضل الصمت على الكلام غير النافع

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

" **مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ**"[٨٢٢].

الفوائد:

١/ خير الكلام ما يُكسِب صاحبه رضى الرحمن؛ ومن ذلك السعي في نفع العباد بما يفيدهم في أمر دينهم ودنياهم؛ بالموعظة الحسنة، والنصيحة الصادقة، والإرشاد القويم، والإصلاح بين المختلفين والمتنازِعين بما فيه الخير للجميع، قال الله تعالى: ﴿ **لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[٨٢٣]، قال السعدي عند ذكر هذه الآية: [**لا خير في كثير مما يتناجى به الناس ويتخاطبون، وإذا لم يكن فيه خير، فإما لا فائدة فيه كفضول الكلام المباح، وإما شر ومضرة محضة كالكلام المحرم بجميع أنواعه**][٨٢٤]، أي إن كثيرا مما يتناجى فيه الناس فيما بينهم لا خير فيه، ومنه فضول الكلام قليلُهُ وكثيرُهُ، والكلام المحرم لذاته أو لغيره، وأما التناجي المباح والمشروع والمندوب إليه فمنه الأمر بالصدقة أو بالمعروف أو الإصلاح بين عباد الله إن فسدت علاقتهم ببعض، أو ساء حالهم.

٢/ أوصى الله تعالى عباده بحفظ ألسنتهم وتنزيهَهَا عن قول الباطل؛ وتزيِيْنَهَا بالقول السديد الموافق للحق؛ والذي به سعادة الدنيا والآخرة؛ وصلاح الحال والمآل، قال الله عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ**

---

[٨٢٢]) صحيح البخاري ٦٠١٩، صحيح مسلم ٤٨.

[٨٢٣]) سورة النساء، الآية: ١١٤.

[٨٢٤]

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[٨٢٥]، قال البغوي عند تفسير هذه الآية عن القول السديد: [**قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: صَوَابًا، وَقَالَ قَتَادَةُ: عَدْلًا، وَقَالَ الْحَسَنُ: صِدْقًا، وَقِيلَ: مُسْتَقِيمًا، وَقَالَ عِكْرِمَةُ هُوَ: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَتَقَبَّلُ حَسَنَاتِكُمْ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: يُزَكِّ أَعْمَالَكُمْ، ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أَيْ: ظَفِرَ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ**][٨٢٦]، وقال الزمخشري: [**قَوْلًا سَدِيداً قاصدا إلى الحق، والسداد: القصد إلى الحق، والقول بالعدل، يقال: سدّد السهم نحو الرميّة: إذا لم يعدل به عن سمتها، كما قالوا: سهم قاصد**][٨٢٧].

٣/ من قَدَر على حفظ لسانه مما لا يفيد ولا ينفع من الكلام؛ فقد أبعد نفسه عن عواقب سقطات الألسنة وآفاتها التي قد لا يسلم منها مَن أطلق للسانه العنان، ونال ما يترتب على ذلك من الجزاء الحسن، وقد ورد كلاما مهما في وصية نبينا محمد عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل وجاء فيها قوله: " **ألا أُخبرُك بِملاكِ ذلك كلِّه قلت بلى يا رسولَ اللهِ، قال كُفَّ عليك هذا وأشار إلى لسانِه، قلت يا نبيَّ اللهِ وإنا لمؤاخذونَ بما نتكلمُ به؟ فقال ثكِلَتك أمُّك يا معاذُ، وهل يكبُّ الناسَ في النارِ على وجوهِهم إلا حصائدُ ألسنتِهم**"[٨٢٨]، قال القرطبي: [**وقد استقرأَ المحاسِبُونَ لأنفسهم آفاتِ اللسان، فوجدوها تُنَيِّفُ على العشرين، وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا جملةً؛ فقال: " وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِم فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِم"**][٨٢٩]، وجاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم الوعد بالجنة لمن ضمن حفظ لسانه بقوله: " **مَن يَضْمَن**

[٨٢٥]) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠.
[٨٢٦]) تفسير البغوي ٦/ ٣٧٩.
[٨٢٧]) تفسير الزمخشري ٣/ ٥٦٣.
[٨٢٨]) صحيح الترمذي ٢٦١٦.
[٨٢٩]) المفهم ١/ ٢٢٩.

لي ما بيْنَ لَحْيَيْهِ وما بيْنَ رِجْلَيْهِ، أضْمَنْ له الجَنَّةَ"[٨٣٠]، وفي ذلك دلالة على أهمية الأمر، وأن المسلم يحتاج لمجاهدة نفسه، وإلى عزيمة وصِدْق إرادة، لأجل التزام القول الحق وترك الباطل.

٤/ يُكتب على المرء ما نطق به لسانه خيرا كان أو شرا؛ وعند الله كتاب أحصى الجميع، وعليه يحاسب الله العبد وبه يكون الجزاء، قال الله تعالى: ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[٨٣١] ، وقال عز وجل: ﴿ **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم، بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**﴾[٨٣٢]، وقال سبحانه: ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾[٨٣٣]، وقد ورد في الحديث الشريف أن عائشة رضي الله عنها قالت عند ذكر هذه الآية: [**تبارَكَ الَّذي وسِعَ سمعُهُ كلَّ شيءٍ ، إنِّي لأسمعُ كلامَ خَولةَ بنتِ ثَعلبةَ ويخفَى علَيَّ بعضُهُ، وَهيَ تشتَكي زَوجَها إلى رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ وَهيَ تقولُ : يا رسولَ اللَّهِ، أَكَلَ شَبابي، ونثرتُ لَهُ بَطني، حتَّى إذا كبُرَتْ سِنِّي، وانقطعَ ولَدي، ظاهرَ منِّي، اللَّهمَّ إنِّي أشكو إليكَ، فما برِحَتْ حتَّى نزلَ جِبرائيلُ بِهَؤلاءِ الآياتِ: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾**][٨٣٤]، قال النووي عند بيان ما يُكتب على الإنسان من قوله: [**وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"**[٨٣٥] **فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فَإِنْ كَانَ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ خَيْرًا مُحَقَّقًا يُثَابُ عَلَيْهِ وَاجِبًا أو مندوبا فَلْيَتَكَلَّمْ، وَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ أَنَّهُ خَيْرٌ يُثَابُ عَلَيْهِ فَلْيُمْسِكْ عَنِ الْكَلَامِ، سَوَاءٌ ظَهَرَ لَهُ أَنَّهُ حَرَامٌ أَوْ مَكْرُوهٌ أَوْ مُبَاحٌ مُسْتَوِي الطَّرَفَيْنِ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ مَأْمُورًا بِتَرْكِهِ؛ مَنْدُوبًا إِلَى الْإِمْسَاكِ عَنْهُ؛ مَخَافَةً مِنِ انْجِرَارِهِ إِلَى الْمُحَرَّمِ أَوِ الْمَكْرُوهِ، وَهَذَا يَقَعُ فِي الْعَادَةِ كَثِيرًا أَوْ غَالِبًا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَلْفِظُ**

---

[٨٣٠]) صحيح البخاري ٦٤٧٤.

[٨٣١]) سورة ق، الآية: ١٨.

[٨٣٢]) سورة الزخرف، الآية: ٨٠.

[٨٣٣]) سورة المجادلة، الآية: ١.

[٨٣٤]) صحيح سنن ابن ماجة ١٦٩١.

[٨٣٥]) صحيح البخاري ٦٤٧٤، صحيح مسلم ٤٧.

مِـنْ قَـوْلٍ الا لديـه رقيـب عتيـد] [٨٣٦]، ثم قـال النـووي ناقـلا آراء أهلـم العلـم: [**وَاخْتَلَـفَ السَّـلَفُ وَالْعُلَمَـاءُ فِي أَنَّـهُ هَـلْ يُكْتَـبُ جَمِيـعُ مَـا يَلْفِـظُ بِـهِ الْعَبْـدُ وَإِنْ كَـانَ مُبَاحًـا لَا ثَـوَابَ فِيـهِ وَلَا عِقَـابَ لِعُمُـومِ الآيـة؟ أم لا يكتـب الا مـا فيـه جَـزَاءٌ مِـنْ ثَـوَابٍ أَوْ عِقَـابٍ؟ وَإِلَى الثَّـانِي ذهـب بـن عَبَّـاسٍ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُمَـا وَغَـيْرُهُ مِـنَ الْعُلَمَـاءِ، وَعَلَـى هَـذَا تَكُـونُ الْآيَـةُ مَخْصُوصَـةٌ، أَيْ مَـا يَلْفِـظُ مِـنْ قَـوْلٍ يَتَرَتَّـبُ عَلَيْـهِ جَـزَاءٌ، وَقَـدْ نَـدَبَ الشَّـرْعُ إِلَى الْإِمْسَـاكِ عَـنْ كَثِـيرٍ مِـنَ الْمُبَاحَـاتِ لِـئَلَّا يَنْجَـرَّ صَـاحِبُهَا إِلَى الْمُحَرَّمَـاتِ أَوِ الْمَكْرُوهَـاتِ، وَقَـدْ أَخَـذَ الْإِمَـامُ الشَّـافِعِيُّ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ مَعْـنَى الْحَـدِيثِ فَقَـالَ: إِذَا أَرَادَ أَنْ يَـتَكَلَّمَ فَلْيُفَكِّـرْ، فَـإِنْ ظَهَـرَ لَـهُ أَنَّـهُ لَا ضَـرَرَ عَلَيْهِ تَكَلَّمَ، وَإِنْ ظَهَرَ لَهُ فِيهِ ضرر أوشك فِيهِ أَمْسَكَ]** [٨٣٧].

٥/ ممـا ينبغـي التنبيـه عليـه في هـذا الأمـر مـا يقـع فيـه كثـير مـن النـاس؛ خاصـة في هـذا الـزمن؛ مـع تـوفر وسـائل التواصـل الاجتمـاعي؛ مـن مسـارعتهم في نقـل الكثـير ممـا يُقـال أو يُسـمع، دون استشـعار لمسـؤولية ذلـك أمـام الله تعـالى، وقـد لام الله قومـا سـارعوا في نقـل مـا لم يفقهـوه مـن أمـرهم الخـاص أو العـام، أو يتأكـدوا مـن صـحته، أو يـدركوا وقتـه المناسـب، وأنسـب مـن يصـدر عنـه الكـلام عمَّـا تنـاقلوا الحـديث عنـه، قـال الله تعـالى: ﴿ **وَإِذَا جَـاءَهُمْ أَمْـرٌ مِّـنَ الْأَمْـنِ أَوِ الْخَـوْفِ أَذَاعُـوا بِـهِ، وَلَـوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُـولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْـرِ مِـنْهُمْ لَعَلِمَـهُ الَّـذِينَ يَسْـتَنبِطُونَهُ مِـنْهُمْ، وَلَـوْلَا فَضْـلُ اللَّهِ عَلَـيْكُمْ وَرَحْمَتُـهُ لَاتَّبَعْـتُمُ الشَّـيْطَانَ إِلَّا قَلِـيلًا**﴾ [٨٣٨]، قـال القشـيري: [**لمّـا كـانوا غـافلين عـن الحـق لم يكـن لهـم مـن ينقـل إليـه أسـرارهم فـأظهروا السـرّ بعضـهم لـبعض، فأمّـا المؤمنـون فعـالم أسـرارهم مـولاهم، ومـا يسـنح لهـم خـاطبوه فيـه فلـم يحتـاجوا إلى إذاعـة السّـر لمخلـوق؛ فسـامع نجـواهم الله، وعـالم خطـابهم الله]** [٨٣٩]، وقـال الواحـدي عـن الآيـة السـابقة: [**نزلـت في أصـحاب الأراجيـف وهـم قـومٌ مـن المنـافقين كـانوا يُرجفـون بسـرايا رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم، ويُخـبرون بمـا وقـع بهـا قبـل أن يُخـبرَ بـه النـبي صـلى الله عليـه وسـلم،**

[٨٣٦]) شرح النووي على مسلم ٢/ ١٩.
[٨٣٧]) شرح النووي على مسلم ٢/ ١٩.
[٨٣٨]) سورة النساء، الآية: ٨٣.
[٨٣٩]) لطائف الإشارات ١/ ٣٥٠.

فَيُضعفون قلوب المؤمنين بذلك، ويُؤذون النبيَّ عليه السَّلام بسبقهم إيَّاه بالإخبار، وقوله: ﴿ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ﴾ حديثٌ فيه أمنٌ، ﴿ أو الخوف﴾ يعني: الهزيمة، ﴿ أذاعوا به﴾ أَيْ: أفشوه، ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ منهم﴾ ولو سكتوا عنه حتى يكون الرَّسول هو الذي يفشيه وأولو الأمر مثل أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم وقيل: أمراء السَّرايا، ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ يتبعونه ويطلبون علمَ ذلك ﴿ منهم﴾ من الرسول وأولي الأمر، ﴿ ولولا فضلُ الله﴾ أي: الإسلام، ﴿ ورحمته﴾ القرآن، ﴿ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إلا قَلِيلا﴾ ممَّن عصم الله، كالذين اهتدوا بعقولهم لترك عبادة الأوثان بغير رسولٍ ولا كتابٍ نحو زيد بن عمرو وورقة بن نوفل وطُلَاّب الدِّين، وهذا تذكيرٌ للمؤمنين بنعمة الله عليهم حتى سلِمُوا من النِّفاق وما ذُمَّ به المنافقون][٨٤٠].

اللهُمَّ اهْدِنَا لأَحْسَنِ الأَقْوَالِ والأَفْعَالِ فإنَّه لا يهْدِي لأحْسَنِها إلا أنْت.

***

[٨٤٠]) الوجيز للواحدي ٢٧٨.

المجلس (الحادي والخمسون)

فضل دفاع المسلم عن عِرْض أخيه

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" **مَن ردَّ عَن عِرضِ أخيهِ ردَّ اللَّهُ عن وجهِهِ النَّارَ يومَ القيامةِ**"[٨٤١].

الفوائد:

١/ حَفِظ الإسلامُ للمسلم مكانته وحثَّه على التخلُّق بمكارم الأخلاق التي تستقيم بها علاقة المسلمين ببعضهم؛ وحذَّره ونهاه عن فعل ما يخدش أو يسيء إلى تلك العلاقة، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ، وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ، بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾[٨٤٢]، وقال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: " **وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا، المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هاهُنا، ويُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، بحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ حَرامٌ؛ دَمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ**"[٨٤٣]، لذا عظَّم الله شأن من ردَّ عن عِرْض أخيه وحَفِظَه وَصَانه، كما في الحديث السابق: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **مَن ردَّ عَن عِرضِ أخيهِ ردَّ اللَّهُ عن**

---

[٨٤١]) صحيح سنن الترمذي ١٩٣١.

[٨٤٢]) الحجرات، الآية: ١١،١٢.

[٨٤٣]) صحيح مسلم ٢٥٦٤.

وجهِهِ النَّارَ يومَ القيامةِ"[٨٤٤]، قال المناوي عند ذكر هذا الحديث: [" **مَن رد عن عرض أخيه" في الدِّين، أي ردَّ على من اغتابه وشان مَن آذاه وعابه " رد الله عن وجهه" أي ذاته وخصَّه لأن تعذيبه أنكى في الإيلام وأشد في الهوان " النار يوم القيامة" جزاء بما فعل، وذلك لأن عرض المؤمن كَدَمِه، فمن هتك عرضه فكأنه سفك دمه، ومن عمل على صون عرضه فكأنه صان دمه، فيجازى على ذلك بصونه عن النار يوم القيامة إن كان ممن استحق دخولها، وإلا كان زيادة رفعة في درجاته في الآخرة في الجنة، والعموم المستفاد من كلمة من مخصوص بغير كافر وغير فاسق متجاهر**][٨٤٥].

٢/ لأهمية ومكانة عِرْض المسلم في الإسلام؛ وبيان وجوب حمايته والدفاع عنه؛ قَرَنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمتها بحرمة الدماء التي عظَّم الله شأنها وحرَّمها بين المسلمين، كما ورد في الحديث الشريف السابق قول النبي صلى الله عليه وسلم: " **كلُّ المسلِمِ على المسلِمِ حرامٌ، دمُهُ، ومالُهُ، وعِرضُهُ**"[٨٤٦]، وقوله عليه الصلاة والسلام في حجَّة الوداع: " **فإنَّ دِماءَكُمْ وأَمْوالَكُمْ وأَعْراضَكُمْ علَيْكُم حَرامٌ، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا**"[٨٤٧]، قال المناوي: [**فكما أن قتله حرام فماله وعرضه عليه حرام، وإن تفاوت مقدار الحرم واختلفت مراتب** العقاب][٨٤٨]، وقال ابن عبد البر: [**وإنَّ عِرْضَ المسلم ودمَه محظوران محرَّمان لا يَحِلَّانِ إلَّا بيقينٍ لا شكَّ فيه**][٨٤٩]، لذا بيَّن عليه الصلاة والسلام خطر التطاول في عرض المسلم بغير حق فقال: " **إن من أرْبى الربا الاستطالةَ في عرضِ المسلمِ بغيرِ حقٍّ**"[٨٥٠]، قال البيضاوي عند شرح هذا الحديث: [" **الاستطالة في عرض المسلم": أن يتناول منه أكثر مما يستحقه على ما قيل له، أو أكثر مما رخص له**

---

[٨٤٤]) صحيح سنن الترمذي ١٩٣١.

[٨٤٥]) فيض القدير ٦/ ١٣٥.

[٨٤٦]) صحيح مسلم ٢٥٦٤.

[٨٤٧]) صحيح البخاري ١٧٣٩، صحيح مسلم ١٦٧٩.

[٨٤٨]) فيض القدير ٣/ ٣٨١.

[٨٤٩]) التمهيد ٣/ ٧٢٥.

[٨٥٠]) صحيح أبي داود ٤٨٧٦.

فيه، ولذلك مثَّله بالربا، وعدَّه من عداده، ثم فضَّله على سائر أفراده، لأنه أكثر مضرَّة، وأشد فسادا، فإن العِرْض شرعا وعقلا أعزّ على النفس من المال، وأعظم منه خَطَرا، ولذلك أوجب الشارع بالمجاهرة بهَتْك الأعراض ما لم يُوْجِب بنهب الأموال][٨٥١]، وقال البيضاوي أيضا: [" **أربى": أفعل التفضيل من الربا، و " الاستطالة": إطالة اللسان في غيبةِ أحدٍ أو قذفه أو شتمه؛ يعني: غيبة الناس وقذفهم أشد من أكل الربا وأخذه وإعطائه؛ لأن نفس المسلم أشرف من ماله، فإيذاءٌ يتعلق بنفسه أشدُّ من ضررٍ يتعلق بماله]**[٨٥٢].

٣/ من أعظم ما يقوم به ويفعله المسلم تجاه أعْرَاض إخوانه المسلمين أن يُبْعِدَ مَن له سلطة عليهم عن مَوَاطِن الشَّك والشُّبْهة والرِّيْبَة؛ وأن يُساهم في نشر ثقافة حُرْمَة أعراض المسلمين على بعضهم؛ وأن يكون عونا لإخوانه على تَمَثُّل أخلاق المسلم المحافظ على قِيَمِه وأخلاقه ومبادئه، ليكون ذلك سلوكا يوميا لديه؛ يساعد في بناء مجتمع محَافظ ومثالي، وقد ورد عن صفية أم المؤمنين رضي الله عنها أنَّها جَاءَتْ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ تَزُورُهُ وهو مُعْتَكِفٌ في المسْجِدِ، في العَشْرِ الأوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ معهَا رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، حتَّى إذَا بَلَغَ قَرِيبًا مِن بَابِ المسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، مَرَّ بهِما رَجُلَانِ مِنَ الأنْصَارِ، فَسَلَّما علَى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ثُمَّ نَفَذَا، فَقالَ لهما رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: " **علَى رِسْلِكُمَا**"، قالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يا رَسولَ اللَّهِ! وكَبُرَ عليهما ذلكَ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: " **إنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الإنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وإنِّي خَشِيتُ أنْ يَقْذِفَ في قُلُوبِكُما شيئًا**"[٨٥٣]، قال الخطابي عند ذكر هذا الحديث: [**فيه من العلم استحباب أن يتحرز الإنسان من كل أمر من المكروه مما تجري به الظنون ويخطر بالقلوب، وأن يطلب السلامة من الناس بإظهار البراءة من الرِّيْب، ويحكى عن الشافعي رحمه الله في هذا أنه قال خاف النبي صلى الله عليه وسلم أن يقع في قلوبهما شيء من أمره فيكفرا، وإنما قال ذلك لهما**

---

[٨٥١]) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة ٣/ ٢٦٦.

[٨٥٢]) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة ٥/ ٢٤١

[٨٥٣]) صحيح البخاري ٢٠٣٥.

شفقة عليهما لا على نفسه][٨٥٤]، وقال ابن الملقن عن الحديث ذاته: [**فيه استحباب التَّحَرُز من التعرض لسوء الظن، وطلب السلامة، والاعتذار بالأعذار الصحيحة تعليمًا للأمة**][٨٥٥].

اللهُمَّ أحفَظْنا فوْق الأرْض، وتحْت الأَرْض، ويوْم العَرْض عليك يا رب العالمين.

***

[٨٥٤]) معالم السنة ٤/ ١٣٤.

[٨٥٥]) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ١٣/ ٦٥١.

المجلس (الثَّاني والخمسون)

قُبْح ادِّعاءِ المرء لنَفْسِهِ مِن الفَضْل ما ليْس فيْه

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" **المُتَشَبِّعُ بما لَمْ يُعْطَ كَلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**"[٨٥٦].

الفوائد:

١/ من البهتان؛ وتزوير الأمور؛ وقَلْبِهَا عن حقائقها؛ أن يدَّعي المرء لنفسه من العلم أو الخُلُق والأدَب؛ أو غير ذلك من أنواع الفضل؛ ما ليس فيه؛ وقد توعَّد الله بالعذاب قوماً نسَبُوا إلى أنفسهم ما ليس فيهم من الأفعال الحسنة؛ توبيخاً لهم على صنيعهم ذلك؛ قال تعالى: ﴿ **لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[٨٥٧]، قال الماوردي عن المذكورين في الآية: [**فيهم قولان: أحدهما: أنهم أهل الكتاب فرحوا بالاجتماع على تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وإخفاء أمره، وأحبواْ أن يُحْمَدواْ بما ليس فيهم من أنهم أهل نسك وعلم، وهذا قول ابن عباس والضحاك، والثاني: أنهم أهل النفاق، فرحوا بقعودهم عن القتال، وأحبواْ أن يحمدوا بما ليس فيهم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، وهذا قول أبي سعيد الخدري وابن زيد**][٨٥٨]، وقال السعدي: [**قال تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾ أي: من القبائح والباطل القولي والفعلي، ﴿ وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ أي: بالخير الذي لم يفعلوه، والحق الذي لم يقولوه، فجمعوا بين فعل الشر وقوله، والفرح بذلك ومحبة أن يحمدوا على**

---

[٨٥٦]) صحيح البخاري ٥٢١٩، صحيح مسلم ٢١٣٠.

[٨٥٧]) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

[٨٥٨]) تفسير الماوردي ١/ ٤٤٢.

فعل الخير الذي ما فعلوه، ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ أي: بمحل نجوة منه وسلامة، بل قد استحقوه، وسيصيرون إليه، ولهذا قال: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾][٨٥٩].

٢/ البقاء والدَّوام لكلِّ أمر من أمور البر والخير، أساسه تقوى الله تعالى ورضوان منه، وما سوى ذلك فهو باطل لا دوام له؛ مهما حاول أهله تزيينه، وإعلاء شأنه، قال الله عز وجل: ﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[٨٦٠]، قال الزجاج عند تفسير هذه الآية: **[المعنى أن من أسس بنيانه على التقوى خير ممن أَسَّسَ بُنْيَانَهُ على الكفر**[٨٦١]**]**، وقال الطبري: **[أمَن ابتدأ أساس بنائه على طاعة الله وعلم منه بأن بناءه لله طاعة والله به راض، أم مَن ابتدأه بنفاق وضلال وعلى غير بصيرة منه بصواب فعله من خطئه، فهو لا يدري متى يتبين له خطأ فعله وعظيم ذنبه فيهدمه، كما يأتي البناء على جرف ركية لا حابس لماء السيول عنها ولغيره من المياه ترى به التراب متناثرا لا تلبث السيول أن تهدمه وتنثره؟ يقول الله جل ثناؤه: ﴿ فَانْهَارَ بِهِ فِي﴾: يعني فانتثر الجرف الهاري ببنائه في نار جهنم]**[٨٦٢].

٣/ ثبات النُّفوس على الحقِّ؛ ونجاح وفلاح أصحابها في الدُّنيا والآخرة؛ بدوام حياة كلِّ مبدأٍ أصيل فيها؛ أساسه ثابت وأصله ثابت؛ فالثبات ثمرة لذلك الأساس القويم، فهو ثبات على ثبات، أما النفوس التي زُيِّنَت بما لا أساس لها ولا أصل، فلا ينفعها لباس خالف حقيقتها من الأوصاف والألقاب والمسميَّات، مهما اشرأبَّت لها الأعناق؛ وتحدَّقت لها الأبصار؛ قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ، يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَيُضِلُّ اللَّهُ**

---

[٨٥٩]) تفسير السعدي ١٦٠.

[٨٦٠]) سورة التوبة، الآية: ١٠٩.

[٨٦١]) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٤٦٩.

[٨٦٢]) تفسير الطبري ١١/ ٤٦٥.

الظَّالِمِينَ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[٨٦٣]، قال الزجاج عند تفسير الآيات السابقة: [**ضرب اللَّه عزَّ وجلَّ للإيمان به مثلًا، وللكفر به مَثَلاً، فجعل مَثل المؤمِنِ في نطقه بتوحيده والإيمان بنبيه واتباع شريعته كالشجرَة الطيبة، فجعل نفع الإقامة على توحيده كنفع الشجرة الطيبة التي لا ينقطعَ نفعُها، وثمرها، وجاء في التفسير أن الشجرة الطيبة النخلة، والدليل على أن هذا المثل يراد به توحيد اللَّه والإيمانُ بنَبِيِّهِ وشرِيعَتِه؛ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾**[٨٦٤]] [٨٦٥]، وقال السعدي: [**يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها، وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت " من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ " هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن: " الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي "، ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم**][٨٦٦].

اللهُمَّ اهْدِنا وسَدِدْنا، اللهُمَّ يا مُقَلِّب القُلُوْب ثَبِّت قلُوْبَنا علَى دِيْنِك.

***

[٨٦٣]) سورة إبراهيم، الآية: ٢٦، ٢٧، ٢٨.

[٨٦٤]) سورة إبراهيم ٢٨.

[٨٦٥]) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ١٦٠.

[٨٦٦]) تفسير السعدي ٤٢٥.

المجلس (الثَّالث والخمسون)

الدعوة إلى نبذ سيِّئ الأخلاق

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **ليسَ المؤمنُ بالطَّعَّانِ ولا اللَّعَّانِ ولا الفاحشِ ولا البَذيءِ**"[٨٦٧].

الفوائد:

١/ حُسْنُ الخُلُق؛ وصَالحُ القَوْل؛ وجَمَالُ اللَّفْظ؛ كمالٌ لإيمان العبد؛ ورفعةٌ في درجاته؛ وصلاحٌ لحَاله عند الله ثم عند خلقه؛ وقد ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **أكْملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهُم خلقًا**"[٨٦٨]، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **ما شيءٌ أثقلُ في ميزانِ المؤمِنِ يومَ القيامةِ مِن خُلُقٍ حسَنٍ**"[٨٦٩]، وقال عليه الصلاة والسلام: " **وإنَّ صاحبَ حُسنِ الخلقِ ليبلُغُ بِهِ درجةَ صاحبِ الصَّومِ والصَّلاةِ**"[٨٧٠]، وقال: " **إنَّهُ مَن أُعْطيَ حظَّهُ مِنَ الرِّفقِ، فقَدْ أُعْطيَ حظَّهُ من خيرِ الدُّنيا والآخِرةِ، وصلةُ الرَّحمِ، وحُسنُ الخُلُقِ وحُسنُ الجِوارِ، يُعمِّرانِ الدِّيارَ، ويَزيدانِ في الأعمارِ**"[٨٧١].

وبالمقابل فإن سوء الأخلاق والفحش في القول داء عظيم يقع فيه الإنسان، وهو مَذَمَّة للمرء عند الله وعند خلقه؛ ومن الواجب على كل مسلم نبذ كل صفات السوء القولية والفعلية؛ فإنه لا يكتمل إيمان بلا اتِّباع، ولا ينبغي لمؤمن أن يخدش إيمانه بما لا يرضاه الله ورسوله من قول أو فعل.

---

[٨٦٧]) صحيح سنن الترمذي ١٩٧٧.
[٨٦٨]) صحيح سنن الترمذي ١١٦٢.
[٨٦٩]) صحيح سنن الترمذي ٢٠٠٢.
[٨٧٠]) صحيح سنن الترمذي ٢٠٠٣.
[٨٧١]) السلسلة الصحيحة ٥١٩.

وإذا كان الخلق الحسن مَزيَّة ورِفْعة للإنسان في الدنيا والآخرة، فإن سوء الخلق نقيض ذلك، وهذا المعنى يُفْهم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: [**ما شيءٌ أثقلُ في ميزانِ المؤمنِ يومَ القيامةِ مِن خُلُقٍ حسَنٍ، فإنَّ اللَّهَ تعالى ليُبغِضُ الفاحشَ البَذيءَ**][٨٧٢]، قال الطيبي: [**أوقع قوله: " وإن الله يبغض الفاحش البذيء" مقابلا لقوله: " إن أثقل شيء يوضع في الميزان"، دلالة على أن أخف ما يوضع في الميزان هو سوء الخلق، وأن حسن الخلق أحب الأشياء عند الله تعالى، والخلق السيئ أبغضها، وأن الفحش والبذاءة أسوأ شيء في مساوئ الأخلاق**][٨٧٣].

ومن أعظم الفحش أن يبلغ المرء فيه مبلغا يكون الناس بسبب ذلك أحرص على هجره مخافة أذاه، والعقاب والوعيد المترتب على ذلك يؤكِّد خطورة ما وقع فيه، فقد قال عليه الصلاة والسلام: " **إنَّ شَرَّ الناسِ عندَ اللهِ منزلةً يومَ القيامَةِ مَنْ تَرَكَهُ الناسُ اتقاءَ شرِّهِ**"[٨٧٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيلَ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: يا رَسولَ اللهِ! إنَّ فلانةَ تقومُ اللَّيلَ وتَصومُ النَّهارَ وتفعلُ، وتصدَّقُ، وتُؤذي جيرانَها بلِسانِها؟ فقال رسولُ اللهِ صلَّى الله عليهِ وسلم: " **لا خَيرَ فيها، هيَ من أهلِ النَّارِ، قالوا: وفُلانةُ تصلِّي المكتوبةَ، وتصدَّقُ بأثوارٍ، ولا تُؤذي أحدًا؟ فقال رسولُ اللهِ: هيَ من أهلِ الجنَّةِ**"[٨٧٥]، قال الخطابي عند شرح الحديث السابق" **إنَّ شَرَّ الناسِ عندَ اللهِ منزلةً يومَ القيامَةِ مَنْ تَرَكَهُ الناسُ اتقاءَ شرِّهِ**"[٨٧٦]: [**يجمع هذا الحديث علمًا وأدبًا؛ وليس قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بالأمور التي يَسِمُهُم بها ويُضِيْفُها إليهم من المكروه غِيْبةً وإثمًا، كما يكون ذلك من بعضهم في بعض؛ بل الواجب عليه أن يبين ذلك ويُفصح به ويعرف الناس أمره، فإن ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة**][٨٧٧].

---

[٨٧٢]) صحيح الترمذي ٢٠٠٢.

[٨٧٣]) شرح المشكاة للطيبي ١٠/ ٣٢٣٥.

[٨٧٤]) صحيح البخاري ٦٣٢، صحيح مسلم ٢٥٩١.

[٨٧٥]) صحيح الأدب المفرد ٨٨.

[٨٧٦]) صحيح البخاري ٦٣٢، صحيح مسلم ٢٥٩١.

[٨٧٧]) أعلام الحديث ٣/ ٢١٨٠.

٢/ ويؤكد أهمِّيَّة مكارم الأخلاق؛ وعظيم قدر الملتزم بها؛ ما قاله الله سبحانه وتعالى عن نبيِّه محمد عليه الصلاة والسلام؛ مُثْنِيَاً عليْه ومادحاً إيَّاه؛ بكَمَال أخلاقه وجمال صفاته؛ فقال عزَّ مِن قائل: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٨٧٨]، ولم يكن ذلك إلا بما يصح من الثناء بأمر عظيم على من يستحقه، قال أبو عمر بن عبد البر: [**قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: كَانَ خُلُقُهُ مَا قَالَ اللَّهُ:** ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾][٨٧٩]، وقال القرطبي عن هذه الآية: [**فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ حُسْنِ الْأَخْلَاقِ مَا لَا يَسْتَطِيعُ امْتِثَالَهُ إلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَكَيْفَ سَائِرُ مَا تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ وَسُنَّةُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ**][٨٨٠]، وقال أبو حامد الغزالي في بيان عظيم فضل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: [**لَمَّا أَكْمَلَ اللَّهُ تَعَالَى خُلُقَهُ أَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ تَعَالَى** ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٨٨١]**فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم امتنانه، ثم انظر إلى عميم لطفه وعظيم فضله؛ كيف أعطى ثم أثنى؛ فهو الذي زينه بالخلق الكريم؛ ثم أضاف إليه ذلك فقال** ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٨٨٢]، **ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم لِلْخَلْقِ أَنَّ اللَّهَ " يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَيَبْغَضُ سَفْسَافَهَا"**[٨٨٣]][٨٨٤]، ثم إنه قد حكى الله عن أنبياءه من قَبْل محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام وما بلغ بهم الحال من الهُدى وكمال الصفات؛ فأرشد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم إلى الاقتداء بهديهم؛ والسير على نهجهم، فقال تعالى: ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ، فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾[٨٨٥]، وهذه الوصية والتوجيه يضيف خيرا إلى خير وكمالا إلى كمال، قال أبو عمر بن عبد البر عند الاستشهاد بهذه الآية: [**فجازَ الاقتِداءُ بكلِّ ما ورَدَ به القُرآنُ من شَرائع الأنبياءِ، إلّا أن يمنعَ من ذلكَ ما يجِبُ التَّسليمُ لهُ، من نَسْخ في الكِتابِ، أو سُنَّةٍ واردةٍ عن النَّبيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ**

---

[٨٧٨]) سورة القلم، الآية: ٤.

[٨٧٩]) التمهيد ٨/ ١٤٨.

[٨٨٠]) المنتقى شرح الموطأ ٧/ ٢١٣.

[٨٨١]) سورة القلم، الآية: ٤.

[٨٨٢]) سورة القلم، الآية: ٤.

[٨٨٣] * صحيح الجامع ١٨٩٠.

[٨٨٤]) إحياء علوم الدين ٢/ ٣٥٨.

[٨٨٥]) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

وَسَلَّمَ – بخِلافِ ذلكَ تُبيِّنُ مُرادَ الله، فيُعلَمُ حينئذٍ أنَّ شَريعتنا مُخالِفةٌ لشَريعتِهم، فتُحملُ على ما يَجِبُ الاحتِمالُ عليه من ذلكَ، وبالله التَّوفيقُ][٨٨٦].

٣/ ومما يشار إليه هنا أن الأخلاق الحسنة تُكْتَسَب وتُنَمَّى، فما كان موجوداً منها فليُحافَظ عليه ويُعزَّز بغيره من الصِّفات الحميدة؛ فمِنْ سَمَاحة الإسلام عدم إلغاء ما تَوَارَثَه الناسُ من بيئاتهم أو أسلافهم؛ من حميْد الصفات ومكارم الأخلاق؛ بل حثَّ على تعزيزه بما يمكن من صفات الخير؛ ويشهد لذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: " **إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ**"[٨٨٧]، قال الباجي القرطبي عن هذا الحديث: [**يُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ بُعِثْت بِالْإِسْلَامِ لِأُتَمِّمَ شَرَائِعَهُ، وَحُسْنُ هَدْيِهِ وَزِيِّهِ وَسَمْتِهِ حُسْنُ الْأَخْلَاقِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ وَإِنْ كَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ أَخْلَاقًا بِمَا بَقِيَ عِنْدَهُمْ مِمَّا تَقَدَّمَ مِنْ الشَّرَائِعِ قَبْلَهُمْ، فَقَدْ كَانُوا أَضَلُّوا بِالْكُفْرِ عَنْ كَثِيرٍ مِنْهَا، وَمِنْهَا مَا خُصَّ بِهِ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَتِمُّ بِالْأَمْرَيْنِ مَحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ]**[٨٨٨]، وخلاصة الكلام السابق أن الْعَرَب كانت أحسن النَّاس أَخْلَاقًا بِمَا بَقِي عِنْدهم من شَرِيعَة إِبْرَاهِيم ومن قبله من الرسل، وَكَانُوا ضلُّوا بالْكفْر عَن كثير مِنْهَا فَبعث صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ليتمم محَاسِن الْأَخْلَاق بِبَيَان مَا ضلوا عَنهُ وَبِمَا خص بِهِ فِي شَرِيعَته، وقال ابن عبد البر عند ذكر الحديث السابق: [**وَيدخل فِيهِ الصّلاح وَالْخَيْر كُله، وَالدّين وَالْفضل والمروءة وَالْإِحْسَان وَالْعدْل، فبذلك بعث ليتممه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم]**[٨٨٩]، وقال: [**وقد قال العلماءُ: إن أجمعَ آيةٍ للبرِّ والفضلِ ومكارم الأخلاقِ قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**[٨٩٠]**، وروينا عن عائشة أنها قالت: مكارمُ الأخلاق؛ صدقُ الحديث، وصدقُ الناس، وإعطاءُ السائل، والمكافأةُ، وحفظُ الأمانة، وصلةُ الرحم، والتذمُّمُ للصاحب، وقِرَى الضيف، والحياءُ رأسُها، قالت: وقد تكونُ مكارمُ**

---

[٨٨٦]) التمهيد ٧/ ٢٢٩.

[٨٨٧]) السلسلة الصحيحة ٤٥.

[٨٨٨]) المنتقى شرح الموطأ ٧/ ٢١٣.

[٨٨٩]) التمهيد ١٦/ ٢٧٧.

[٨٩٠]) سورة النحل، الآية: ٩٠.

الأخلاقِ في الرجلِ ولا تكونُ في ابنِه، وتكونُ في ابنِه ولا تكونُ فيه، وقد تكونُ في العبدِ ولا تكونُ في سيِّدِه؛ يقسِمُها اللهُ لمن أحبَّ][٨٩١].

اللهُمَّ نسألك أحسن القول والعمل، ونعوذ بك من سيئ القول والعمل.

***

[٨٩١]) التمهيد/ ١٦/ ٢٧٧.

المجلس (الرَّابع والخمسون)

مخالفة الفِطْرة التي فَطَر اللهُ الناسَ عليها

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" **لَعَنَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بالنِّسَاءِ، والمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بالرِّجَالِ**"[٨٩٢].

الفوائد:

١/ خلَق اللهُ تعالى الإنسان على أكمل هيئة؛ وأحسن صورة؛ وخير حال؛ قال الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾[٨٩٣]، والسَّعي لتغيير خلق الله؛ ومحاولة تشويه صنعة الله؛ قد يوصل إلى انتكاسٍ في فطرة السَّاعي إلى ذلك، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[٨٩٤]، وفطرة الله المذكورة في الآية هي دين الله الإسلام، كما سيأتي من كلام أهل العلم من المفسرين وغيرهم، والمخالف لدين الله من الأفعال أو الأقوال هو مخالف للفطرة التي فطر الله الناس عليها، وقد نقل أبو عمر بن عبد البر قول أهل العلم فقال بأن: [**الْفِطْرَةُ هَهُنَا الْإِسْلَامُ، قَالُوا وَهُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ عَامَّةِ السَّلَفِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّأْوِيلِ قَدْ أَجْمَعُوا فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا عَلَى أَنْ قَالُوا فِطْرَةُ اللَّهِ دِينُ اللَّهِ الْإِسْلَامُ، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ اقْرَأوا إِنْ شِئْتُمْ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**][٨٩٥]، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أشاروا إليه هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ**

---

[٨٩٢]) صحيح البخاري ٥٨٨٥.

[٨٩٣]) سورة التين، الآية: ٤.

[٨٩٤]) سورة الروم، الآية: ٣٠.

[٨٩٥]) التمهيد ١٨/ ٧٢.

أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ"[٨٩٦]، ثم قال أبو هريرة اقرأوا إن شئتم: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[٨٩٧] ، قال الطيبي: [**الفطرة تدل على نوع من الفطر وهو الابتداء والاختراع؛ والمعنى بها هنا تمكّن الناس من الهدى في أصل الجبلة بالتهيؤ لقبول الدين؛ فلو تُرِك عليها استمر على لزومها ولم يفارقها لغيرها؛ لأن هذا الدين حسنه مركوز في النفوس؛ وإنما يعدل عنه بآفة من الآفات البشرية والتقليد، .. والحاصل أن الإنسان مفطور على التهيؤ للإسلام بالقوة؛ لكن لا بد من تعلمه بالفعل؛ فمن قدر الله كونه من أهل السعادة قيَّض الله له من يعلمه سبيل الهدى؛ فصار مهذبا بالفعل، ومن خذله وأشقاه سبَّب له من يغيّر فطرته ويثني عزمته؛ والله سبحانه هو المتصرف في عبيده كيف يشاء** ﴿ **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾[٨٩٨]][٨٩٩].

٢/ وإنَّ التشبُّه المنهي عنه هو التشبُّه بما يكون من الخصوصيَّات التي يتميَّز بها كل صنف عن الآخر؛ من الأفعال أو الأقوال أو الحركات؛ فكل تشبُّه من الرِّجال بالنساء؛ ومن النساء بالرِّجال؛ اختياراً منهم؛ لا إجباراً ولا خِلْقَةً؛ من قولٍ أو فعلٍ؛ أو حركة؛ داخل في معنى الحديث السابق؛ ويَشمله الحكم المترتِّب عليه؛ وقد وردت عدد من النصوص الشرعية في بيان هذا الأمر؛ من ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: " **لعنَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الرَّجلَ يلبسُ لبسةَ المرأةِ والمرأةَ تلبسُ لبسةَ الرَّجل**"[٩٠٠]، وعن عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت :" **لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَةَ مِنْ النِّسَاءِ**"[٩٠١]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: " **لَعَنَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، والْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، وقَالَ: أخْرِجُوهُمْ مِن بُيُوتِكُمْ قَالَ: فأخْرَجَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه**

---

[٨٩٦]) صحيح البخاري ١٣٥٩، صحيح مسلم ٢٦٥٨.

[٨٩٧]) سورة الروم، الآية: ٣٠.

[٨٩٨]) سورة الشمس، الآية: ٨.

[٨٩٩]) فيض القدير ٥/ ٣٣.

[٩٠٠]) صحيح أبي داوود ٤٠٩٨.

[٩٠١]) صحيح الجامع ٥٠٩٦.

وسلَّمَ فُلَانًا، وأَخْرَجَ عُمَرُ فُلَانًا"[٩٠٢]، قال المناوي عد ذكر حديث أبي هريرة السابق: [**فيه كما قال النووي: حرمة تشبه الرجال بالنساء وعكسه؛ لأنه إذا حرم في اللباس ففي الحركات والسكنات والتصنع بالأعضاء والأصوات أولى بالذم والقبح، فيحرم على الرجال التشبه بالنساء؛ وعكسه في لباس اختص به المشبه، بل يفسق فاعله للوعيد عليه باللعن**]، وجاء في الموسوعة الحديثية: [**يقولُ أبو هُرَيْرَةَ رضِيَ اللهُ عنه: "لعَنَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم"، واللَّعنُ هو الطَّرْدُ من رَحمةِ اللهِ، وهو هنا بمَعنَى الدُّعاءِ عليهم، والتوعُّدِ لهم بالطَّردِ من الرَّحمةِ، " الرَّجل يلبسُ لبسةَ المرأةِ والمرأةَ تلبسُ لبسةَ الرَّجل"[٩٠٣]، وذلك بأنْ يَتشبَّهَ الرجُلُ بِالمرأةِ في الملابسِ الخاصَّةِ بالنِّساءِ، سواءٌ في الهيئةِ أو الكَيفيَّةِ أو طَريقةِ اللُّبسِ، أو تَتشبَّه المرأةُ بالرجُلِ في الملابسِ الخاصَّةِ بالرِّجالِ؛ لأنَّ التشبُّهَ يَدلُّ على التَّبعيةِ، والانقيادِ، ولا يقِفُ الأمرُ عندَ التشبُّهِ في الملابسِ، بل يَنسحِبُ إلى التشبُّهِ في الأقوالِ والأفعالِ، فتترُك المرأةُ ما فُطِرتْ عليه من نُعومةٍ وحَنانٍ وعَطفٍ، ويتَّصِف الرَّجُلُ بالأُنوثةِ والنُّعومةِ، وكلُّ ذلك بخِلافِ ما فَطَرَهُ اللهُ عليه من القوةِ والخشونةِ، فتتبدَّلُ الأحوالُ بما يُفسِد طبيعةَ خلْقِ اللهِ للعبادِ، وهو ما يؤدِّي إلى فَسادِ المجتمعاتِ، وخاصَّةً إذا كثُر ذلك وانتشَرَ**][٩٠٤].

٣/ إن تشبه المسلم والمسلمة المحمود الذي ينبغي أن يبادر إليه كل شخص هو التشبه في إنجاز أعمال البر والإحسان وسائر الطَّاعات والعبادات، فالمنافسة في كل ذلك محمودة ومحبَّب إليها؛ وصاحبها ممدوح عند الله ثم عند خلقه؛ لأنَّها منافسَةٌ في أمرٍ معروفٍ شرعا ثم عرفا؛ يُنْدب إليه كل من يقدر على فعله؛ أيا كان قدره أو وقته أو مكانه، وقد دعا الله تعالى عباده جميعا إلى التنافس فيما يورث رضاه والجنة، جاء ذلك في كثير من النصوص، منها ما جاء بعد ذكر أنواعٍ من الفضل الذي يناله المؤمن في الجنة قال الله سبحانه: ﴿ **وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾[٩٠٥]، وبعد ذكر النجاة من النار ودخول الجنة قال عز وجل: ﴿

---

[٩٠٢]) صحيح البخاري ٦٨٣٤.

[٩٠٣]) صحيح أبي داوود ٤٠٩٨.

[٩٠٤]) موقع الموسوعة الحديثية، https://dorar.net/hadith/sharh/113810.

[٩٠٥]) سورة المطففين، الآية: ٢٦.

لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[٩٠٦]، فلم يخصّ أحداً دوْن أحد من الدعوة إلى ذلك الخير، وأما في أمر الدنيا فقد ينافس الإنسان غيره في الكسب الحلال بما لا يضر أمر آخرته، فقد قال الله تعالى: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾**[٩٠٧]، قال الطبري في تفسير هذه الآية: [**ولا تترك نصيبك وحظك من الدنيا، أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة، فتعمل فيه بما ينجيك غدا من عقاب الله**][٩٠٨]، فالأخذ من الدنيا لا بد أن يلازمه الحذر من الوقوع في شراكها وحبالها المهلكة؛ وأن يكون ذلك نصب عين المؤمن، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الأمر فقال: " **فَوَاللَّهِ لا الفَقْرَ أَخْشَى علَيْكُم، ولَكِنْ أَخَشَى علَيْكُم أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كما بُسِطَتْ علَى مَن كانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا وتُهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهُمْ**"[٩٠٩]، قال الشيرازي في شرح هذا الحديث: [**أي: فتختاروها وترغبوا فيها، ويَكثر اشتغالكم في جمعها، وتقلّ طاعتكم، ويحصل بينكم العداوة بسبب المال، فيقتل بعضكم بعضًا وتقعوا في المعاصي**][٩١٠].

اللهُمَّ حبِّب إليْنا الإيْمَان وزيِّنْه في قُلوْبِنا، وكَرِّه إليْنَا الكُفْر والفُسُوْق والعِصْيَان، واجْعَلْنَا مِن الرَّاشِدِيْن.

***

[٩٠٦]) سورة الصافات، الآية: ٦١.
[٩٠٧]) سورة القصص، الآية: ٧٧.
[٩٠٨]) تفسير الطبري ١٩/ ٥٢٤.
[٩٠٩]) صحيح البخاري ٣١٥٨.
[٩١٠]) المفاتيح في شرح المصابيح ٥/ ٢٧٨.

المجلس (الخامس والخمسون)

نَبْذُ الكِبْرِ وأهْلِه

عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

" لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ، قالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يَكونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ونَعْلُهُ حَسَنَةً، قالَ: إنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ"[٩١١].

الفوائد:

١/ طهارة القلوب من سائر أمراضها، وأعظمها الشكّ والشرك؛ ونظافتها من كل ما يفسدها من العيوب الباطنة؛ وسلامتها ممَّا يضرُّها من العوارض الدخيلة؛ أمور مُعِيْنة للمرء على السَّير إلى الله تعالى؛ إضافة إلى أن ذلك أصل القبول، قال ربُّنا سبحانه: ﴿ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[٩١٢]، قال الطبري عند تفسير هذه الآية: [**والذي عني به من سلامة القلب في هذا الموضع: هو سلامة القلب من الشكّ في توحيد الله، والبعث بعد الممات**][٩١٣]، وقال الزجاج: [**سليم من الشرك، وهو سليم من الشرك ومن كل دَنسٍ**][٩١٤]، وقال ابن عطية: [**وقوله تعالى: ﴿ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قال المفسرون: يريد من الشرك والشك وجميع النقائص التي تلحق قلوب بني آدم كالغل والحسد والكبر ونحوه**][٩١٥]، وقال الماتريدي: [**والقلب السليم: هو السالم عن الشرك، أو السليم عن الآفات والذنوب، والخالص لربه لا يجعل لغيره فيه حقا ولا نصيبا، وشرط فيه إيتاءه ربه ما ذكر؛ ليعلم أنه ما لم يقبض على السلامة والتوحيد لا ينفعه ما كان منه من قبل من الطاعات،**

---

[٩١١]) صحيح مسلم ٩١.

[٩١٢]) سورة الشعراء، الآية: ٨٨،٨٩.

[٩١٣]) تفسير الطبري ١٩/ ٣٦٥.

[٩١٤]) معني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٣٠٨.

[٩١٥]) تفسير ابن عطية ٤/ ٤٧٨.

إذا لم يقبض على التوحيد؛ وكذلك ذكر في الحسنات الإتيان فقال: من جاء بالحسنة فله كذا، ولم يقل: من عمل بالحسنة، وهو ما ذكرنا أن يخرج من الدنيا على التوحيد، ولا يفسد ما عمل من الحسنات، والله أعلم][٩١٦]، وقال عزَّ وجلَّ حكاية عن هابيل وقابيل وتقديم القربان: ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾[٩١٧]، قال الرازي: [**إِنَّمَا صَارَ أَحَدُ الْقُرْبَانَيْنِ مَقْبُولًا وَالْآخَرُ مَرْدُودًا لِأَنَّ حُصُولَ التَّقْوَى شَرْطٌ فِي قَبُولِ الْأَعْمَالِ، قَالَ تَعَالَى هاهنا حِكَايَةً عَنِ الْمُحِقِّ ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٩١٨]، وَقَالَ فِيمَا أَمَرَنَا بِهِ مِنَ الْقُرْبَانِ بِالْبُدْنِ ﴿ لَنْ يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها وَلكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ﴾[٩١٩]، فَأَخْبَرَ أَنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَى حَضْرَةِ اللَّهِ لَيْسَ إِلَّا التَّقْوَى وَالتَّقْوَى مِنْ صِفَاتِ الْقُلُوبِ، قَالَ عَلَيْهِ الصلاة والسلام: " التقوى هاهنا"[٩٢٠]، وَأَشَارَ إِلَى الْقَلْبِ، وَحَقِيقَةُ التَّقْوَى أُمُورٌ: أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ عَلَى خَوْفٍ وَوَجَلٍ مِنْ تَقْصِيرِ نَفْسِهِ فِي تِلْكَ الطَّاعَةِ فَيَتَّقِيَ بِأَقْصَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ عَنْ جِهَاتِ التَّقْصِيرِ، وَثَانِيهَا: أَنْ يَكُونَ فِي غَايَةِ الِاتِّقَاءِ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ بِتِلْكَ الطَّاعَةِ لِغَرَضٍ سِوَى طَلَبِ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَثَالِثُهَا: أَنَّ يَتَّقِيَ أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ فِيهِ شَرِكَةٌ، وَمَا أَصْعَبَ رِعَايَةَ هَذِهِ الشَّرَائِطِ!]**[٩٢١]، وقال القرطبي: [**أصل التقوى: الخوف، والخوف إنما ينشأ عن المعرفة بجلال الله، وعظمته، وعظيم سلطانه، وعقابه، والخوف والمعرفة محلهما القلب، والقلب محله الصدر، فلذلك أشار صلى الله عليه وسلم إلى صدره وقال: التقوى هاهنا والله تعالى أعلم، والتقوى خصلة عظيمة، وحالة شريفة آخذة بمجامع علوم الشريعة وأعمالها، موصلة إلى خير الدنيا والآخرة]**[٩٢٢].

٢/ والقلب مَلِك الجوارح؛ وإليه ينظر الله تعالى؛ وهو يعلم الفاسد منه والصالح؛ والحيّ والميّت؛ واللّيّن والقاسي؛ وعلى ذلك يكون الجزاء، وقبول الأعمال أو ردَّها؛ وبها يُرفع المرء أو يُوضع؛ وقد ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إِنَّ اللهَ تعالى لَا ينظرُ إلى**

---

[٩١٦]) تفسير الماتريدي ٨/ ٦٦.
[٩١٧]) سورة المائدة، الآية: ٧٧.
[٩١٨]) سورة المائدة، الآية: ٧٧.
[٩١٩]) سورة الحج، الآية: ٣٧.
[٩٢٠]) صحيح البخاري ٦٠٦٤، صحيح مسلم ٢٥٦٤.
[٩٢١]) تفسير الرازي ١١/ ٣٣٨.
[٩٢٢]) المفهم ٦/ ٥٣٧.

صُوَرِكُمْ وَأَمْوالِكُمْ، ولكنْ ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم"[٩٢٣]، قال ابن فورك بعد ذكر هذا الحديث: [**أَي أَنه لَا يعْتد بِمَا يظْهر على ظواهركم إِذا لم تكن مُوَافقَة لبواطنكم،.. وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِك لِأَن الْأَعْمَال الظَّاهِرَة منوطة بِصِحَّة السرائر وَالْإِخْلَاص فِي النيات، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم:" إِنَّمَا الْأَعْمَال بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لكل امْرِئ مَا نوى"[٩٢٤]، يُرِيد بذلك أَن النيات هِيَ المصححة للأعمال؛ وَأَنَّهَا مَعَ انفرادها عَنْهَا لَا تقع مواقع الْقبُول والأجزاء**][٩٢٥].

٣/ وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم بيان حال قلوب العباد؛ وأهمية العناية بها، وثباتها على الحق؛ والحرص على إصلاحها؛ وخطورة إهمالها، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِن أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا علَى طَاعَتِكَ**"[٩٢٦]؛ وفي بيان حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أتباعه من أمته، وحبه لهم ما يحب من الخير لنفسه ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قالَ : **كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ يُكْثِرُ أن يقولَ: يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قَلبي على دينِكَ، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، آمنَّا بِكَ وبما جئتَ بِهِ فَهَل تخافُ علَينا؟ قالَ: نعَم، إنَّ القُلوبَ بينَ إصبُعَيْنِ مِن أصابعِ اللَّهِ يقلِّبُها كيفَ شاءَ** "[٩٢٧]، قال الشيرازي في شرح هذا الحديث: [**قوله: "يا نبي الله آمنا بك ... " إلى آخره؛ يعني: يا رسولَ الله! ليس قولُك: ثبِّت قلبي على دينك لأجل نفسك؛ لأنك معصومٌ عن الخطأ والزَّلَّة، خصوصًا عن تقلُّب قلبك عن الدين، وإنما تقول هذا ومرادُك أمَّتُك؛ لتعلم أمَّتُك هذا الدعاءَ، ولا يأمَنُوا من زوال نعمة الإيمان، "فهل تخاف علينا" من أن نَرتدَّ عن الدين بعد أن آمنَّا بك وبما جئت به من الدين؟ فقال عليه السلام: "نعم"؛ يعني: أخاف عليكم؛ فإن القلوبَ بمشيئة الله تعالى يقلبها كيف يشاء من الإيمان إلى الكفر، ومن الكفر**

[٩٢٣]) صحيح مسلم ٢٥٦٤.
[٩٢٤]) صحيح البخاري ٦٦٨٩، صحيح مسلم ١٩٠٧.
[٩٢٥]) مشكل الحديث وبيانه ٢٧٠.
[٩٢٦]) صحيح مسلم ٢٦٥٤.
[٩٢٧]) صحيح سنن الترمذي ٢١٤٠.

إلى الإيمان، ومن الطاعة إلى العصيان، ومن العصيان إلى الطاعة؛ فلا ينبغي لأحدٍ أن يَأمَنَ زوالَ نعمة الله التي أنعمها عليه، بل ينبغي أن يخافَ ويتضرَّعَ ويسألَ إثباتَ نعمة الإيمان والإسلام والطاعة، وغير ذلك من نِعَمِ الله عليه][928]، وقال القرطبي بعد كلامه عن الحديثين السابقين: [**وحاصله: أن أحوال القلوب منتقلة غير ثابتة ولا دائمة، فحق العاقل أن يحذر على قلبه من قلبه، ويفزع إلى ربه في حفظه**][929].

٤/ ومن أمراض قلوب العباد الكِبْر، وهو رفض الإنسان قبولَ الحقّ؛ ومعاندةَ أهله؛ والإصرارَ على امتثال الباطل الذي هو فيه؛ وقد ورَدَ في الحديث الشريف عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه؛ **أنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ بشِمَالِهِ، فَقالَ: "كُلْ بيَمِينِكَ"، قالَ: لا أَسْتَطِيعُ، قالَ: "لا اسْتَطَعْتَ"، ما مَنَعَهُ إلَّا الكِبْرُ، قالَ: فَما رَفَعَهَا إلى فِيهِ**"[930]، قال القاضي عياض: [**قال: " ما منعه إلا الكبر " فما أكل بها بعد: فيه إجابة دعاء النبي عليه السلام وتعجيل معاقبة من خالف أمره في الدنيا، وهذا يدل على أن الرجل كان منافقاً والله أعلم، قوله: " ما منعه إلا الكبر " أي لن يتواضع بنفسه مخالفة هواها، وطاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أمر به؛ ولهذا استحباب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدعاء عليه، ولو علم أن قوله: " لا أستطيع " صحيحاً لما دعا عليه، وقد أجاز العلماء لمن به عذر بيمينه أكله بشماله وشربه به؛ إذ هو غاية مقدوره**][931]، وقد عقب النووي على كلام القاضي عياض فقال: [**وَأَمَّا قَوْلُ الْقَاضِي عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنَّ قَوْلَهُ مَا مَنَعَهُ إلَّا الْكِبْرُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مُنَافِقًا فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ، فَإِنَّ مُجَرَّدَ الْكِبْرِ وَالْمُخَالَفَةِ لَا يَقْتَضِي النِّفَاقَ وَالْكُفْرَ لَكِنَّهُ مَعْصِيَةٌ إنْ كَانَ الْأَمْرُ أَمْرَ إيجَابٍ، وَفِي هَذَا**

[928]) المفاتيح في شرح المصابيح ١/ ٢٠٨.
[929]) المفهم ٦/ ٦٧٣.
[930]) صحيح مسلم ٢٠٢١.
[931]) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٦/ ٤٨٧.

الْحَدِيثِ جَوَازُ الدُّعَاءِ عَلَى مَنْ خَالَفَ الْحُكْمَ الشَّرْعِيَّ بِلَا عُذْرٍ، وَفِيهِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي كُلِّ حَالٍ حَتَّى فِي حَالِ الْأَكْلِ][٩٣٢].

٥/ ومن الكبر ازدراء الناس واحتقارهم؛ وتصنيفهم إلى فئات وطبقات؛ على حساب الجنس؛ أو النسب؛ أو اللون؛ أو العرق؛ أو الجاه، أو المال؛ أو غير ذلك من أنواع التفرقة التي تفسد القلوب؛ وتزرع فيها الضغائن؛ وتجعل الناس كالوحوش يأكل بعضهم بعضا؛ ويحقد بعضهم على بعض؛ وكفى بذلك إثما يناله أهله، فقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أخاهُ الْمُسْلِمَ**"[٩٣٣]، قال القرطبي: [**تقديره: حسب امرئ من الشر احتقاره أخاه؛ أي: كافيه من الشر ذلك؟ فإنَّه النصيب الأكبر، والحظ الأوفى، ويفيد: أن احتقار المسلم حرام**][٩٣٤]، وقال ابن دقيق العيد في شرح الحديث السابق: [**قوله: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" فيه تحذير عظيم من ذلك؛ لأن الله تعالى لم يحقره إذ خلقه ورزقه ثم أحسن تقويم خلقه؛ وسخر ما في السموات وما في الأرض جميعاً لأجله؛ وإن كان له ولغيره فله من ذلك حصة، ثم إن الله سبحانه سماه مسلماً ومؤمناً وعبداً؛ وبلغ من أمره إلى أن جعل الرسول منه إليه محمداً صلى الله عليه وسلم، فمن حقر مسلماً من المسلمين فقد حقر ما عظم الله عز وجل وكافيه ذلك، فإن من احتقار المسلم للمسلم: أن لا يُسَلِّم عليه إذا مرَّ، ولا يرد عليه السلام إذا بدأه به، ومنها أن يراه دون أن يدخله الله الجنة أو يبعده من النار، وأما ما ينقمه العاقل على الجاهل والعدل على الفاسق فليس ذلك احتقاراً يعني المسلم؛ بل لما اتصف به الجاهل من الجهل والفاسق من الفسق، فمتى فارق ذلك راجعه إلى احتفاله به ورفع قدره**][٩٣٥].

اللهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ لقُلُوْبِنَا صَلَاحَا لا فَسَادَ بَعْدَهُ.

***

[٩٣٢]) شرح النووي على مسلم ١٣/ ١٩٢.
[٩٣٣]) صحيح مسلم ٢٥٦٤.
[٩٣٤]) المفهم ٦/ ٥٣٧.
[٩٣٥]) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ١١٨.

المجلس (السَّادس والخمسون)

ذم العُجْب واحتِقَار النَّاس

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال:

" **إذا قالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهو أهْلَكُهُمْ**"[٩٣٦].

الفوائد:

١/ ذمُّ النَّاس؛ واحتقارهم؛ وسوء الظَّن بهم؛ واستصغار أعمالهم؛ وتمنِّي الشَّر لهم؛ والرِّضا أو الرَّغبة في هلاكهم؛ أمور تخالف سماحة الإسلام؛ وتناقض معاني الخير التي فَطَر اللهُ النَّاس عليها؛ بناها صاحبها على غير أساس، لدافع من دوافع الشَّر؛ ومن أهمِّها الجهل بخطورة ما وقع فيه، وأنه يأثم بفعله ذلك، وأن الله سَائلُهُ عن كل ما صدر عنه، وقد قال ربنا سبحانه: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْه مَسْئُولًا**﴾[٩٣٧]، قال الخطابي عند ذكر الحديث السابق: [**معنى هذا الكلام أنه لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساويهم ويقول قد فسد الناس وهلكوا ونحو ذلك من الكلام، يقول صلى الله عليه وسلم إذا فعل الرجل ذلك فهو أهلكهم وأسوأهم حالاً، مما يلحقه من الإثم في عيبهم والازراء بهم والوقيعة فيهم، وربما أداه ذلك إلى العجب بنفسه، فيرى أن له فضلاً عليهم وأنه خير منهم فيهلك**][٩٣٨]، وما سبق من الكلام عن التصرف السيء لا يقاس به ما يكون من ذكر الناس على سبيل التألم والشفقة لحالهم والسعي لإصلاح ما فسد، قال ابن عبد البر: [**هذا معناه عندَ أهلِ العلم أن يقولَها الرَّجلُ احتقارًا للناس وإزراءً عليهم وإعجابًا بنفْسِه، وأمّا إذا قال ذلك تأسُّفًا وتحزُّنًا وخوفًا عليهم؛ لقَبِيحِ ما يَرى من أعمالِهم، فليس ممّن عُنِيَ بهذا الحديث، والفرقُ**

---

[٩٣٦]) صحيح مسلم ٢٦٢٣.

[٩٣٧]) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

[٩٣٨]) معالم السنن ٤/ ١٣٢.

بين الأمرَين: أن يكونَ في الوجه الأول راضيًا عن نفسِه مُعجَبًا بها، حاسدًا لمَنْ فوقَه، محتقِرًا لمَنْ دونَه، ويكونَ في الوجه الثاني ماقتًا لنفسِه، موبِّخًا لها، غيرَ راضٍ عنها][٩٣٩].

٢/ ومن دوافع التَّصرُّفات السَّيِّئة بحقِّ عباد الله تعالى التعامل معهم بالظَّن الذي يؤول إلى ترتُّب الأحكام عليه دون يقين بمضمونه، ودون أساس له، وهو خُلُق نهى الله عنه ونهى عنه رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى آمرا باجتناب ذلك السلوك السيئ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾[٩٤٠]، كما حذَّر منه النَّبي صلَّى الله عليه وسلم وبيَّن حقيقته؛ وأنَّه أكذب الحديث؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: " **إيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَنافَسُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا**"[٩٤١]، فالظن سلوك أقوام أطلقوا لألسنتهم العنان لقول ما يطيب لها؛ ورضوا لعقولهم اتِّباع الزَّيف والوهْم؛ مع أنه لا يغني من الحقِّ والواقع شيئاً، وهو حكم بلا دليل، وقضاء بلا حجة أو برهان، قال ربُّنا سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾[٩٤٢]، وإن الحكم في الحال السليم ينبغي أن يكون بأمر حقيقي ويقيني دون تلبس الظنون والأوهام به، قال الخطابي: [**قوله: " إياكم والظن"، يعني تحقيق الظن والحكم بما يقع في القلب منه، كما يُحكم بيقين العلم في الأمور المعلومة وذلك أن أوائل الظنون إنما هي خواطر لا يملك دفعها؛ والأمر والنهي إنما يردان بتكليف الشيء المقدور عليه دون غيره مما لا يُملك ولا يُستطاع]**[٩٤٣]، وقال القرطبي: [**وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ"، قَالَ عِيسَى بْنُ دِينَارٍ فِي الْمُزَنِيَّةِ يُرِيدُ ظَنَّ السُّوءِ، وَمَعْنَاهُ أَنْ تُعَادِيَ أَهْلَكَ وَصَدِيقَكَ عَلَى ظَنٍّ تَظُنُّهُ بِهِ دُونَ تَحْقِيقٍ، أَوْ تُحَدِّثُ بِأَمْرٍ عَلَى مَا تَظُنُّهُ فَتَنْقُلُهُ عَلَى أَنَّك قَدْ عَلِمْته، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ أَنْ يَحْكُمَ فِي دِينِ اللَّهِ بِمُجَرَّدِ الظَّنِّ دُونَ إعْمَالِ نَظَرٍ وَلَا اسْتِدْلَالٍ بِدَلِيلٍ، وَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ**

---

[٩٣٩]) التمهيد ١٣/ ٤٦٤.

[٩٤٠]) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

[٩٤١]) صحيح البخاري ٦٠٦٦، صحيح مسلم ٢٥٦٣.

[٩٤٢]) سورة يونس، الآية: ٣٦.

[٩٤٣] أعلام الحديث شرح صحيح البخاري ٣/ ٢١٨٩.

لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾[٩٤٤]، **وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾**[٩٤٥]، **وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ مِنْهُ مَا لَيْسَ بِإِثْمٍ، وَهُوَ مَا يُوصَلُ إِلَى الْحُكْمِ فِيهِ بِالنَّظَرِ وَالِاجْتِهَادِ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ وَالِاجْتِهَادِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ**][٩٤٦].

٣/ وكما حثَّ الله تعالى عباده على حُسْن الظن؛ فقد حثَّهم كذلك على حُسْن القول؛ إغلاقاً لباب الفتنة؛ ودرأً للشَّر المترتِّب على ذلك؛ ومنْه تمزيق صفّ المؤمنين؛ وإفساد ذات بينهم؛ والتَّحريش؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾**[٩٤٧]، قال الماتريدي عند تفسير هذه الآية: [**أي: يفسد بينهم ويوسوس إليهم ويغري بعضهم على بعض؛ ليفسد بينهم، وذلك كقوله: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾، أي: كان الشيطان منذ كان للإنسان عدوّا ظاهرًا عداوته بينًا**][٩٤٨]، وقال القشيري: [**القول الحسن ما يكون للقائل أن يقوله، ويجوز أن يكون الأحسن مبالغة من الحسن، فعلى هذا الأحسن من القول ما لا يجوز تركه، ويقال الأحسن من القول ما يخاف قائله من العقوبة على تركه، ويقال الأحسن من القول إقرار المحبّ بعبودية محبوبه، ويقال أحسن قول من المذنبين الإقرار بالجرم، وأحسن قول من العارفين الإقرار بالعجز عن المعرفة، قال صلى الله عليه وسلم: " سبحانك لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك"**[٩٤٩]][٩٥٠].

﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**[٩٥١].

اللهُمَّ أصْلِح أحْوَال المسْلِمِيْن، وألِّف بيْن قُلُوْبِهِم وَاهْدِهِم سُبُلَ السَّلَام.

---

[٩٤٤]) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.
[٩٤٥]) سورة الحجرات، الآية: ١٢.
[٩٤٦]) المنتقى شرح الموطأ ٧/ ٢١٦.
[٩٤٧]) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.
[٩٤٨]) تفسير الماتريدي ٦٢/٧.
[٩٤٩]) صحيح مسلم ٤٨٦.
[٩٥٠]) لطائف الإشارات ٢/ ٣٥٢.
[٩٥١]) سورة الحشر، الآية: ١٠.

المجلس (السَّابع والخمسون)

النَّهي عن التَّشبه بالشَّياطين وأتباعهم

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **لا يَأْكُلَنَّ أحَدٌ مِنكُم بشِمالِهِ، ولا يَشْرَبَنَّ بها، فإنَّ الشَّيْطانَ يَأْكُلُ بشِمالِهِ، ويَشْرَبُ بها**"[٩٥٢].

الفوائد:

١/ يتساهل عدد لا بأس به من أبناء المسلمين في التزام تعاليم الإسلام؛ فيُمارس الفرد أموراً يعتقدها حقيرة لا تفسد التزامه؛ وإذا ذُكِّر بأن الواجب الشرعي تركها والتَّوقف عنها؛ احتَجَّ بعدم أهميتها؛ وأن فعلها لا يُؤثِّر على دينه وتمام عمله؛ وحقيقة الأمر أن دافع ذلك ليس إلا الجهل بحقيقة الأمر؛ وهنا تكمن خطورته على دينه وعقيدته ومبادئه؛ فالتَّساهل في العمل الصغير طريق للتَّساهل في الكبير؛ وكلُّ زلَّة تبدأ بخطوة؛ ثمَّ تليها باقي الخطوات؛ وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾[٩٥٣]، وهذا التوجيه الرباني يعبِّر عن موقف الإنسان وطريقته في تعاملاته الحياتية المخالفة؛ ويمكن تعميمه على كل ما يمارسه من المنهيات في حياته اليومية، وعلى ما سبق من الكلام فقد تترتَّب العقوبة الشرعية على العمل المخالِف ولو كان في ظاهر الأمر لدى فاعله صغيرا؛ كما وردت التوجيهات الشرعية بزجر كل من خالف سماحة الإسلام؛ بأي صورة من صور المخالَفة؛ وكيفما كان قَدْر العمل في أعين الناس؛ من أمثلة ذلك ما ورد عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ بشِمَالِهِ، فَقالَ: " **كُلْ بيَمِينِكَ**"، **قالَ: لا أَسْتَطِيعُ، قالَ: " لا اسْتَطَعْتَ"، ما مَنَعَهُ إلَّا الكِبْرُ، قالَ: فَما رَفَعَهَا إلى فِيهِ**"[٩٥٤]، قال ابن الجوزي: [**وَالْمعْنَى أَنه كَانَ لَا يحتفل للطعام وَلَا يُبَالِي فيتناوله باليسرى، وَيَنْبَغِي للعاقل أَن يعرف**

---

[٩٥٢]) صحيح مسلم ٢٠٢٠.

[٩٥٣]) سورة النور، الآية: ٢١.

[٩٥٤]) صحيح مسلم ٢٠٢١.

قدر مَا جعل قواما لَهُ][٩٥٥]، وقال الصدِّيقي: [**أي إنه لما علم أن المانع له عن الانقياد كِبْرُه عن الحق ودفْعُه له دَعا عليه، ففيه الدعاء على من قصد الخروج عن الشريعة عمداً]**[٩٥٦]، لهذا تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع ذلك الشخص بهذا القدر من الشدة المتمثل في الدعاء عليه وهو الرحيم بأمته صلى الله عليه وسلم؛ ولم يكن ذلك إلا لأن الرجل وقع في مخالفة عظيمة استحق بها ما نال من دعاء النبي عليه الصلاة والسلام عليه، ثم أثَر الدعاء؛ وهو عدم رفع يده وشللها وتوقف حركتها، رغم استهانته بما فعل، وهذا يدل على أن العبادة الحقيقية إنما هي التزام وخضوع وانقياد؛ ولو كان المأمور به مخالفا لرغبة النفس وهواها، وتكون خالصة لله تعالى، بفعل ما أمر واجتناب ما نهى، قال الله عز وجل: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**[٩٥٧]﴾.

٢/ إذا كان الأكل والشُّرب بالشِّمال منهيًا عنه في الدِّين؛ كما سبق في الحديث، لشبهِهِ بفِعْل الشَّياطين أو الكفَّار؛ حيث ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " **لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بشماله فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله**"[٩٥٨]، فإنَّ النَّهي عن التَّشبه بما هو أعظم قدرا من الأفعال سيكون أشد وأقوى، ولعل عموم لفظ النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم الوارد في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **من تشبَّهَ بقومٍ فهوَ منهم**"[٩٥٩]؛ يدخل فيه كل تشبُّه؛ سواء في الأمور القوليَّة أو الفعليَّة؛ والعِلْمِيَّة أو العَمَلِيَّة؛ ودرجة النَّهي بحسب درجة الفعل من جهة المنظور الشَّرعي، قال ابن عثيمين عد ذكر حديث السابق عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم لرجل أن يأكل بيمينه: [**وفي هذا دليلٌ على وجوب الأكل باليمين والشرب باليمين، وأن الأكل باليسار حرام، يأثم عليه الإنسان، وكذلك الشرب باليسار حرام، يأثم عليه الإنسان؛ لأنه إذا فعل ذلك أي أكل بشماله أو شرب بشماله شابه الشيطان وأولياء الشيطان، قال النبي صلى عليه الصلاة والسلام: " لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بشماله فإن الشيطان**

---

[٩٥٥]) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٢/ ٣١١.

[٩٥٦]) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٥/ ٦٩.

[٩٥٧]) سورة البينة، الآية: ٥.

[٩٥٨]) صحيح مسلم ٢٠٢٠.

[٩٥٩]) صحيح سنن أبي داوود ٤٠٣١.

يأكل بشماله ويشرب بشماله"[٩٦٠]**، وإذا نظرنا الآن إلى الكفار، وجدنا أنهم يأكلون بيسارهم ويشربون بيسارهم، وعلى هذا فالذي يأكل بشماله أو يشرب بشماله متشبه بالشيطان وأولياء الشيطان]**[٩٦١]، فالحديث الدال على أن من تشبه بقوم فهو منهم يتضمن النهيُ الذي فيه نهي المسلم عن التشبه بغير المسلمين، أو بغير الصالحين من المسلمين، كما يدعو للتشبّه بالصالحين منهم، ويحث على الاقتداء بمن هو محل القدوة فيهم، قال ابن عبد البر عن الحديث السابق: [**فَهُوَ مُجْمَلٌ فِي الِاقْتِدَاءِ بهدى من الصَّالِحِينَ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانُوا**][٩٦٢]، ولخطورة الأمر قال المظهري في حكم التشبه بغير المسلمين: [**من شَبَّه نفسَه بالكفار في اللباس وغيره من المحرَّمات، فإن اعتقد تحليلَه فهو كافر، وإن اعتقد تحريمَه فقد أَثِمَ، وكذلك من شَبَّه نفسه بالفُسَّاق، ومن شبَّه نفسَه بالنساء في اللباس وغيره فقد أَثِم**][٩٦٣].

٣/ صلاح جوارح العبد ونفعها المرجوّ بصلاح قلبه؛ فإذا خالط القلب الإيمان استقام أمر صاحبه؛ وإن عَدِم أو ضَعُف الإيمان تغيَّر حاله وفسد بحسب ذلك الضعف؛ وقد ورد في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه؛ أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: " **ألا وإنَّ في الجسدِ مُضغةً إذا صلُحتْ صلُح الجسدُ كلُّه وإذا فسدتْ فسد الجسدُ كلُّه ألا وهي القلبُ**"[٩٦٤]، فالجوارح حين تصلح بصلاح القلب يصدر عنها كلُّ نافع؛ ولا يكون منها إلا الخير؛ قال المازري عن هذا الحديث: [**هذا الحديث جليل الموقع، عظيم النَّفْع في الشرع، حَتَّى قال بعض الناس: (إنه ثلث الإسلام)، وذكر حديثين آخرين هما الثلثان الباقيان، وإنما نبه أهل العلم على عظم هَذَا الحديث لأن الإنسان إنما تعبَّد بطهارة قلبه وجسمه، فأكثر المَذامّ والمحظورات إنّما تنبعث من القلب، فأشار صلى الله عليه وسلم لإصلاحه، ونبّه على أن إصلاحه هو إصلاح الجسم، وأنه الأصل، وهذا صحيح يُؤْمن به حتَّى من لا يؤمن بالشرع، وقد نص عليه الفلاسفة والأطباء، والأحكام والعبادات التي يتصرف**

---

[٩٦٠]) صحيح مسلم ٢٠٢٠.

[٩٦١]) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٣/ ٥٤٣.

[٩٦٢]) التمهيد ٦/ ٨٠.

[٩٦٣]) المفاتيح في شرح المصابيح ٥/ ١٨.

[٩٦٤]) صحيح البخاري ٥٢، صحيح مسلم ١٥٩٩.

الإنسان عليها بقلبه وجسمه تقع فيها مشكلات وأمور ملتبسات، التساهل فيها وتعويد النفس الجرأة عليها تُكسب فَسَاد الدِّين والعِرض، فنبَّه صلى الله عليه وسلم على توقِّي هذه][٩٦٥]، فصلاح القلب إذا هو سرُّ قبول العبد واستسلامه لأمر الله وأمر رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم؛ ولو خالف أيُّ أمرٍ رغبةَ صاحب القلب السليم وهوَاه، لأن قلبه قد تعلق بالله؛ فلم يعد يخضع إلا له تعالى؛ ولا يسعى إلا لإرضائه سبحانه، وقد حكى الله حقيقة استجابة المؤمنين الصادقين لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل: ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[٩٦٦]، فبصلاح قلوبهم صلحت جوارحهم، فقدَّموا ما رضيَه الله على ما هَوَتْه أنفسُهم، لذلك استسلموا وانقادوا لأمر الله، وقالوا سمعنا وأطعنا.

اللَّهُمَّ أرِنَا الحَقَّ حَقَّاً وارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وأَرِنَا البَاطِلَ بَاطِلاً وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ.

***

[٩٦٥]) المعلم بفوائد مسلم ٢/ ٣٠٧.

[٩٦٦]) سورة النور، الآية: ٥١.

المجلس (الثَّامن والخمسون)

النَّهْيُ عَن التَّكَلُّف في أمر الدِّين والدُّنيا

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقالَ: [**نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ**][٩٦٧].

الفوائد:

١/ في دين الله من اليُسر والسهولة ما يغني الإنسان عن التكلُّف في محاولة التعرُّف على أحكامه وآدابه، مع هذا يقع بعض الناس في ذلك الأمر حرصا منهم على زيادة المعرفة، فيضع نفسه بحال هو غير الواقع الذي هي فيه، قال ابن عثيمين: [**التكلف معناه تكلف الشيء ومحاولة معرفته وإظهار الإنسان بمظهر العالم وليس كذلك**][٩٦٨]، وقد قال ابن هبيرة عند ذكره كلام عمر السابق (**نهينا عن التكلف**): [**وفي رواية عن ثابت عن أنس: أن عمر قرأ: ﴿ وفاكهة وأبا﴾[٩٦٩]، قال: فما الأب؟ ثم قال: (ما كُلِّفْنا؛ أو قال: ما أمرنا بهذا)، في هذا الحديث من الفقه أنه إنما كره عمر التكلف؛ وهو التتبع لكتاب الله بمشقة لا ترجع إلى التماس فائدة على سبيل التعنت والاعتراض، ولذلك ضرب ضبيعا إذ كان يتتبع من القرآن ما يظنه إشكالا، وإلا فلا خلاف بين المسلمين أن السؤال عن غريب القرآن من الأب وغيره طلبًا للفائدة وعلم ما يعرفه العرب منه؛ أن ذلك قربة إلى الله عز وجل، وإنما المكروه التكلف والتتبع لما لا فائدة ولا نفع فيه، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[٩٧٠]**][٩٧١].

---

[٩٦٧]) صحيح البخاري ٧٢٩٣.

[٩٦٨]) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٦/ ٣٩١.

[٩٦٩]) سورة عبس، الآية: ٣١.

[٩٧٠]) سورة ص، الآية: ٨٦.

[٩٧١]) الإفصاح عن معاني الصحاح ١/ ١٧٩.

٢/ والتنطُّع دافع إلى التكلُّف أو هو مرادفه، وعاقبته الهلاك، فقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: " **أَلَا هلكَ الْمُتَنَطِّعونَ، أَلَا هلَكَ المتنطِّعونَ، أَلَا هلكَ المتنطِّعونَ**"[٩٧٢]، قال المازري: [**والمراد بالمُتَنَطِّعين المتعمقون فيما لا ينفع فيه التعمق وإن كان التعمق له مكانه، وله مجالاته، ولكن إن كان في الحقائق الناصعة فإنه يؤدي إلى خلاف المقصود**][٩٧٣]، وقال الخطابي: [**المتنطِّع المتعمِّق في الشيء المتكلِّف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم، وفيه دليل على أن الحكم بظاهر، الكلام وأنه لا يترك الظاهر إلى غيره ما كان له مساغ وأمكن فيه استعمال**][٩٧٤]، وقال ابن هبيرة: [**التنطع هو التعمق والتدقق في الأشياء، فإن الهلكة مقرونة، وهو مما يقرأه الجهال على غير أصل الشريعة؛ على نحو ما ابتدعه النصارى من الرهبانية التي لم تكتب عليهم، وإنما هم الذين ابتدعوها؛ ابتغاء رضوان الله، فما رعوها حق رعايتها؛ ولذلك كل من ابتدع في الدين شيئًا أو دقق على عباد الله وعمق مما لم يأذن به الله ولم يشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الهالك المحتقب وزر كل من أهلكه بتنطعه**][٩٧٥].

٢/ وتحميل النَّفس ما لا تقدر عليه من الأعمال نوع من التَّكلُّف الذي نهى الإسلام عنه، ويخالف سماحته وهديه، قال الله تعالى: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾[٩٧٦]، وجاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصيته لأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل حينما أرسلهما إلى اليمن، أنَّه قال لهما: " **يَسِّرَا ولَا تُعَسِّرَا، وبَشِّرَا ولَا تُنَفِّرَا**"[٩٧٧]، وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " **علَيْكُم بما تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لا يَمَلُّ اللَّهُ حتَّى تَمَلُّوا**" قالت عائشة رضي الله عنها: [**وكانَ أحَبَّ الدِّينِ إلَيْهِ مَادَامَ عليه صَاحِبُهُ**][٩٧٨]، فالتَّشديد على النَّفس أو على الغير؛ في أمر الطَّاعات والعبادات، كمًّا أو كيْفاً، بدافع صدق الاتباع، وحُسْن الاقتداء، وعدم الأخذ بالسّعة في الأمر واليُسر

---

[٩٧٢]) صحيح مسلم ٢٦٧٠.
[٩٧٣]) المعلم بفوائد مسلم ١٢٨/١.
[٩٧٤]) معالم السنن ٤/ ٣٠٠.
[٩٧٥]) الإفصاح عن معاني الصحاح ٢/ ٩٩.
[٩٧٦]) سورة البقرة، ٢٨٦.
[٩٧٧]) صحيح البخاري ٣٠٣٨، صحيح مسلم ١٧٣٣.
[٩٧٨]) صحيح البخاري ٤٣.

فيه هو عين التكلف، وقد حكى النبي صلى الله عليه وسلم حال أقوام كلَّفوا أنفسهم ما لم يُكَلَّفُوا به من الأقوال أو الأفعال، وحثَّ أمَّته على اجتناب ما وقع فيه أولئك فقال:: " **لا تُشَدِّدُوا علَى أنفُسِكُمْ ، فيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ، فإنَّ قومًا شدَّدُوا علَى أنفُسِهِمْ فشدَّدَ اللهُ علَيْهِمْ**"[٩٧٩]، قال الصديقي: [**أَيْ يَفْرِضُهَا عَلَيْكُمْ فَتَقَعُوا فِي الشِّدَّةِ أَوْ بِأَنْ يَفُوتَ عَنْكُمْ بَعْضُ مَا وَجَبَ عَلَيْكُمْ بِسَبَبِ ضَعْفِكُمْ مِنْ تَحَمُّلِ الْمَشَاقِّ**][٩٨٠].

٤/ ومن التَّكلُّف محاولة إظهار المعرفة بالشَّيء من غير علم، وقد نهى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، لسوء عاقبة القول بغير علم، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[٩٨١]، قال قتادة: [**لاَ تقُلْ رَأَيْتُ وَلَمْ تَرَ ، وَسَمِعْتُ وَلَمْ تَسْمَعْ ، وَعَلِمْتُ وَلَمْ تَعْلَمْ، فإنَّ الله تبارك وتعَالى سَائلُك عَن ذلِك كُلِّه**][٩٨٢]، وقال الزجاج: [**أي لا تقولن في شيء بما لا تعلم، فإذا نُهِيَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم مع حكْمتِه وعِلْمِهِ وتوفيق اللَّهِ إيَّاهُ أن يقول بما لا يعلم؛ فكيف سائر أمَّتِه والمسرفين على أنْفُسِهِم**][٩٨٣]، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرَجْنا في سفَرٍ فأصابَ رجلًا منَّا حجَرٌ فشجَّهُ في رأسِهِ؛ ثمَّ احتَلَمَ فسألَ أصحابَهُ فقالَ: هل تَجِدونَ لي رخصةً في التَّيمُّمِ؟ فَقالوا ما نجِدُ لَكَ رُخصةً وأنتَ تقدرُ علَى الماءِ، فاغتسَلَ فماتَ، فلمَّا قدِمْنا علَى النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أُخْبِرَ بذلِكَ فقالَ: **قَتلوهُ قتلَهُمُ اللَّهُ، ألا سألوا إذْ لَم يعلَموا، فإنَّما شفاءُ العيِّ السُّؤالُ، إنَّما كانَ يَكْفيهِ أن يتيمَّمَ ويعصرَ – أو يعصبَ شَكَّ موسَى – علَى جرحِهِ خرقةً ثمَّ يمسحَ عليها ويغسِلَ سائرَ جسدِهِ**"[٩٨٤]، وقال عليه الصلاة والسلام: " **أيُّما طبيبٍ تَطبَّبَ على قَومٍ لا يُعرَفُ لهُ تَطَبُّبٌ قبلَ ذلكَ فأعْنَتَ فهوَ ضامِنٌ**"[٩٨٥].

---

[٩٧٩]) سنن أبي داوود ٤٩٠٤، تخريج مشكاة المصابيح ١٨١.

[٩٨٠]) عون المعبود ١٣/١٦٩.

[٩٨١]) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

[٩٨٢]) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٢٩.

[٩٨٣]) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٣٩.

[٩٨٤]) صحيح سنن أبي داوود ٣٣٦.

[٩٨٥]) صحيح سنن أبي داوود ٤٥٨٧.

٥/ ويدخل في عموم النَّهي الوارد في الآيات القرآنيَّة والأحاديث النَّبويَّة السَّابقة وغيرها؛ تكلُّف المرء في أمور الدُّنيا بتحميل نفسه ما لا يقدر عليه من الأعمال، ومن النصوص التي يستفاد منها في الدلالة على هذا الأمر قول الله تعالى: ﴿ **لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا**﴾[٩٨٦]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا**﴾[٩٨٧]، قال ابن بطال: [**فالواجب على كل ذي لب أن تكون أموره كلها قصدًا في عبادة ربه كان أو في أمر دنياه، في عداوة كان أو محبة، في أكل أو شرب أو لباس أو عري، وبكل هذا ورد الخبر عن السلف أنهم كانوا يفعلون**][٩٨٨].

اللهُمَّ علِّمْنَا ما ينْفَعُنَا، وانْفَعْنَا بمَا علَّمْتَنَا، وزِدْنَا عِلْمَا.

***

[٩٨٦]) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

[٩٨٧]) سورة الطلاق، الآية: ٧.

[٩٨٨]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ٣٠٢.

المجلس (التَّاسع والخمسون)

النَّهي عن إيذاء الغير

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قالَ:

" **اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ قالوا: وَما اللَّعَّانَانِ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: الذي يَتَخَلَّى في طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ في ظِلِّهِمْ**"[٩٨٩].

الفوائد:

١/ قضاء الحاجة في أماكن جلوس النَّاس أو ظلهم؛ ومثل ذلك أماكن استراحتهم وأعمالهم؛ وما يماثلها من الأماكن العامَّة أو الخاصَّة؛ سُلُوك سيء لا يتوافق مع الفطرة السَّليمة؛ وطهارة النَّفس السَّويَّة؛ وكمال تعامل الإنسان مع غيره؛ والأخطر من ذلك أنَّه قد يُوْرِثُ غضبَ الله، ويسبِّب لعْنَ الناس له أو سبَّهم، وقد يدخل ذلك التصرف في عموم قول الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**﴾[٩٩٠]، قال القاسمي: [﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾: **أي بقول أو فعل، بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا أي بغير جناية يستحقون بها الأذية، ﴿ فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**﴾: **أي ظاهرا بيّنا**][٩٩١]، وقال ابن عثيمين: [**تحريم كلِّ أذيَّة أيًّا كان نوعها سَواء كانت قَوْلية أو فِعْلية؛ لعُموم اللَّفظ في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ**﴾: **واسمُ المَوْصول من صِيَغ العُموم**][٩٩٢].

---

[٩٨٩]) صحيح مسلم ٢٦٩.

[٩٩٠]) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.

[٩٩١]) تفسير القاسمي ٨/ ١١١.

[٩٩٢]) تفسير ابن عثيمين ٤٧٩.

٢/ إذا كان رمي النَّجاسة في أماكن مرور النَّاس أو إفساد مجالسهم بالأوساخ إيذاء يوْجِب غضب الله وغضب خلقه؛ فإن قطع الطَّريق؛ أو الاعتداء على ابن السَّبيل والمسافر؛ أو أذية الجار؛ أو اغتصاب حق من حقوق الغير؛ أو هتْك عرض من الأعراض، أو سفْك الدِّماء؛ لا شكّ أشدُّ من ذلك قبحا، وأنْكَى إيذاءً؛ وأعظم إثماً وجُرْما عند الله ثمَّ عند خلقه، وهي أحرى بالحرص على اجتنابها والفرار من الوقوع فيها، وقد يقع بعض النَّاس في كلِّ تلك الأفعال أو بعضها؛ لعدم استشعار لخطرها، أو لجهل بعواقبها، وقد ورد في الحديث بيان حال المفلس الذي خسر أعماله الصالحة بسبب الوقوع في أذية الخلق بأنواع من الإيذاء، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **أتَدرونَ ما المُفلِسُ؟ إنَّ المُفلسَ من أُمَّتي مَن يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ، وزكاةٍ، ويأتي وقد شتَم هذا، وقذَفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيُعْطَى هذا من حَسناتِه، وهذا من حسناتِه، فإن فَنِيَتْ حَسناتُه قبلَ أن يُقضَى ما عليهِ، أُخِذَ من خطاياهم، فطُرِحَتْ عليهِ، ثمَّ طُرِحَ في النَّارِ**"[٩٩٣]، المؤمن العاقل يحذر على نفسه من محبطات الأعمال، وكبائر الذنوب، والأخطاء المتعدية، وهي كل ما انتقل بسببها الأذى إلى الغير، فإن خطرها ظاهر وبيِّن، كما شهد لذلك حديث المفلس السابق، وهكذا يكون التعامل مع كل الذنوب والمعاصي، وإن كان بعضها أشد قبحا من بعض، ودافع اجتناب بعضها أشد من الآخر، قال السلمان: [**وممَّا يتأكد اجتنابه الفحش وَهُوَ كُلّ ما اشتد قبحه من الذُّنُوب والمعاصي، وكَذَلِكَ الرياء، نسأل الله السلامة مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوب**][٩٩٤].

٣/ حثَّ الإسلام على حُسْن معاملة الغير؛ ودعا إلى الألفة والمحبَّة بين المسلمين؛ ونهى عن كلِّ سبب يوصل إلى البغضاء والشَّحْناء بينهم، فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: " **لا تَحاسَدُوا، ولا تَناجَشُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ علَى بَيْعِ بَعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا، المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هاهُنا، ويُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، بحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ**

[٩٩٣]) صحيح مسلم ٢٥٨١.

[٩٩٤]) موارد الظمآن لدروس الزمان ٥/ ٣١.

الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ حَرامٌ؛ دَمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ"[٩٩٥]، قال القرطبي عند شرح هذا الحديث: [**وقوله: " وكونوا عباد الله إخوانا" أي: كونوا كإخوان النسب في الشفقة، والرحمة، والمودة، والمواساة، والمعاونة، والنصيحة**][٩٩٦]، وقال ابن دقيق العيد: [**أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال**][٩٩٧].

اللهُمَّ اهْدِنَا لأَحْسَن الأَخْلَاق والأفْعَال والأقْوَال لا يَهْدي لأحْسَنِهَا إلا أنْت واصْرِف عنَّا سيِّئَها لا يصْرف سيِّئَها إلا أنْت.

***

[٩٩٥]) صحيح البخاري ٦٠٦٦، صحيح مسلم ٢٥٦٤.

[٩٩٦]) المفهم ٦/ ٥٣٢.

[٩٩٧]) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ١١٧.

المجلس (السِّتُّون)

اجتِنَاب المُؤْمِن مَا يَضُرُّهُ في أَمْرِ دِيْنِهِ وَدُنْيَاهُ

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" **لا يُلْدَغُ المؤمِنُ من جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ**"[٩٩٨].

الفوائد:

١/ سببُ هذا الحديثِ أنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أسَر أبا عزَّةَ الشَّاعرَ يومَ بدرٍ، فسأل النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أن يمُنَّ عليه بإطلاقِ سَراحِه، وذكر فَقْرَه وقِلَّةَ مالِه، فمَنَّ عَلَيْه، وعاهَده ألَّا يُحرِّضَ عليه ولا يَهجُوَه، فأطلَقَه، فلَحِق بقَومِه، ولكِنَّه لَمَّا رجع إلى مكَّةَ استهواه صَفوانُ بنُ أُمَيَّةَ وضَمِنَ له القيامَ بعيالِه، فخرج مع قريشٍ لحربِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ورجَع إلى التَّحريضِ والهجاءِ، ثمَّ أُسِر يومَ أُحدٍ، فطلَبَ مِن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم المِنَّ عليه مرَّةً أُخرى، فقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: " **لا يُلدَغُ المؤمنُ مِن حُجرٍ واحدٍ مرَّتَينِ**[٩٩٩]" [١٠٠٠]، ومن إيحاءات هذه القصة أن غياب المبادئ لدى الشخص تجعله يتلوّن ويتشكَّل حسب ما يمر به من الظروف، فكان لزاما على العاقل التنَبُّه لأمثال هذا النوع من الناس، كي لا يقع الضرر منهم على نفسه أو أمَّته، كما يجب اتخاذ ما يلزم تجاههم، زجرا لهم على فعلهم، وحفظا للحقوق العامة أو الخاصة من شرهم.

٢/ المؤمن نبيْهٌ فطِنٌ حريْصٌ على ما ينفعه من أمر الدنيا والدين، ومن حرصه حذَرُه من الوقوع في خطأ عرف سببه، وعرف طُرُق تجنبه، قال ابن بطال بعد ذكر الحديث السابق: [**قال أبو عبيد: تأويل هذا الحديث أنه ينبغي للمؤمن إذا نكب من وجه أن لا يعود لمثله،**

[٩٩٨]) صحيح البخاري ٦١٣٣، صحيح مسلم ٢٩٩٨.
[٩٩٩]) صحيح البخاري ٦١٣٣، صحيح مسلم ٢٩٩٨.
[١٠٠٠]) ابن اسحاق في المغازي.

وترجم له في كتاب الأمثال باب المحاذرة للرجل من الشيء قد ابتلى بمثله مرة، وفيه: أدب شريف، أدَّب به النَّبي أمته ونبَّههم كيف يحذرون ما يخافون سوء عاقبته][١٠٠١]، وقال الصديقي: [**المراد بالمؤمن الكامل أي: الذي وقفته معرفته على غوامض الأمور حتى صار يحذرها، وأما المؤمن المغفل فقد يلدغ مراراً]**[١٠٠٢].

٣/ والحذر من تكرار خطأ دنيوي أو أخروي لا يعني السَّماح بالوقوع في الخطأ ابتداءً، ولا يشكُّ عاقل في أنَّ اجتناب الخطأ أولى من الوقوع فيه، وأنَّ الذي يتوقَّى الوقوع فيه قبل حدوثه خير ممَّن وقع فيه ابتداءً ثمَّ تجنب تكرار الوقوع ثانية، ومِن باب أولى يكون خيراً ممَّن كرَّر الوقوع فيه، والنَّجاة من كلِّ ما يؤذي الإنسان ويضرُّه يحتاج إلى الاستعانة بالله تعالى؛ ومجاهدة النَّفس على ذلك، فكل تلك الأمور لا تكون إلا بعون وتسديد من الله تعالى، القائل سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[١٠٠٣]، قال ابن أبي زمنين في تفسير الآية السابقة: [﴿ **وَالَّذين جاهدوا فِينَا**﴾ **يَعْنِي: عَمِلُوا لَنَا**، ﴿ **لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ **يَعْنِي: سُبُلَ الْهُدَى**، ﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ لمع الْمُحْسِنِينَ**﴾ **يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ**][١٠٠٤]، قال الراغب الأصفهاني: [**وهذه الهداية هي المعنية**][١٠٠٥]، وقال الزمخشري: [**أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول، ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمّارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين فِينا في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا** ﴿ **لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا**﴾ **لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا، كقوله تعالى** ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً**﴾[١٠٠٦]، **وعن أبي سليمان الداراني: [والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى ما لم يعلموا، وعن بعضهم:**

[١٠٠١]) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ٣٠٧.

[١٠٠٢]) دليل الفاتحين لطرق رياض الصالحين ٨/ ٦٥٧.

[١٠٠٣]) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

[١٠٠٤]) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣/ ٣٥٣.

[١٠٠٥]) تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٦١.

[١٠٠٦]) سورة محمد، الآية: ١٧.

من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم، وقيل: إن الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم، إنما هو من تقصيرنا فيما نعلم، لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ: لناصرهم ومعينهم][١٠٠٧].

٤/ والمؤمن يحرص على ما ينفعه، من أمر الدُّنيا والدِّين، امتثالاً لأمر النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم الوارد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام قال: " **احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجَزْ**"[١٠٠٨]، وإنَّ من حِرْصِه أن يكون فطِناً وعارفاً لما ينفعه وما يضرُّه، ومميِّزاً بين الخير والشَّر، والنَّفع والضّر؛ بل يميِّز بين الأمر النَّافع والأكثر نفعاً؛ والضَّار والأشدّ ضرراً، قال ابن تيمية رحمه الله في حاجة الإنسان إلى التَّمييز بين الخير والشَّر: [**ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشَّر، و إنَّما العاقل الذي يعلم خير الخيرين، و شرِّ الشَّرين]**[١٠٠٩].

وقال الشَّاعر أبو فراس الحمداني في ذلك:

عَرَفتُ الشَرَّ لا لِلشَّرِ لَكِن لِتَوَقِّيْهِ

وَمَن لَم يَعرِفِ الشَرّ مِنَ الخَيرِ يَقَع فِيْهِ[١٠١٠]

ويقول الفاروق عمر رضي الله عنه: [**لا يعرف الاسلام من لم يعرف الجاهلية]**، ويقول:[**إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية]**[١٠١١]

ولهذا الأمر أساس في السنة، فقد ورد عن الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: [**كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني]**[١٠١٢].

[١٠٠٧]) تفسير الزمخشري ٣/ ٤٦٥.

[١٠٠٨]) صحيح مسلم ٢٦٦٤.

[١٠٠٩]) مجموع الفتاوى ١٠/٥١٤.

[١٠١٠]) مجلة الرسالة ١٧٤/ ٥٤.

[١٠١١]) الدرر السنية في الكتب النجدية١/٢٩٦.

٥/ وعلى المؤمن أن يحذر من الفتن بأنواعها، ومواطنها، وأهلها؛ خاصَّة في هذا الزَّمن الذي كثُر فيه دعاتها؛ وزادت أنواعها وأشكالها ومواطنها؛ وسهُل عرضها، وتعددت طُرُق الوصول إليها، سواء الفتن المادية أو المعنوية، وسواء العامة أو الخاصة، وسواء تجديد قديم منها أو استحداث جديد، فليكن المؤمن نبيْها وفطِنَا لذلك، محذِّراً أهله ومن يليْه؛ وكلَّ من تصلهم كلمته ونصيحته، صارفا عنهم ما لا يرضاه الله من الأفعال أو الأقوال؛ التي قد توجب غضبه وسخطه عياذا بالله من ذلك، قال ربنا سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[١٠١٣]، وقد حذر النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام من الفتن عامة فقال: " **سَتَكُونُ فِتَنٌ، القاعِدُ فيها خَيْرٌ مِنَ القائِمِ، والقائِمُ فيها خَيْرٌ مِنَ الماشِي، والماشِي فيها خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، ومَن يُشْرِفْ لها تَسْتَشْرِفْهُ، ومَن وجَدَ مَلْجأً أوْ مَعاذًا فَلْيَعُذْ بهِ**"[١٠١٤]، ففي هذا الحديث وغيره تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن دون تحديد شكلها أو نوعها، ولعل في ذلك التعميم جواز القول باعتبار أن كل ما يمكن أن يفتن الإنسان فهو نوع منها، كفتنة المال، أو فتنة الشهوات ، أو فتنة الشبهات، وكل فتنة من هذه الفتن لها أشكال وأنواع لا حصر لها، خاصة مع اختلاف الوسائل وتجددها السريع والمتكاثر في هذا الزمن.

وإن ومن أبرز ما يمكن ذكره هنا فتنة الاقتتال بين طائفتين أو فئتين من المسلمين، وهي على أحوال، والناس فيها متفاوتون، كما بين ذلك أهل العلم، ومن ذلك ما قاله النووي في شرح هذا الحديث: **[وَقَدْ اخْتَلَفَ العلماء في قتال الفتنة فقالت طائفة لا يقاتل فِي فِتَنِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ دَخَلُوا عَلَيْهِ بَيْتَهُ وَطَلَبُوا قَتْلَهُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ الْمُدَافَعَةُ عَنْ نَفْسِهِ لِأَنَّ الطَّالِبَ مُتَأَوِّلٌ وَهَذَا مَذْهَبُ أَبِي بَكْرَةَ الصَّحَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ، وَقَالَ بن عُمَرَ وَعِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وغيرهما لا يدخل فِيهَا لَكِنْ إِنْ قُصِدَ دَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ، فَهَذَانِ الْمَذْهَبَانِ مُتَّفِقَانِ عَلَى تَرْكِ الدُّخُولِ فِي جَمِيعِ فِتَنِ الْإِسْلَامِ، وَقَالَ مُعْظَمُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ**

[١٠١٢]) صحيح البخاري ٣٦٠٦، صحيح مسلم ١٨٤٧.

[١٠١٣]) سورة التحريم، الآية: ٦.

[١٠١٤]) صحيح البخاري ٧٠٨١، صحيح مسلم ٢٨٨٦.

وَعَامَّةِ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ يَجِبُ نَصْرُ الْمُحِقِّ فِي الْفِتَنِ وَالْقِيَامُ مَعَهُ بِمُقَاتَلَةِ الْبَاغِينَ كَمَا قَالَ تعالى: ﴿ فقاتلوا التي تبغي﴾ الْآيَةَ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، وَتُتَأَوَّلُ الْأَحَادِيثُ عَلَى مَنْ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ الْمُحِقُّ أَوْ عَلَى طائفتين ظالمتين لا تأويل لِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا؛ وَلَوْ كَانَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُونَ لَظَهَرَ الْفَسَادُ وَاسْتَطَالَ أَهْلُ الْبَغْيِ وَالْمُبْطِلُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ][١٠١٥]، وهذا الذي رجَّحه النووي رحمه الله هو الذي تطمئن له النفوس، ويوافق الحِكَم التي من أجلها رُسِمت العلاقات الإنسانية في الإسلام، ويكون بها التعاون المتبادل بين العباد، القائم على العدالة، والإنصاف، والمساواة، والحرية، وحفظ الحقوق، واحترام الدِّين، والعقل، والنفس، والعرض، والمال، والتي تُمَثِّل الكليات الخمس التي جاء التشريع الإسلامي لحفظها، على ذلك ترجَّح القول بوجوب مواجهة الفتن وأهلها ما دامت واضحة المعالم، بخلاف ما لا يدرك كنهها وحقيقتها، ولا يعرف المؤمن خلالها الحق من الباطل؛ ففي هذا الحال يصح القول بوجوب اجتنابها واعتزالها، كما تبين من حديث النبي صلى الله عليه وسلم السابق، قال موسى شاهين: [**أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بما سيقع في الأمة المحمدية من الفتن والأحداث التي يختلط فيها الأمر ولا يتبين الصواب، وحذر من الخوض فيها ومشايعة أربابها أو إذكاء نارها أو مباشرة أي عمل فيها، إذ في كل ذلك شر، لما يترتب عليه من إزهاق أرواح وإضاعة أموال من غير موجب لذلك وبدون تضحية في سبيل الله والإسلام، ثم أرشد النبي المسلمين إلى أن من أدخل نفسه في الفتن صرعته وأهلكته ومن وجد منفذا ينجو منه فليسلك]**[١٠١٦]، مفهوم كلام أهل العلم السابق أن الفتن التي حث النبي صلى الله عليه وسلم على اجتنابها وعدم التعامل معها ما كان أمرا لم يتضح فيه الحق من الباطل، ولا الظالم من المظلوم، ولا المحق من المبطل، وأما الذي اتضح أمره، وتجلَّت له حقيقة ما يجب فعله؛ من خلال كبت جماح تلك الفتنة، وإسكات أهل الباطل، ومواجهة البغاة الذين يعتدون على إخوانهم، ويأخذون أموالهم أو يهتكون أعراضهم أو يحرصون على إيذائهم في أي أمر من أمور حياتهم، أو يسعون لإقلاق السكينة العامة، ومحاولة القضاء على قيم المسلمين، ونشر المنكرات التي حاربها الإسلام، وجب حينئذ القيام بما يمكن

[١٠١٥]) شرح النووي على مسلم ١٨/ ١٠.

[١٠١٦]) المنهل الحديث في شرح الحديث ٤/ ٢٤٦.

من بذل الجهد المادي والمعنوي في مواجهة الباطل وأهله، وبكل الوسائل الممكنة التي تكفي لإحقاق الحق وإبطال الباطل ونصرة المظلوم، ونشر السكينة في المجتمع، مع الالتزام بكل تعاليم الإسلام السمحة في مواجهة الباطل وأهله، والاجتهاد في معالجة كل قضية عامة أو خاصة بما يرضي الله تعالى من التصرف السليم والمناسب، دون أن يؤدي إزالة المنكر إلى ما هو أسوأ أو أكبر من ذلك المنكر، وتكون التصرفات عن علم وفهم وبصيرة، يتصدر لذلك العلماء المشهود لهم بالعلم والصلاح، وأهل الحل والعقد، وإن لم يكن الأمر كذلك فستَعُمّ الفوضى، وتختلط الأمور، والله المستعان.

اللهُمَّ إنَّا نَعُوْذُ بِكَ مِنَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

***

الخاتمة

اكتمل هذا الكتاب بحمد الله، وقد ضم بين دفَّتيه ستين مجلسا حديثيًّا، تحتوي مواضيع وتوجيهات متنوعة، من خلال ذكر حديث في بداية كل مجلس؛ ثم إرفاق عدد من الفوائد المستنبطة منه، معززة بما تيسر من الآيات والأحاديث، وما ناسب ذلك من أقوال أهل العلم، مع اختلاف في الاستشهاد بها من مجلس إلى آخر، بحسب الحاجة التي تدعو إلى ذلك.

أملا بأن يكون هذا العمل مساهمة في تعليم سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ونشرها بين المسلمين، وتذكير مَن حفظها أو فهمها واطلع عليها في أي مرحلة تعليمية له، امتثالا لقول الله تعالى: ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذكرى تَنفَعُ المؤمنين**﴾[١٠١٧]، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: " **مَن دَعا إلى هُدًى، كانَ له مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن أُجُورِهِمْ شيئًا، ومَن دَعا إلى ضَلالَةٍ، كانَ عليه مِنَ الإثْمِ مِثْلُ آثامِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن آثامِهِمْ شيئًا**"[١٠١٨].

أسأل الله أن يتقبَّل من الكاتب والقارئ، وأن يرزقنا جميعا العلم النافع والعمل الصالح، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (*) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (*) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٠١٩] .

[١٠١٧]) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

[١٠١٨]) صحيح مسلم ٢٦٧٤.

[١٠١٩]) سورة الصافات، الآية: ١٨٠، ١٨١، ١٨٢.

م	المصادر والمراجع
١	القرآن الكريم.
٢	أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ت ٤٥٠هـ، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
٣	أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط١/ ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م.
٤	إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة، بيروت.
٥	إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧/ ١٣٢٣ هـ.
٦	اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٣٦ – ٧٩٥ هـ)، دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط١/ ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
٧	إكمال المعلم بفوائد مسلم، شرح صحيح مسلم، القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١/ ١٩٩٨م.
٨	آداب النفوس، الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الجيل، بيروت.
٩	الأدب الصغير والأدب الكبير، عبد الله بن المقفع، دار صادر – بيروت.
١٠	الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الشاذلي الخولي، دار المعرفة، بيروت، ط١/

	١٤٢٣هـ.
١١	الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا، أبو عبد الله بن محمد بن عبيد، المعروف بابن أبي الدنيا، دار البشائر، ط١/ ١٤١٣هـ.
١٢	الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١/ ٢٠٠٠.
١٣	الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى (بن هُبَيْرَة) بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين ت ٥٦٠هـ، فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن١٤١٧هـ.
١٤	التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت ١١٨٢هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه: محَمَّد صُبْحي بن حَسَن حَلّاق أبو مصعب، مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض – المملكة الْعَرَبيَّة السعودية، ط١/١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.
١٥	التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.
١٦	الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله زكي الدين المنذري، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٣/ ١٩٦٨.
١٧	التوضيح لشرح الجامع الصحيح، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بـ ابن الملقن (٧٢٣ – ٨٠٤ هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط، جمعة فتحي، دار النوادر، دمشق – سوريا، ط١/ ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
١٨	التعيين في شرح الأربعين، سليمان بن عبد القوي الطوفي، مؤسسة الريان، بيروت، ط١/ ١٩٩٨م.
١٩	التفسير البسيط أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠ هـ.
٢٠	التفسير الوسيط للواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل

	أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١/ ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.
٢١	التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو عمر بن عبد البر النمري القرطبي ٤٦٣ هـ، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون.
٢٢	التنوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير ت ١١٨٢هـ، تحقيق: د – محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض.
٢٣	التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي القاهري، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣/ ١٩٨٨م.
٢٤	التيسير في التفسير، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، اسطنبول، ط١/ ٢٠١٩.
٢٥	الجامع الصحيح، يوسف بن جودة الداودي، دار قباء للطباعة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٦	الجامع الصغير، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي.
٢٧	الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢/ ١٩٦٤م.
٢٨	الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ط٦/ ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
٢٩	الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة.
٣٠	الرقائق والآداب والأذكار، موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان ت ١٤٢٢هـ ط٣٠/ ١٤٢٤ هـ.
٣١	الفتح المبين بشرح الأربعين، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي

	الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت ٩٧٤ هـ)، دار المنهاج، جدة – المملكة العربية السعوديةط١/ ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨ م.
٣٢	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ت ٥٣٨هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.
٣٣	الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (ت ٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط١/ ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م، ط٢/١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
٣٤	المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري، شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (ت ٩٥٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١/١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
٣٥	المسائل والأجوبة لابن قتيبة، (المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير)، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ – ٢٧٦ هـ)، تحقيق: مروان العطية – محسن خرابة، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط١١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.
٣٦	المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، دار الحديث، القاهرة، ط١/ ١٩٩٥م.
٣٧	المُعْلم بفوائد مسلم، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (ت ٥٣٦هـ، تحقيق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة، ط٢/ ١٩٨٨م.
٣٨	المعين على تفهم الأربعين، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت ٨٠٤ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور دغش بن شبيب العجمي، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، حولي – الكويت، ط١/ ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.
٣٩	المغازي لابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط١/ ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

٤٠	المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن مظهر الدين الزيداني الشيرازي الحنفي المشهور بالمظهري، دار النوادر، وزارة الأوقاف الكويتية.
٤١	المُفْهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، دار بن كثير، دمشق، ط١/ ١٩٩٦.
٤٢	المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت ٤٧٤هـ)، مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، ط١/ ١٣٣٢ هـ.
٤٣	المنهاج في شرح صحيح مسلم، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢/ ١٣٩٢هـ.
٤٤	المنهل الحديث في شرح الحديث، الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، دار المدار الإسلامي، ط١/ ٢٠٠٢ م.
٤٥	الميسر في شرح مصابيح السنة، فضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف أبو عبد الله، شهاب الدين التُّورِبِشْتِي (ت ٦٦١ هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٢/ ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ هـ.
٤٦	الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، جامعة الشارقة، ط١/ ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
٤٧	الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ت ٤٦٨هـ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط١/ ١٤١٥هـ.
٤٨	الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ٤٦٨هـ.
٤٩	بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن حمد آل سعدي، وزارة الشؤون الإسلامية – السعودية، ط٤/ ١٤٢٣هـ.

٥٠	تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٥م.
٥١	تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ، لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢م.
٥٢	تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٣	تخريج مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.
٥٤	تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١/١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.
٥٥	تفسير الإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي، دار التدمرية – السعودية.
٥٦	تفسير البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ط٤/ ١٩٩٧.
٥٧	تفسير القرآن العزيز لابن زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت ٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١/١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
٥٨	تفسير ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤٢٣ هـ.
٥٩	تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/ ١٤٢٢ هـ.
٦٠	تفسير ابن فورك، محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت

	٤٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير)، جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤٣٠ – ٢٠٠٩ م.
٦١	تفسير ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١/ ١٤١٩ هـ.
٦٢	تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري، دار الكتب العلمية – بيروت.
٦٣	تفسير الثعلبي، (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)، تحقيق: عدد من الباحثين ، دار التفسير، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م.
٦٤	تفسير الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد الشيحي المعروف بابن الخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤١٥هـ.
٦٥	تفسير الرازي، (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣/ ١٤٢٠ هـ.
٦٦	تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢هـ، المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا.
٦٧	تفسير الزمخشري، (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣/ ١٤٠٧ هـ.
٦٨	تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.
٦٩	تفسير السمرقندي، (بحر العلوم)، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)
٧٠	تفسير السمعاني، (تفسير القرآن)، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار

	ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط١/ ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.
٧١	تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.
٧٢	تفسير القاسمي، (محاسن التأويل)، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/ ١٤١٨ هـ.
٧٣	تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي ت ٣٩٩هـ، أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر/ القاهرة.
٧٤	تفسير القرآن العظيم، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي المصري، دار النشر للجامعات، ط١/ ٢٠٠٩م.
٧٥	تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤١٩هـ.
٧٦	تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.
٧٧	تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١/ ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، ط٢/ ١٤٣٥هـ.
٧٨	تفسير الماوردي (النكت والعيون)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ت ٤٥٠هـ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
٧٩	تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١/ ١٣٦٥ هـ، ١٨٩٤م.
٨٠	تفسير النسفي، (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، دار الكلم الطيب – بيروت.
٨١	تفسير الموطأ عبد الرحمن بن مروان الأنصاري القنازعي، دار النوادر، قطر،

	٢٠٠٨م.
٨٢	تفسير حدائق الروح والريحان في روابي القرآن، محمد الأمين الشافعي، دار طوق النجاة، بيروت، ط١/ ٢٠٠٠م.
٨٣	تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ)، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت.
٨٤	تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، دار الفكر الإسلامي الحديثة – مصر، ط١/ ١٩٨٩م.
٨٥	تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، دار ابن كثير، بيروت، ط٣/ ٢٠٠٠م.
٨٦	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ت ١٣٧٦هـ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
٨٧	جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.
٨٨	جامع العلوم والحكم، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي، المشهور بابن رجب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧/ ١٩٩٧.
٨٩	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)، مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م.
٩٠	دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي ١٠٥٧هـ، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٤/ ٢٠٠٤م.
٩١	روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان الدارمي البستي، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت.
٩٢	رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام، أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الاسكندري المالكي تاج الدين الفاكهاني، دار النوادر – سوريا.

٩٣	زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١/ ١٤٢٢، هـ.
٩٤	سبل السلام، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني أبو إبراهيم المعروف كأسلافه بالأمير، دار الحديث.
٩٥	سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١/ لمكتبة المعارف.
٩٦	سنن أبي داوود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، دار الرسالة العلمية، ط١، ٢٠٠٩م.
٩٧	سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (٢٠٩ – ٢٧٣ هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط١/١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
٩٨	سنن الترمذي، الجامع الكبير، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ت ٢٧٩ هـ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١/ ١٩٩٦ م.
٩٩	سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/ ٢٠٠٢م.
١٠٠	سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني ١٥١هـ، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط١/ ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
١٠١	شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ)، مؤسسة الريان، ط٦/ ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
١٠٢	شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، دار الثريا للنشر.
١٠٣	شرح الأربعين النووية، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد

	العباد البدر، دروس صوتية، موقع الشبكة الإسلامية إسلام ويب.
١٠٤	شرح الأربعين النووية، عطية بن محمد سالم، دروس صوتية بموقع الشبكة الإسلامية إسلام ويب.
١٠٥	شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، مؤسسة الريان، ط٦/ ٢٠٠٣م.
١٠٦	شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية، ط٨/ ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
١٠٧	شرح الترغيب والترهيب للمنذري، الشيخ الطبيب أحمد حطيبة، دروس صوتية، موقع الشبكة الإسلامية إسلام ويب.
١٠٨	شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣ هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، ط١/ ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
١٠٩	شرح بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير.
١١٠	شرح بلوغ المرام، عطية بن محمد سالم، دروس صوتية موقع الشبكة الإسلامية إسلام ويب.
١١١	شرح حديث لبيك اللهم لبيك، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط٢/ ٢٠٠٣م.
١١٢	شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١/ ١٤٢٦هـ.
١١٣	شرح سنن أبي داود، عبد المحسن العباد البدر، دروس صوتية بموقع الشبكة الإسلامية إسلام ويب.
١١٤	شرح سنن النسائي، محمد المختار بن محمد بن أحمد مزيد الجكني الشنقيطي، مطابع الحميضي، ط١/ ١٤٢٥هـ.
١١٥	شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد

	الملك (ت ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط٢/ ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
١١٦	شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ٢٠٠٠.
١١٧	شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف بنِ عبد العزيز بن أمين الدِّين بنِ فِرِشْتَا، الرُّوميُّ الكَرمانيّ، الحنفيُّ، المشهور بـ ابن المَلَك (ت ٨٥٤ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، ط١/١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.
١١٨	صحيح الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد ناصرالدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٧.
١١٩	صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، دار بن حزم، بيروت، ٢٠١٢.
١٢٠	صحيح ابن ماجه، محمد ناصرالدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٧م.
١٢١	صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن كثير، دمشق، ط٥، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣.
١٢٢	صحيح الترغيب والترهيب، محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١/ ٢٠٠٠.
١٢٣	صحيح الترمذي، محمد ناصرالدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٠م.
١٢٤	صحيح الجامع أبو عبد الرحمن محمد ناصرالدين الألباني، المكتب الإسلامي.
١٢٥	صحيح النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٨م.
١٢٦	صحيح سنن أبي داوود، محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس، الكويت، ط١/ ٢٠٠٢.
١٢٧	صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥.

١٢٨	طريق الهجرتين وباب السعادتين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، داربن حزم- بيروت، ط/ ٤، ٢٠١٩م.
١٢٩	عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (ت ١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.
١٣٠	فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.
١٣١	فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ)، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، ط١/١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.
١٣٢	فتح السلام شرح عمدة الأحكام، للحافظ ابن حجر العسقلاني مأخوذ من كتابه فتح الباري، جمع وتهذيب وتحقيق: أبو محمد عبد السلام بن محمد العامر (غير مطبوع).
١٣٣	فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري (ت ٦٥٦ هـ)، أبو محمد حسن بن علي بن سليمان البدر الفيومي القاهري (٨٠٤ – ٨٧٠ هـ)، مكتبة دار السلام الرياض، دراسة وتحقيق وتخريج: أ. د. محمد إسحاق محمد آل إبراهيم، ، ط١/١٤٣٩ هـ – ٢٠١٨ م.
١٣٤	فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ت ١٠٣١هـ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط١.
١٣٥	كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ٥٩٧هـ، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن- الرياض.
١٣٦	لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ت ٤٦٥هـ، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

	مصر، ط٣.
١٣٧	لمحات من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، صالح بن سعيد ين هلابي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
١٣٨	مجلة الرسالة، أحمد حسن الزيات باشا ت ١٣٨٨هـ، الموسوعة الشاملة، ١٤٣٢هـ.
١٣٩	مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ،١٩٩٥م.
١٤٠	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
١٤١	محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت ط١/ ١٤١٨ هـ.
١٤٢	مدارج السالكين في منازل السائرين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، بن قيم الجوزية، دار ابن حزم، بيروت، ط٢/ ٢٠١٩.
١٤٣	مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١/ ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
١٤٤	مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط١/ ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.
١٤٥	مشكل الحديث وبيانه، محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت ٤٠٦هـ، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب– بيروت، ط٢/ ١٩٨٥م.
١٤٦	مصابيح الجامع، محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي

	القرشي، بدر الدين المعروف بالدماميني، وبابن الدماميني (ت ٨٢٧ هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط١/ ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
١٤٧	معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٠هـ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزي، ط٤/١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
١٤٨	معالم السنن، (شرح سنن أبي داود)، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي ٣٨٨هـ، المطبعة العلمية - حلب، ط١، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.
١٤٩	معاني القرآن للأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
١٥٠	معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط١/ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٥١	معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر ١٤٢٤ هـ، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١/ ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
١٥٢	منحة العلام شرح بلوغ المرام، عبد الله بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، ط١/ ١٤٣٥هـ.
١٥٣	موارد الظمآن لدروس الزمان، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان، ط٣٠/ ١٤٢٤هـ.
١٥٤	نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، دار الحديث، مصر، ط١/ ١٩٩٣م.
١٥٥	هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، أبو أسامة، محمود محمد الخزندار (ت ١٤٢٢هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط٢/ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
١٥٦	هكذا كان الصالحون، أبو عبد الملك خالد بن عبد الرحمن الحسينان، مركز

	الفجر للإعلام، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
١٥٧	موقع الموسوعة الحديثية، https://dorar.net/hadith/sharh/113810.

فهارس الموضوعات

م	المَوْضُوع	الصَّفْحة
أ	المقدِّمة	٢
١	المجلس (الأوَّل): أهمِّيَّة صلاح النِّيَّة.	٥
٢	المجلس (الثَّاني): الدعوة إلى الاستغفار والتوبة.	١٠
٣	المجلس (الثَّالث): عدد من مكفرات الخطايا.	١٤
٤	المجلس (الرَّابع): فضل الصدق والصادقين وقبح الكذب والكاذبين.	١٦
٥	المجلس (الخامس): وصايا نبوية ثمينة.	١٨
٦	المجلس (السَّادس): مخالفة هوى النفس المذموم.	٢٠
٧	المجلس (السَّابع): التوكل على الله لجلب الأرزاق.	٢٢
٨	المجلس (الثَّامن): الاستقامة ثمرة الإيمان.	٢٥
٩	المجلس (التَّاسع): المبادرة بالأعمال الصالحة قبل فوات الأوان.	٢٨
١٠	المجلس (العاشر): نعمتا الصحة والفراغ.	٣٢
١١	المجلس (الحادي عشر): ما يحجب المرء عن النار وعن الجنة من الأعمال.	٣٦
١٢	المجلس (الثَّاني عشر): ما يتبع الميت إلى قبره.	٣٩
١٣	المجلس (الثَّالث عشر): فضل لقيا المسلم بوجه طلق.	٤٤
١٤	المجلس (الرَّابع عشر): فضل الغدو إلى المسجد والرواح.	٥٠
١٥	المجلس (الخامس عشر): فضل إبعاد الأذى عن الناس.	٥٤
١٦	المجلس (السَّادس عشر): نوع من مكفرات الذنوب من الطاعات.	٥٨
١٧	المجلس (السَّابع عشر): فضل حمد الله على النعم.	٦١
١٨	المجلس (الثَّامن عشر): فضل الدلالة على الخير.	٦٤
١٩	المجلس (التَّاسع عشر): أهمية الاتِّباع في الطاعات.	٦٨
٢٠	المجلس (العشرون): حقيقة المسلم والمهاجر.	٧١

٢١	المجلس (الحادي والعشرون): ترابط المؤمنين وتعاونهم.	٧٤
٢٢	المجلس (الثَّاني والعشرون): مَن لا يَرحَم لا يُرْحَم.	٧٩
٢٣	المجلس (الثَّالث والعشرون): فضل صلاح الباطن.	٨٤
٢٤	المجلس (الرَّابع والعشرون): فضل ستر المسلم.	٩٠
٢٥	المجلس (الخامس والعشرون): التشديد في وجوب مراعاة المرء حق من يعولهم.	٩٥
٢٦	المجلس (السَّادس والعشرون): مكانة الجار في الإسلام.	٩٩
٢٧	المجلس (السَّابع والعشرون): الوالدان أحق الناس بحسن الصحبة.	١٠٣
٢٨	المجلس (الثَّامن والعشرون): فضل عيادة مريض أو زيارة أخٍ في الله.	١٠٧
٢٩	المجلس (التَّاسع والعشرون): فضل الحب في الله، وأهمية الاستعداد للقاء الله.	١١١
٣٠	المجلس (الثَّلاثون): الوقوف بين يدي الله تعالى.	١١٧
٣١	المجلس (الحادي والثلاثون): تكريمُ الله لِعَبْده بجَعْل باب التَّوبة مفتوحاً.	١٢٢
٣٢	المجلس (الثَّاني والثلاثون): أفْضَل أيَّام الدُّنْيا.	١٢٧
٣٣	المجلس (الثَّالث والثلاثون): الاستعانة بالله على طاعته.	١٣١
٣٤	المجلس (الرَّابع والثلاثون): فضل كلمة التوحيد، والثبات على الحق.	١٣٥
٣٥	المجلس (الخامس والثلاثون): الحث على عمل الآخرة.	١٣٨
٣٦	المجلس (السَّادس والثلاثون): الغِنَى غِنَى النَّفس.	١٤٢
٣٧	المجلس (السَّابع والثلاثون): نقل الكلام دوْن تثَبُّت.	١٤٥
٣٨	المجلس (الثَّامن والثلاثون): خطورة النَّمِيْمَة وأثرهَا علَى الفَرْد والمجْتَمَع.	١٤٩
٣٩	المجلس (التَّاسع والثلاثون): الظَّنُّ أكذبُ الحَديْث.	١٥٢
٤٠	المجلس (الأربعون): حُبُّ الخيْر للغَير.	١٥٥
٤١	المجلس (الحادي والأربعون): فضل ذكر الله.	١٥٨
٤٢	المجلس (الثَّاني والأربعون): فضل عمل النوافل.	١٦١
٤٣	المجلس (الثَّالث والأربعون): فضْل العبادة زمن الفِتَن.	١٦٤
٤٤	المجلس (الرَّابع والأربعون): فضل التَّنفيس عن المعسرين.	١٦٧

٤٥	المجلس (الخامس والأربعون): فضل الدعوة إلى الله تعالى.	١٧٠
٤٦	المجلس (السَّادس والأربعون): فضْل حَمْد الله تعَالى وشُكْره.	١٧٣
٤٧	المجلس (السَّابع والأربعون): السجود لله تعالى والدعاء فيه.	١٧٦
٤٨	المجلس (الثَّامن والأربعون): فضل قول: لا حول ولا قوة إلا بالله.	١٧٩
٤٩	المجلس (التَّاسع والأربعون): فضل دعاء المسلم لأخيه في ظهر الغيب.	١٨٤
٥٠	المجلس (الخمسون): فضل الصمت على الكلام غير النافع.	١٨٧
٥١	المجلس (الحادي والخمسون): فضل دفاع المسلم عن عِرْض أخيه.	١٩٢
٥٢	المجلس (الثَّاني والخمسون): قبح ادِّعاء المرء لنفسه من الفضل ما ليس فيه.	١٩٦
٥٣	المجلس (الثَّالث والخمسون): الدعوة إلى نبذ سوء الأخلاق.	١٩٩
٥٤	المجلس (الرَّابع والخمسون): مخالفة الفِطْرة التي فَطَر اللهُ الناسَ عليها.	٢٠٤
٥٥	المجلس (الخامس والخمسون): نَبْذُ الكِبْرِ وأهْلِه.	٢٠٨
٥٦	المجلس (السَّادس والخمسون): ذم العُجْب واحتِقَار النَّاس.	٢١٣
٥٧	المجلس (السَّابع والخمسون): النَّهي عن التَّشبه بالشَّياطين والكفَّار.	٢١٦
٥٨	المجلس (الثَّامن والخمسون): النَّهْيُ عَن التَّكَلُّف في أمر الدِّين والدُّنيا.	٢٢٠
٥٩	المجلس (التَّاسع والخمسون): النَّهي عن إيذاء الغير.	٢٢٤
٦٠	المجلس (السِّتُّون): اجتِنَاب المُؤْمِن مَا يَضُرُّهُ مِنْ أَمْرِ دِيْنِهِ وَدُنْيَاهُ.	٢٢٧
٦١	الخاتمة.	٢٣٣
٦٢	المراجع والمصادر.	٢٣٤
٦٣	فهارس الموضوعات	٢٥٠